



مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

جريدة متخصصة ... وعطاء مستمر

• واحد في نوعه

• ردة من كل

• حوار بين

• هاد

• ب

أفاق الثقافة والتراث

مجلة
فصلية
ثقافية
تراثية

تصدر عن قسم الدراسات
والنشر والشؤون الخارجية
بمركز جمعة الماجد
للثقافة والتراث

السنة السادسة والعشرون : العدد المئة والواحد - جمادى الآخرة ١٤٣٩ هـ / مارس (آذار) ٢٠١٨ م

الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية

المؤلف: الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغي، أبو عيسى ٢٧٩ هـ



Al-Shamā' al-Nabawīyyah wa al-Khaṣā' al-Muṣṭafwīyyah

By: Al-Tirmizi, Muḥammad bin Isā bin Sawrah, Al-Sulami, Al-Bughi, Abu Isā (D 279 AH)

ساحب الأقرب

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

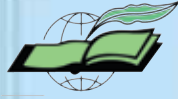
بسم الله

شروط النشر في المجلة

- ١ - أن يكون الموضوع المطروق متميزاً بالجدة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:
- قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
- قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.
- ٢ - ألا يكون البحث جزءاً من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدها الباحث، وألا يكون قد سبق نشره على أيّ نحو كان، ويشمل ذلك البحوث المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.
- ٣ - يجب أن يُراعى في البحوث المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخرّيج الأحاديث النبوية الشريفة.
- ٤ - يجب أن يكون البحث سليماً خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ٥ - يجب اتباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصلية، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.
- ٦ - بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ بحث مرتبة ترتيباً هجائياً تبعاً للعنوان مع بيان جهة النشر وتاريخه.
- ٧ - أن يكون البحث مجموعاً بالحاسوب، أو مرقوناً على الآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجه واحد من الورقة.
- ٨ - على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلمية مبيناً، اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافة إلى عنوانه وصورة شخصية ملونة حديثة.
- ٩ - يمكن أن يكون البحث تحقيقاً لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالبحث صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطيّة المعتمدة في التحقيق.
- ١٠ - أن لا يقلّ البحث عن خمس عشرة صفحة، ولا يزيد عن ثلاثين.

ملاحظات

- ١ - ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- ٢ - لا تُردّ البحوث المرسلّة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.
- ٣ - لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة تحرير المجلة إلاّ لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، وذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.
- ٤ - تستبعد المجلة أيّ بحثٍ مخالف للشروط المذكورة.
- ٥ - تدفع المجلة مكافآت مقابل البحوث المنشورة، أو مراجعات الكتب، أو أيّ أعمال فكرية.
- ٦ - يعطى الباحث نسختين من المجلة.



مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد ،
فإنه يسرنا أن نبعث إليكم بنسخة من العدد (١٠١) من مجلة آفاق الثقافة والتراث.
راجين التفضل بإرسال إشعار التسلم المرفق بالمجلة إلينا.
مع خالص شكرنا وتقديرنا لحسن تعاونكم معنا
و تفضلوا فائق الاحترام والتقدير

Dear Sir ;

Attached is one copy of Afaq Al-Thaqafa wa Al- Turath magazine, issue No (101). Please send back the enclosed receipt of Acknowledgement after filling in the required information.

Thank you for your kind cooperation

We remain

Gift

☐

إهداء

Exchange

☐

تبادل

Subscription

☐

اشتراك

قسمة اشتراك

Subscription Order Form

عدد السنوات
of Years

☐

أكثر من سنة

More Than One Year

☐

سنة

One Year

☐

of Copies:

عدد النسخ :

Issues :

Subscription Date : ابتداء من تاريخ :

☐

حالة بريدية
Postal Draft

☐

حالة مصرفية
Bank Draft

☐

شيك
Check

Signature : التوقيع :

Date : التاريخ :

إشعار بالتسلم
Acknowledgement of Receipt

Name : الاسم الكامل :

Institution المؤسسة :

Address العنوان :

P.O. Box : صندوق البريد :

No. of Copies: ☐ عدد النسخ :

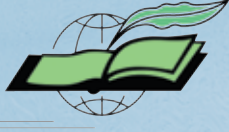
Issues No.: ☐ العدد :

Subscription ☐ اشتراك

Exchange ☐ تبادل

Gift ☐ إهداء

Signature : التوقيع : Date : التاريخ :



تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية
بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

دبي - ص.ب. ٥٥١٥٦

هاتف ٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ٩٧١ +

فاكس ٢٦٩٦٩٥٠ ٤ ٩٧١ +

دولة الإمارات العربية المتحدة

البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org

الموقع الإلكتروني: www.almajidcenter.org

آفاق الثقافة والتراث

مجلة
فصلية
ثقافية
تراثية

السنة السادسة والعشرون : العدد المئة والواحد - جمادى الآخرة ١٤٣٩ هـ / مارس (آذار) ٢٠١٨ م

هيئة التحرير

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغبية

سكرتير التحرير

أ. منى مجاهد المطري

هيئة التحرير

أ.د. فاطمة الصايغ

أ.د. حمزة عبد الله المالبياري

أ.د. سلامة محمد الهرفي البلوي

د. محمد أحمد القرشي

رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردمد ٢٠٨١ - ١٦٠٧

المجلة مسجلة في دليل

أولريخ الدولي للدوريات

تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبها
ولا تمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه
يخضع ترتيب المقالات لأمر فنية

خارج الإمارات

١٥٠ درهم

١٠٠ درهم

٧٥ درهم

داخل الإمارات

المؤسسات ١٠٠ درهم

الأفراد ٧٠ درهماً

الطلاب ٤٠ درهماً

الاشتراك
السنوي

الفهرس

الإفتتاحية

أعمال جليلة في تدوين السيرة النبوية

مدير التحرير ٤

المقالات

الكناية اللونية في القرآن الكريم

ودلالاتها البلاغية عند المفسرين

د. فيصل أبو الطَّفِيل ٦

الفتوى والقضاء بما جرى به العمل

في تراث المالكية بالمغرب الأقصى

د. توفيق البدرى ٢٢

فكرة التوارث الدولي

عند ابن نجيم الحنفي

د. عماد عبد السلام رؤوف ٥١

الرفق بالحيوانات ورعايتها الصحية

نموذج لإسهامات العرب في تنمية الثروة الحيوانية

في بلاد المغرب خلال القرنين الثاني والثالث

للهجرة

د. عصام منصور صالح عبد المولى ٦١

التوليد الدلالي من الجذر (ع ر ب)

في اللغات السامية، دراسة مقارنة

د. جلال عبد الله محمد سيف الحمّادي ٧٤

شعر أبي الشَّبلِ البُرْجُمِيّ (نحو سنة ٢٥٠ هـ)

جمع وتحقيق

د. إبراهيم بن سعد الحقيّل ١١٣

ذخائر التراث المخطوط في إقليم الساوره بالجزائر

خزانة سيدي المداني أنموذجاً

د. رفيقة تومي ١٤٠

تحقيق المخطوطات

مَجَانِي الثَّمَارِ مِنْ تَهَانِي الْعِدَارِ

تأليف محمّد خليل بن علي المُرَادِيّ (ت ١٢٠٦ هـ)

دراسة وتحقيق

أ. د. عبد الرّازق حويّزَي ١٤٩

إرشاد الحيارى في الرد على النصارى

تأليف عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدّميري

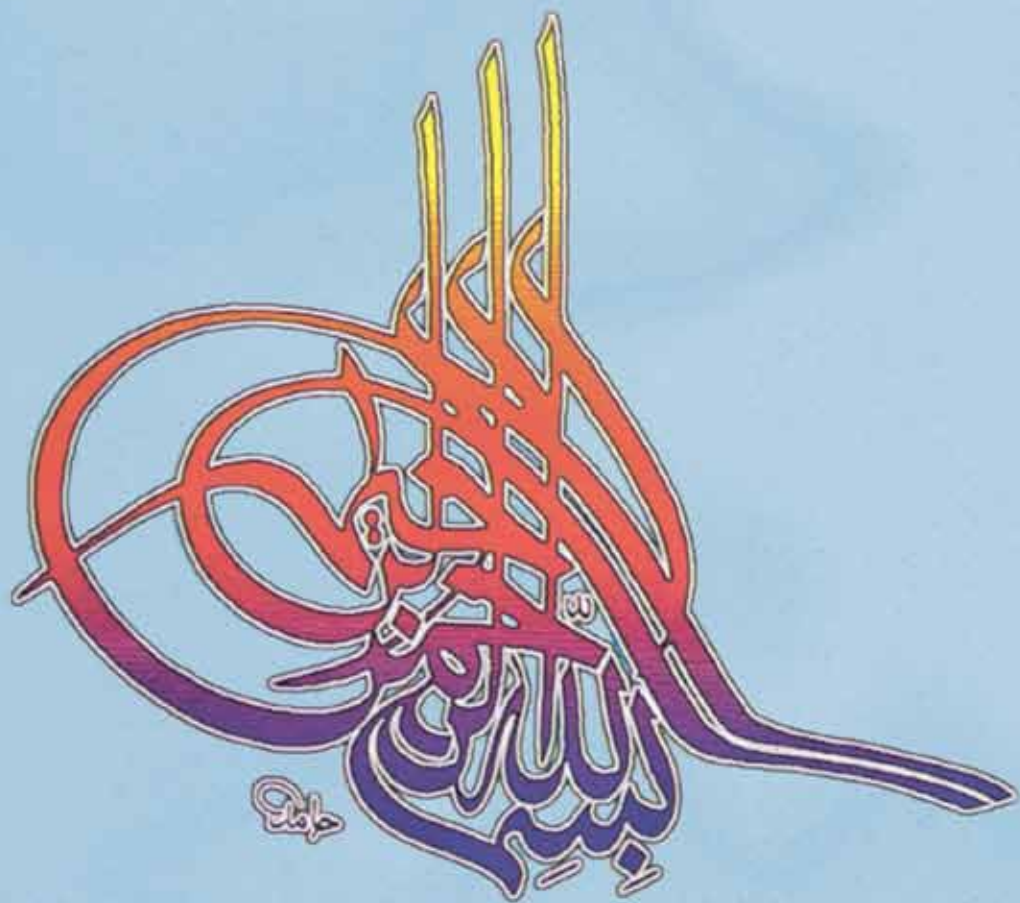
المعروف بالديريني (٦٨٨ هـ)

دراسة وتحقيق

حمزة العايش ١٧٥

الملخصات

٢٠٢



أعمال جلييلة في تدوين السيرة النبوية

مهما تحدث النقاد في موضوع تدوين السيرة النبوية، فإنه لا يمكن أن ننكر تلك الأعمال التي حاول أصحابها تقديم صورة دقيقة عن هديه وأخلاقه وعمله وتصرفاته في أهله وجواره، ومع صحابته وعشيرته وسياسة أمته في الحرب وفي السلم وفي جميع مناحي الحياة، ونذكر هنا العملين الكبيرين الجليلين اللذين قام بهما العالمان الجليلان ابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥٣ هـ، والعلامة شبلي النعماني وتلميذه محمد سليمان الندوي بالهند.

العمل الأول: ويتمثل في «كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد» الذي ألفه ابن القيم الجوزية؛ حيث يعد هذا العمل من أول وأقدم ما ألف في فقه السيرة النبوية المطهرة، إذ لم يكتف فيه المؤلف بسرد سيرته صلى الله عليه وسلم في جميع مراحل حياته كما يفعل عامة المدونين، بل قام باستنطاقها، وتتبع كثير من تفاصيل حياته صلى الله عليه وسلم، فاستنبط منها الأحكام، وذكر أقوال العلماء في مسائل فقهية كثيرة، كما تعرض فيها لدراسات حديثة قيمة لإثبات بعض الأحكام، ورد بعض الآراء، فلم يكن يترك مجالاً للتعليق أو الاستنباط أو الإيضاح إلا استفاد منه، هذا إلى جانب فوائد علمية يقف عليها مطالع الكتاب، وكذا التحقيقات الدقيقة التي تدل على سعة علم ابن القيم وحفظه، فعد كتابه فريداً فيما صنف قبله وما بعده.

العمل الثاني: ويتمثل في «كتاب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم» الذي ألفه شبلي النعماني، وأكملة تلميذه محمد سليمان الندوي بعد وفاته، والكتاب باللغة الأردية، ولم يترجم منه إلى العربية إلا مقدمته الموسومة بـ: «مقدمة في فن السيرة»، وقد قام بترجمتها الدكتور محمد علي غوري، وقام مركز جمعة الماجد بطباعتها.

وقد جاء الكتاب في خمسة أجزاء، فيه علم غزير، واستدراك كثير، وتحقيق وتدقيق للعديد من الوقائع والأحداث، وتأريخ للتشريع في عهده صلى الله عليه وسلم، إلى جانب فقه جم ومعاني سامية، وقد وصف مؤلفه مضمون أجزاء كتابه فقال:

قسمت هذا الكتاب على خمسة أجزاء، وهي:

الجزء الأول: ويتكون من بابين. الباب الأول يشتمل على نبذة مختصرة عن أوضاع العرب قبل الإسلام، وتاريخ الكعبة، وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ ولادته وحتى وفاته، وما جرى فيها من أحداث وغزوات. والباب الثاني يشتمل على عادات الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاقه، وعلى الحديث عن أولاده وأزواجه الطاهرات.

الجزء الثاني: خاص بالنبوة ووظيفة الأنبياء، وهي تعليم الناس العقائد وتبليغهم الأوامر والنواهي، وتركيتهم وتطهيرهم؛ لذلك خصصت هذا الجزء للنبوة ووظائف الأنبياء. وبالإضافة إلى ما سبق يحتوي هذا الجزء على أركان الإسلام الخمسة، وكيف كانت بداية الأوامر والنواهي، وما أصابها من نسخ وتغير مع تغير الزمان والمكان، والمصالح المرجوة من ورائها والحكمة منها، ومقارنتها مع الأوامر والنواهي في الأديان الأخرى. واستعرضت في هذا الجزء أيضًا – وبالتفصيل- عقائد العرب وأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم قبل الإسلام، وكيف أصبحت بعد الإسلام، والأصول والقواعد التي وضعها الإسلام لإصلاح البشرية وهدايتها، وأسباب صلاحها لكل زمان ومكان.

الجزء الثالث: عن المراحل التي مرّ بها تدوين القرآن الكريم، ووجوه إعجازه، وحقائقه وأسراره.

الجزء الرابع: فيه حديث عن المعجزات. فقد درجت كتب السيرة الأولى على تخصيص باب للمعجزات، والحاجة اليوم ماسة إلى الكتابة عنها بشكل مستقل؛ حيث إن الحديث عن المعجزات لم يعد قاصرًا عليها، فقد جدت الحاجة إلى الحديث عن حقيقتها وإمكانية حدوثها. وأما المعجزات التي نعلم زمن وقوعها، مثل معجزة المعراج وتكثير الطعام، فقد تحدثت عنها في موضعها حسب تسلسل الأحداث.

الجزء الخامس: عن المؤلفات الغربية؛ أي ما كتب عن النبي صلى الله عليه وسلم والدين الإسلامي في أوروبا، وعن مصادرهم التي استقوا منها معلوماتهم، وعن أسباب خطئهم في فهم الأحداث التاريخية، وعن قضايا الدين الإسلامي التي أخطأوا فيها، وعن الشبهات التي أثاروها حول رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلوكه، والرد عليها.

وفي النهاية نقول إن الكتابين عظيمين في بابهما، فكتاب ابن القيم متوافر ومطبوع ومخرج الأحاديث، أما الكتاب الثاني فقد ذكرت أعلاه أن مقدمته مترجمة للعربية أما الكتاب نفسه فقد طلبنا من الدكتور محمد علي غور (مترجم المقدمة) أن يقوم باستكمال ترجمة الكتاب كله نظرًا لأهميته البالغة للمسلمين، وقد وافق على ذلك، وكان هذا الأمر قبل سنتين أو يزيد، وإننا نأمل أن ينجز هذا العمل في القادم القريب إن شاء الله.

والله الموفق لما فيه الخير والصواب

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغبة

الكناية اللونية في القرآن الكريم ودلالاتها البلاغية عند المفسرين

د. فيصل أبو الطُّفَيْل
مراكش/ المغرب

ملخص البحث

تدرج الكناية -كفن بياني ذي طاقة تعبيرية وتصويرية- ضمن الظواهر البلاغية التي وظفها القرآن الكريم وسيلة فاعلة في توصيل أغراضه ومقاصده. ويتسع مفهوم الكناية في القرآن الكريم باتساع طبيعتها الفنية والأدبية ليشمل أنواعاً عديدة جديرة بالدراسة والتحليل، من قبيل: الكناية النفسية والمعرفية والخُلقية والتعريضية واللونية. وتمثل هذه الأخيرة محور بحثنا هذا لأسباب منها:

- * إن ظاهرة الكناية اللونية في القرآن الكريم من الظواهر البلاغية التي لم تحظْ بعدُ بدراسات وافية تكشف بعضاً من أسرار بلاغته، وتبين طرفاً من وجوه إعجازه.
- * إن ارتباط الألوان بالتعبير القرآني في ضوء الكناية، من شأنه أن يثير انتباه المتلقي بما يتضمنه من حيوية وقوة وتأثير في نفسه وشعوره، ودفعه إلى التفاعل معها ترغيباً أو ترهيباً، وذلك وفق السياق الذي ترد فيه، والمعنى الذي تؤديه.

الذي يستجلي وظائف الكناية اللونية في عدد من الآيات القرآنية.

وتتأسس مدونة هذا البحث على مصدر نواة هو القرآن الكريم، تنضاف إليه مصادر أخرى في مقدمتها تفاسير منتقاة تبعاً لاختلاف مناهج أصحابها في تناول موضوع الكناية اللونية، وفي مقدمتها: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،

وتبعاً لما سبق، نستشرف تقسيم بحثنا في الكناية اللونية في القرآن الكريم إلى قسمين: قسم نظري يسلط الضوء على تعريف الكناية في اللغة والاصطلاح، وتتبع تطور المعاني الاصطلاحية التي عرفتها الكناية في كتب النقد والبلاغة، وقسم يعنى بدراسة الكناية باللون المباشر (الأبيض والأسود والأزرق والأصفر والأخضر)، مع التركيز على الجانب التطبيقي

للمزمخشري (٥٣٨هـ)، و تفسير أبي السعود (٩٨٢هـ) (الموسوم بـ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، و "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، المعروف بـ: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ). مع الاستعانة ببعض المصادر والدراسات البلاغية التي من شأنها أن تغني البحث وتنوّع روافده.

مهاد نظري: تعريف الكناية لغة واصطلاحاً

أولاً: الكناية في اللغة:

يحيل جذر (ك، ن، ا) في اللغة العربية على الاستدلال على الشيء بغير لفظه. قال الخليل ابن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ): "كَنَى فلان، يَكْنِي عن كذا، وعن اسم كذا إذا تكلم بغيره مما يستدل به عليه، نحو الجماع والغائط، والرفث، ونحوه"^(١). وقال ابن فارس (٣٩٥هـ): "الْكَاْفُ وَالنُّونُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ يَدُلُّ عَلَى تَوْرِيَةٍ عَنْ اسْمٍ بغيرِهِ. يُقَالُ: كَنَيْتُ عَنْ كَذَا. إِذَا تَكَلَّمْتُ بِغَيْرِهِ مِمَّا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَيْهِ، وَكُنَوْتُ أَيْضًا"^(٢). ويشترك التعريفان السابقان في اشتراط دلالة المكنى به عن المكنى عنه^(٣). ومن اللغويين من لم يشترط دلالة المكنى به عن المكنى عنه. من ذلك تعريف الجوهري (٣٩٣هـ) الكناية بأنها: "أن تتكلم بشيء وتريد غيره"^(٤). وقد جمع ابن منظور (٩١١هـ) مجمل التعريفات السابقة فقال: "والكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره وكَنَى عن الأمر بغيره يَكْنِي كناية يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه نحو الرفث والغائط ونحوه"^(٥). وذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى "أن

تقييد المكنى به بالدلالة على المكنى عنه أولى من إطلاقه، كي لا يُفهم من الكناية مجرد العدول عن لفظ إلى غيره، فتختلط بغيرها من الأساليب كالتورية أو الرمز أو المجاز"^(٦). وربما كان مرّد هذا الخلط بينها وبين التورية مثلاً اشتراكهما لغة في معنى الإخفاء والستر.

ثانياً: الكناية في الاصطلاح:

للكناية - كمصطلح بلاغي - مسيرة حافلة في كتب البلاغيين، فالى جانب كونها فناً ذا طاقة تعبيرية وتصويرية، فإنها تعد من أكثر الأساليب البلاغية دقة وخفاء، كما يلامس التعبير الكنائي بالألوان في القرآن، معاني يُتوصّل إليها بالتأمل والإمعان.

فمن المفسرين السابقين إلى الحديث عن كنيات القرآن ابن عباس (٦٨هـ) رضي الله عنهما، فقد قال في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾^(٧): " إِنَّ الْمَسَّ وَاللَّمْسَ وَالْمُبَاشَرَةَ: الْجِمَاعُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُكْنِي مَا شَاءَ بِمَا شَاءَ"^(٨). وورد لفظ الكناية عند سيبويه (١٨٠هـ) في معرض حديثه عن الأسماء والأعداد. فمن النوع الأول قوله: "هذا فلان بن فلان؛ لأنه كناية عن الأسماء التي هي علاماتٌ غالبية؛ فأجريت مجراها (...). فإذا كنيت عن غير آدميين قلت: الفلان والفلانة؛ والهن والهنة، جعلوه كنايةً عن الناقة التي تسمى بكذا، والفرس الذي يسمّى بكذا، ليفرقوا بين آدميين والبهائم"^(٩). ومن النوع الثاني قوله: " وذلك قولك: له كذا وكذا درهمًا، وهو مبهم في الأشياء

بمنزلة كم، وهو كنايةٌ للعدد، بمنزلة فلان إذا كُنيتَ به في الأسماء" (١٠).

دُرست الكناية بوصفها مفهوماً لغوياً ينطوي على بعض الإشارات البلاغية عند كل من أبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) و أبي عبيدة (٢٠٩هـ) والجاحظ (٢٥٥هـ) والمبرد (٢٨٦هـ)، ثم درسها قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) تحت مسمى الإرداف.

وجعل أبو عبيد القاسم بن سلام أمثال العرب داخلة في باب الكناية والتعريض. قال في مقدمة كتابه الموسوم بـ(الأمثال): " هذا كتاب الأمثال، وهي حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجتها في المنطق، بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال؛ إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، ويتبين من كلام القاسم ابن سلام أن من مميزات الأمثال اعتمادها على الكناية دون التصريح. كما عرض أبو عبيدة في كتابه "مجاز القرآن" لعدد من الآيات تضمنت أمثلة من الكنايات، من ذلك قوله: " ومن مجاز ما يحول خبره إلى شيء من سببه، ويترك خبره هو قال: ﴿ فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ مَآخِضِينَ ﴾ (١١): حَوْل الخبر إلى الكناية التي في آخر الأعناق" (١٢). ويقصد بتحويل الخبر إلى شيء من سببه تحويل الخضوع من وصف الكفار إلى وصف الأعناق من باب الكناية.

ومن الأعلام الذين اهتموا بدراسة الكناية الجاحظ؛ حيث ذهب إلى أنها أبلغ من التصريح في كثير من المواضع. يقول: " قال بعض أهل الهند جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة

بمواضع الفرصة ثم قال ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة" (١٣). وتحدث أبو عثمان عن استعمال الكناية في التواصل بغرض التنويه والتفضيل. من ذلك قوله: " وقد يستعمل الناس الكناية، وربما وضعوا الكلمة بدل الكلمة، يريدون أن يظهر المعنى باللين اللفظ، إما تنويها وإما تفضيلاً" (١٤). ومن أعمق ما توصل إليه الجاحظ بلوغ الكناية عنده مبلغ التصريح إذا كثرت استعمالها وتداولها، يقول: "والكناية إذا طال استعمالهم لها صارت كالإفصاح" (١٥)، كما خصص لها باباً في كتابه الحيوان أسماه: " (باب الفطن وفهم الرطانات). (والكنايات والفهم والإفهام)" (١٦). أما المبرد فقد جعل الكناية ضرباً من ضروب الكلام الذي يدل لفظه على غير معناه. يقول: "والكلام يجري على ضروب؛ فمنه ما يكون في الأصل لنفسه، ومنه ما يكنى عنه بغيره، ومنه ما يقع مثلاً، فيكون أبلغ في الوصف" (١٧). وكان المبرد في مقدمة من قسم الكناية تبعاً للأغراض المتعلقة بها، فجعلها "على ثلاثة أضرب: أحدها: التعمية والتغطية (... والثاني - وذلك أحسنها - الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره (... والضرب الثالث من الكناية: التفضيم والتعظيم، ومنه اشتقت الكناية" (١٨).

ويعود الفضل لقدامة بن جعفر في نقل الكناية نقلة كبيرة تستشرف أفقها الاصطلاحي البلاغي حين ميّزها بمصطلح "الإرداف" الذي يفيد عنده الدلالة على المعنى بلفظ غير دال على ذلك المعنى، وإنما هو رديفه وتابعه. يقول: " ومن أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى الإرداف: وهو أن

يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له، فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع^(١٩).

وتأتي دراسة الكناية كفن بلاغي عند عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ أو ٤٧٤ هـ) في إطار بحثه الدؤوب عما تخفيه الألفاظ والتراكيب من معانٍ، وهو وإن سار في تعريفه للكناية على نهج قدامة بن جعفر، فإن ما يميّز دراسته تمكّنه من تفصيل القول عليها بتخصيصه فصلاً وسمه بـ: (فصل: في اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره)، ولم تبلغ الكناية كمصطلح بلاغي مرحلة النضج إلا مع عبد القاهر الجرجاني، فقد عرّف الكناية مبرزاً قيمتها الفنية بقوله: " والمراد بالكناية ههنا أن يُريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردّفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه"^(٢٠).

إن في حديث الجرجاني عن المعنى الذي يمثل تالياً وردفًا للمعنى المراد باللفظ الأصلي صدى لما ذكره قدامة (... بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له)، وقد توسّع الجرجاني في شرح هذا التعريف معتمداً على تحليل مجموعة من الشواهد المعروفة من قبيل: (هو طویل النّجاد- وكثير رماذ القدر- نؤوم الضحى..)، "وقد أشار الجرجاني إلى أن فهم الكناية يكون عن طريق المعاني المدركة بالعقل والتدبر والبحث في ما وراء العبارة من دلالات عميقة، وليس عن طريق اللفظ؛ أي ما تظهره في بنيتها السطحية"^(٢١). يقول عبد القاهر: "أما "الكناية"، فإنّ السبب في أن كان للإثبات بها مزية لا تكون

للتصريح، أن كلّ عاقلٍ يَعْلَمُ إذا رجّع إلى نفسه، أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، أكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجاً غفلاً. وذلك أنّك لا تدّعي شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف، وبحيث لا يُشكّ فيه، ولا يُظنّ بالمُخبر التجوُّز والغلط"^(٢٢). ويرى عبد القاهر أن الكناية أبلغ من التصريح في إثبات المعاني في الوصف والمدح، ومرد ذلك إلى "أنهم يرومون وصف الرجل ومدحه، وإثبات معنى من المعاني الشريفة له، فيدعون التصريح بذلك، ويكثون عن جعلها فيه بجعلها في شيء يشتمل عليه ويتلبّس به، ويتوصلون في الجملة إلى ما أرادوا من الإثبات، لا من الجهة الظاهرة المعروفة، بل من طريق يخفى، ومسلك يدق"^(٢٣). ثم ضرب بعد هذا الكلام مجموعة من الشواهد وقف عندها فاحصاً، متأملاً، ومتدوّقاً.

الدراسة التطبيقية: الكناية اللونية في الآيات القرآنية

للون في القرآن الكريم قيمة كونية وحضارية واجتماعية وإنسانية دعانا الباري عز وجل للتأمل فيها؛ إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْلَفَ الْمَسْكُوتَ وَأَلْوَنَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢٤).

وكذا قوله: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ﴾^(٢٥).

تأخذ استعمالات الألوان في القرآن بعداً تصريحيّاً وآخر كنائيّاً، وسنتوقف عند النوع الثاني لعلّفته بموضوع هذا البحث؛ حيث سنعمد إلى تحليل عدد من الآيات التي عني بتوضيحها

وتفسيرها عدد من المفسرين اخترنا منهم الزمخشري^(٢٦) وأبا السعود والطاهر بن عاشور. وسيأتي تبرير هذا الاختيار عند عرض أقوال كل مفسر والتعريف بطريقته في معالجة الكناية اللونية في القرآن.

الكناية باللونين الأبيض والأسود:

ينبغي أن نشير في هذا المقام إلى أن اللون الأبيض هو أكثر الألوان تردداً في القرآن الكريم؛ حيث تكرر اثنتي عشرة مرة، تارة مقترناً باللون الأسود، وتارة يذكر لوحده؛ إما بمعناه الصريح، وإما عن طريق المعنى الكنائي، والنوع الثاني هو ما يمثل مجال اشتغالنا على هذا البحث، ومن بين الآيات القرآنية التي وُظف فيها اللون الأبيض كناية عن غير معناه الأصلي قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى آيِلٍ﴾^(٢٧).

لقد لعبت أوصاف الوجه في القرآن دوراً بارزاً في بيان المعاني المراد إظهارها. فهذا وجه أبيض وهذا وجه مسفر وهذا وجه أسود وهذا وجه عليه غبرة إلى غير هذه الأوصاف^(٢٨). وفي الآية السابقة كُنِيَ عن بياض النهار وسواد الليل بالخيطة الأبيض والخيطة الأسود. قال ابن حبنكة (١٤٢٥هـ): "والمعنى: حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ أَوَّلُ النَّهَارِ الَّذِي يُشَبِّهُ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ عِنْدَ الْفَجْرِ، مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ الَّذِي يَشَبُّهُ الْخَيْطُ الْأَسْوَدُ"^(٢٩).

قال الزمخشري: "الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ هُوَ أَوَّلُ مَا يَبْدُو مِنَ الْفَجْرِ الْمُعْتَرِضِ فِي الْأَفْقِ كَالْخَيْطِ الْمَمْدُودِ. وَالْخَيْطُ الْأَسْوَدُ مَا يَمْتَدُّ مَعَهُ مِنْ غَبَشِ

الليل، شَبَّهَا بِخَيْطَيْنِ أَبْيَضٍ وَأَسْوَدٍ... فزيد (مَنْ الْفَجْرِ) فَكَانَ تَشْبِيهًا بَلِيغًا وَخَرَجَ مِنْ أَنْ يَكُونَ اسْتِعَارَةً"^(٣٠).

وقال أبو السعود (٩٨٢هـ) في تفسيره: "شَبَّهَ أَوَّلَ مَا يَبْدُو مِنَ الْفَجْرِ الْمُعْتَرِضِ فِي الْأَفْقِ وَمَا يَمْتَدُّ مَعَهُ عَنْ غَلَسِ اللَّيْلِ بِخَيْطَيْنِ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ وَاكْتَفَى بِبَيَانِ الْخَيْطِ الْأَبْيَضِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى مَنْ الْفَجْرِ عَنْ بَيَانِ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ لِدَلَالَتِهِ عَلَيْهِ وَبِذَلِكَ خَرَجَا عَنِ الْاسْتِعَارَةِ إِلَى التَّمَثِيلِ"^(٣١).

وإذا عدَّ الزمخشري تشبيه الفجر بالخيطة الأبيض والليل بالخيطة الأسود تشبيهاً بليغاً، فإن أبا السعود عدّه تمثيلاً وإن وافق جار الله في إخراجهم من الاستعارة، وقد خالفهما الطاهر بن عاشور في إرادة التشبيه بالخيطين (١٣٩٣هـ)؛ حيث قال:

"والخيطة هنا يراد به الشعاع الممتد في الظلام والسواد الممتد بجانبه. . . وجعله في (الكشاف) تشبيهاً بليغاً، فلعله لم يثبت عنده اشتهاً إطلاقه على هذا المعنى في غير بعض الكلام. . . وعندي أن القرآن ما أطلقه إلا لكونه كالنص في المعنى المراد في اللغة الفصحى دون إرادة التشبيه؛ لأنه ليس بتشبيه واضح"^(٣٢).

والآية الثانية التي ذكر فيها الأبيض مقترناً بنقيضه الأسود، هي قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾^(٣٣).

قال الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ): "البياض في الألوان ضد السواد، يقال: ابْيَضَّ ابْيَضَاضًا وبياضاً فهو مُبْيَضٌّ وأبْيَضَ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [الآية] والأبيض عرق سمي به

لكونه أبيض، ولما كان البياض أفصل لون عندهم كما قيل البياض أفضل والسواد أهول والحرمة أجمل والصفرة أشكل عبر عن الفضل والكرم بالبياض حتى قيل لمن لم يتدنس بمعاب هو أبيض الوجه، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ فابيضاض الوجوه عبارة عن المسرة واسودادها عن الغم^(٣٤). فالبياض في الوجه رمز المسرة، والسواد فيه رمز للغم والحزن. وقد تأول الزمخشري في الآية السابقة بياض صحيفة المؤمن وسواد صحيفة الكافر بقوله:

" والبياض من النور، والسواد من الظلمة، فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون وإسفاره وإشراقه، وابيضت صحيفته وأشرقت، وسعى النور بين يديه وبيمينه. ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمدته، واسودّت صحيفته وأظلمت، وأحاطت به الظلمة من كل جانب"^(٣٥).

تضمنت الآية السابقة معاني كنائية تستجلي حالات الوجوه: وجوه المؤمنين السعداء المكنى عنها باللون الأبيض، ووجوه الكافرين الأشقياء المكنى عنها باللون الأسود.

قال أبو السعود: " وبياض الوجه وسواده كنيان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه وأهل الباطل بأضداد ذلك"^(٣٦).

يرى أبو السعود أن بياض وجوه المؤمنين وسواد وجوه الكافرين محمول على الكناية التي تدل على ملامح السعادة عند الفئة الأولى، ومتعلقاتها من بهجة وسرور. وربما كان الوجه

الأبيض كناية عن أهل الحق ذوي الصفات البيض والبشرة المشرقة والنور الذي يحف بهم من كل جانب، كما أن الوجه الأسود كناية على ما ضاد ذلك وعاكسه.

والحمل على هذا الوجه أصوب؛ لأنه يؤدي إلى المعنى الكنائي، وهو مفاد دلالة المعنى المجازي من السرور أو الحزن ويؤدي إلى المعنى الحقيقي؛ لأن الكناية لا يمتنع فيها إرادة المعنى الحقيقي^(٣٧). فيوم القيامة زمان والجنة مكان وبياض الوجه يعادل كناية عن موصوف هو الجنة كما أن سواد الوجه يعادل كناية عن موصوف هو النار.

قال مؤلف التحرير والتنوير: "وفي تعريف هذا اليوم بحصول بياض وجوه وسواد وجوه، فيه تهويل لأمره، وتشويق لما يرد بعده من تفصيل أصحاب الوجوه المبيضة، والوجوه المسودة: ترهيباً لفريق وترغيباً لفريق آخر... والبياض والسواد بياض وسواد حقيقيان يوسم بهما المؤمن والكافر يوم القيامة، وهما بياض وسواد خاصان؛ لأن هذا من أحوال الآخرة فلا داعي لصرفه عن حقيقته"^(٣٨).

يرى الطاهر بن عاشور أن وصف وجوه المؤمنين بالبياض ووصف وجوه الكافرين بالسواد يوم القيامة إنما يُحمل على الحقيقة عند إطلاقه، وأن لكل من الفئتين مقصداً يرتبط باللون المحدد: الأبيض للترغيب والأسود للترهيب.

إن المعنى الكنائي الكامن وراء توظيف اللون الأبيض في الآية السابقة يحيل على وجوه أهل السعادة يوم القيامة كما أن في توظيف اللون

الأسود كناية عن وجوه أهل الشقاء يوم الحساب. واللون الأبيض يمثل النقاء والصفاء والصدق والأمانة، وهي الصفات التي يتحلى بها المؤمنون فتنتشر صدورهم يوم القيامة لثقتهم برحمة الله تعالى وعفوه وكرمه، بخلاف اللون الأسود الذي يمثل حالة وجوه أهل النار وما سيحل بهم من كرب وهم وحزن.

الكناية باللون الأبيض:

وقد يكتنى باللون الأبيض في القرآن عن بعض الأمراض مثل العمى (أو ذهاب سواد العين)، من ذلك قوله تعالى في وصف يعقوب عليه السلام: ﴿وَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤) (٣٩).

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: "وَأَبْضَتْ عَيْنَاهُ إِذَا كَثُرَ الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبتة إلى بياض كدر. قيل: قد عمي بصره. وقيل: كان يدرك إدراكاً ضعيفاً" (٤٠).

قال أبو السعود: " {وَأَبْضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ} الموجب للبكاء فإن العبرة إذا كثرت محقت سواد العين وقلبتة إلى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك إدراكاً ضعيفاً روي أنه ما جفت عينا يعقوب من يوم فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً" (٤١).

يلاحظ أن ما جاء على لسان أبي السعود في تفسيره هو صدى لما ذكره الزمخشري في الكشف، أما الطاهر بن عاشور فقد سعى إلى تبرير استخدام الكناية في ابيضاض العينين بدل التصريح بالعمى، وفي ذلك يقول: "وابيضاض العينين: ضُغف البصر. وظاهره أنه تبدل لون

سوادهما من الهزال. ولذلك عبّر بر(وابيضت عيناه) دون (عميت عيناه). و(من) في قوله: (من الحزن) سببية. والحزن سبب البكاء الكثير الذي هو سبب ابيضاض العينين. وعندي أن ابيضاض العينين كناية عن عدم الإبصار" (٤٢).

يشير بياض عين يعقوب إلى ذهاب بصره حزناً على فراق يوسف عليه السلام. ولذلك كانت القرينة الدالة على إرادة الكناية هي (من الحزن) الذي تسبب في كثرة البكاء ومن ثم الإصابة بالعمى.

لقد جاء اللون الأبيض في الآية على سبيل الكناية للتعبير عن شدة الحزن المفضي إلى كثرة البكاء الذي حول سواد العين إلى بياض، ومن ثم إصابة يعقوب عليه السلام بالعمى. ويلاحظ أن الكناية باللون الأبيض في سياق هذه الآية لا تحيل على سعادة المؤمنين يوم القيامة كما في قوله تعالى: يوم تبيض وجوه. بل ترمز إلى وصف العمى بلازمه (ابيضاض العينين).

الحزن ← البكاء ← ابيضت عيناه ←

كناية عن العمى

الكناية باللون الأسود:

من أمثله في القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُرِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٥٨) (٤٣).

قال الطاهر بن عاشور: "التعريض من أقسام الكناية والكناية تجامع الحقيقة. . . واسوداد الوجه: مستعمل في لون وجه الكئيب إذ ترهقه غبرة، فشبهت بالسواد مبالغة" (٤٤).

وعلل أبو السعود الكناية باللون الأسود في الآية السابقة بقوله: "{مُسْوَدًّا} من الكآبة والحياء

من الناس واسودادُ الوجه كنايةً عن الاغتمام والتشويش" (٤٥).

الكناية باللون الأخضر:

قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقِدُونَ﴾ (٨٠) ﴿٤٦﴾.

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: "ذكر من بدائع خلقه انقذاح النار من الشجر الأخضر، مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي توري بها الأعراض وأكثرها من المرخ والعفار، وفي أمثالهم: (في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار)... وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ليس من شجرة إلا وفيها النار إلا العناب" (٤٧).

من حكم الله تعالى اجتماع الماء والنار في الشجر وذلك في الرطوبة واليبوسة، وقد استشهد الزمخشري في بيان كناية الآية بمثل من أمثال العرب وبقوله لابن عباس رضي الله عنهما. وقد نص الطاهر بن عاشور على كناية الاخضرار على رطوبة النبات وحياته، قال: "ليس المراد من الأخضر اللون وإنما المراد لازمه وهو الرطوبة؛ لأن الشجر أخضر اللون ما دام حياً فإذا جفّ وزالت منه الحياة استحال لونه إلى الغبرة فصارت الخضرة كناية عن رطوبة النبات وحياته" (٤٨).

إن اللون الأخضر في الآية السابقة يشير إلى لازمه أي إلى الرطوبة، فجاء قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ وَذَلَّلْنَاهَا...﴾ كناية عن حياة النبات قبل جفافه وبيسه. وكان التعبير الكنائي في الآية قائماً على التضاد، فالماء في الشجر الأخضر هو

نقيض النار، وبعبارة أخرى "فالشجر الأخضر الذي يصبح حطباً للنار هو من آيات خلق الله وعظمته فهو بوصفه الأخضر يعني أنه رطب يسري الماء في أوعيته وتجاويفه، ولكن بقدرة الله يتحول إلى حالة أخرى بعد جفافه ليصبح ناراً" (٤٩). وبذلك دلت الكناية على معنى دقيق هو إخراج الحياة من الموت.

وقد أعاد أبو السعود ما جاء به الزمخشري في تفسير الآية، لكنه أتى بلفتة دالة تقسم النار إلى أربعة أصناف، أحدها نارُ الشجر الأخضر" (٥٠).

وخصص اللون الأخضر في قوله عز من قائل: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٥١)؛ للكناية عن لباس أهل الجنة، جزاء على أعمالهم الصالحة في الدنيا، وقد يخصص للخصب والنمو في معناه الأصلي الدال على الاخضرار الحقيقي، ومثلما ارتبط هذا اللون بالحقول والحدائق والأشجار، ارتبط بالجنة والنعيم في الآخرة. ويعد اللون الأخضر لون الألوان بالنسبة للمسلمين" (٥٢). وقد برّر المفسرون اللون الأخضر في ثياب أهل الجنة بأنه أحسن الألوان وأنفعها للبصر. قال الطاهر بن عاشور: "واللون الأخضر أعدل الألوان وأنفعها عند البصر" (٥٣). وقال أبو السعود: "خُصَّتِ الْخُضْرَةُ بِثِيَابِهِمْ؛ لأنها أحسن الألوان وأكثرها طراوة" (٥٤).

الكناية باللون الأصفر:

اللون الأصفر هو أكثر الألوان ذكراً في القرآن؛ حيث ذكر خمس مرات في خمس آيات (٥٥)، تقتصر منها على تلك التي تضمنت معاني الكناية:

قال تعالى: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَاءَ قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ (٥٦).

نقل الزمخشري في تفسير هذه الآية ما يأتي: "... إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه" (٥٧). فالنظر إلى هذه البقرة في جمال لونها الأصفر شبيه عند جار الله بشعاع الشمس المشرقة، وهو ما يبعث على إدخال السرور على نفس الناظر. ويرى الطاهر ابن عاشور أن اللون الأصفر في البقرة هو ما حسن صورة النظر إليها وليس اللون وحده، يقول: "وهذا اللون من أحسن ألوان البقر فلذلك أسند فعل (تسر) إلى ضمير البقرة لا إلى ضمير اللون فلا يقتضي أن لون الأصفر مما يسر الناظرين مطلقاً" (٥٨).

وليس لون البقرة الأصفر لإدخال البهجة والسرور على الناظر فحسب، بل هو دليل على صحة البقرة وسلامتها من العيوب، فقد قررت أصول علم الطب البيطري أن خير الأبقار وأفضلها، هو ما كان لونها شديد الصفرة في صفاء فاقع، وأنه على قدر صفاء اللون وسلامة الأسنان تكون صحة البقرة" (٥٩).

أما أبو السعود فقد ركز في تفسيره للآية على اقتران (فاقع) بـ (صفراء). قال: "والفقوعُ نصوصُ الصُّفْرَةِ وخلوصُها ولذلك يؤكد به ويقال أصفرُ فاقعٌ كما يقال أسودُ حالكٌ وأحمرُ قاني وفي إسناده إلى اللون مع كونه من أحوال الملون لملاسته به ما لا يخفى من فضل تأكيد كونه قيل صفراءً شديد الصُّفْرَةِ صُفْرَتِهَا" (٦٠).

ومن كنايات اللون الأصفر في القرآن الدالة على الفناء والزوال قوله عز وجل: ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾ (٦١) ..

قال الزمخشري: "وقال: مصفرًا: لأن تلك صفرة حادثة. وقيل: فرأوا السحاب مصفرًا؛ لأنه إذا كان كذلك لم يمطر" (٦٢) .. وبذلك جَوَزَ الزمخشري أن يكون الأصفر كناية عن السحاب أو النبت. وهو ما أقره أبو السعود في قوله: " {ب} بعد خُسْرَتِهِ وقد جَوَزَ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ لِلسَّحَابِ؛ لَأَنَّهُ إِذَا كَانَ مُصْفَرًّا لَمْ يُمَطَّرْ وَلَا يَخْفَى بَعْدَهُ" (٦٣) ..

وذهب صاحب التحرير والتنوير إلى أن الوصف بالاصفرار رهين الحال، يقول: "والمُصْفَرُّ: اسم فاعل مقتضٍ الوصف بمعناه في الحال؛ أي فرأوه يصير أصفر، فالتعبير بـ (مصفرًا) لتصوير حدثان الاصفرار عليه دون أن يقال: فرأوه أصفر" (٦٤) ..

وفي قوله تعالى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوَّلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يَسِيحُ فَرَنَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطًّا ﴾ (٦٥) ..

قال الطاهر بن عاشور: "إن اصفرار النبات أعظم دلالة على التهيؤ للزوال، وهذا هو الأهم في مقام التزهيد في متاع الدنيا. وعطف (فتراه مصفرًا) بالفاء؛ لأن اصفرار النبت مقارب لبيسه" (٦٦) .. وقريب منه ما ورد عند أبي السعود، قال: { فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا } بعد ما رأيته ناضراً مُوَقَّعًا وَقُرِئَ مُصْفَرًّا وإنما لم يقل فيصفرُ إيداناً بآنٍ اصفراره مقارنٌ لجفافه وإنما المترتب عليه رؤيته كذلك" (٦٧) ..

يحيل الاصفرار في الآية السابقة على الإفساد والدمار والفناء؛ لأن اصفرار النبات إيدان بيبوسته وزواله. "وقد جاء اللون الأصفر في الآية كناية عن الموت المرتبط بالزرع في كل هيئاته وأشكاله وألوانه بعد تحوله من ذروة الحياة في تشكيلها الجمالي إلى الموت" (٦٨) ..

الكناية باللون الأزرق:

ذكر اللون الأزرق في القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُفَخُّ فِي الصُّورِ وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ (٦٩) ..

فسر الزمخشري الزرقة في الآية الكريمة من خلال إيراد قولين، قال:

" قيل في الزرق قولان؛ أحدهما: أن الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب؛ لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو: أسود الكبد، أصهب السبال، أزرق العين. والثاني: أن المراد العمى؛ لأن حدقة من يذهب نور بصره تزرأق" (٧٠) ..

بالنظر إلى التفسير الأول: جاءت الكناية باللون الأزرق صفة تحطّ من قدر أعداء العرب الذين يُنعتون بزرقة أعينهم، أما التفسير الثاني فيجعل من الكناية باللون الأزرق إشارة إلى العمى الناتج عن زرقة حدقة العين. وقد عبّر أبو السعود عن كراهية العرب للون الأزرق فقال:

"ويُحشَرُ المجرمون {زُرْقًا} أي حال كونهم زُرُقَ العيون وإنما جعلوا كذلك؛ لأن الزُّرْقَةَ أسوأ ألوانِ العين وأبغضُها إلى العرب" (٧١) ..

وقال الطاهر بن عاشور: " والزرق: جمع أزرق، وهو الذي لونه الزُّرْقَة. والزرقة: لون

كلون السماء إثر الغروب، وهو في جلد الإنسان قبيح المنظر؛ لأنه يشبه لون ما أصابه حرق نارٍ. وظاهر الكلام أن الزرقة لون أجسادهم فيكون بمنزلة قوله: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) (٧٢)، وقيل: المراد لون عيونهم، فقيل: لأن زرقة العين مكروهة عند العرب. والأظهر على هذا المعنى أن يراد شدة زرقة العين؛ لأنه لون غير معتاد، فيكون كقول بشار (٧٣):

وللبخيل على أمواله علل

زُرُقَ العُيون عليها أَوْجَةٌ سُودٌ" (٧٤)

إن اللافت في تفسير الطاهر بن عاشور هو اهتمامه بالبنية الصرفية لكلمة (زُرُق) وهي جمع مفردة (أزرق) كما أشار إلى ذلك، بالإضافة إلى حرصه على توضيح التعبير الكنائي في قوله تعالى (زرقا)، الذي يدل عنده على زرقة لون الأجساد، وهو إذ يستشهد بقوله تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) [الآية]، فإنه يجعل اللونين الأزرق والأسود في مقام كنائي واحد يصوّر وجوه الكافرين عند الحشر وما سيصيبهم من خوف ورهبة من شدة أهوال ذلك اليوم. ثم استشهد صاحب التحرير والتنوير على ما ذهب إليه في تفسير زرقة العيون ببیت لبشار ابن برد سيراً على نهج ابن عباس رضي الله عنهما في استشهاده على القرآن بالشعر، وإظهاراً لقيمة شعر بشار بن برد في نفسه. ولا يخفى أن الطاهر بن عاشور هو من حقّ ديوان الشاعر بشار، واستشهاده به في تفسيره يدل على تنوع مجالات اشتغاله ضمن نسق محدد المعالم واضح المسالك.

الخاتمة:

خلص هذا البحث إلى جملة من النتائج نوجزها في الخلاصة التركيبية الآتية:

تدرجت الكناية في دراسات اللغويين والبلاغيين من المفهوم اللغوي إلى المصطلح البلاغي، ومن ملاحظات مبنوثة متفرقة إلى أبواب مخصصة للتعريف بها وبأقسامها.

إن معظم الدراسات اللغوية التي تناولت الكناية كانت منصبة على تضمينها معنى الستر والإخفاء وجعلها بديلاً للمعنى الأصلي للفظ، وهو ما أسفرت عنه دراسات أبي عبيد القاسم ابن سلام وأبي عبيدة. وقد قدّم الأدباء وعلى رأسهم الجاحظ والمبرد نظرات ثاقبة وإشارات بلاغية لامعة بخصوص الأغراض التي توظف فيها الكناية مثل التلطيف والتنبؤ والاستعاضة عن فاحش الكلام بأنيق العبارة. ومن أعمق ما توصل إليه الجاحظ بلوغ الكناية عنده مبلغ التصريح إذا كثر استعمالها وتداولها. وهذا ملمح هام يربط الكناية بمنحاهما التواصل.

لم ينشغل قدامة بن جعفر بتقسيمات الكناية وأبوابها بقدر ما تناولها بدراسة بلاغية مؤسسة على فهم ثاقب للعلاقة القائمة بين اللفظ الدال على غير معناه أو اللفظ الذي يدل على معنى رديف للفظ غيره وتابع له. وهو ما اصطلاح عليه بالإرداف وإن كان يقصد به الكناية. إذ كلاهما عنده بمعنى واحد. وقد انصب اهتمامه على تحليل النصوص الشعرية التي تضمنت مختلف المعاني الكنائية بيان مواضع الكناية في هذه النصوص والحكم عليها من حيث الجودة والرداءة.

لم تبلغ الكناية مرحلة النضج في الدراسات البلاغية إلا مع عبد القاهر الجرجاني الذي توسّع في تعريفها وتحليل شواهداها، وتوصل إلى أن فهم الكناية يكون عن طريق المعاني المدركة بالعقل والتدبر والبحث في ما وراء العبارة من دلالات عميقة وليس بالاكتفاء بظاهر اللفظ أو بسطح التعبير.

يستشف من دراسة الآيات المتضمنة للكنايات اللونية وتحليلها أن للألوان في القرآن الكريم دلالات مختلفة وفقاً للسياق الذي ترد فيه والمعنى الذي تؤدّيه: فالأبيض قد يدل في التعبير الكنائي على سعادة المؤمنين وإشراق وجوههم وبياض صحائفهم مثلما تدل الكناية باللون الأسود على سواد صحيفة الكافر وكرهه الشديد من هول ما يلقاه من عذاب. وربما دلّت الكناية بالأبيض على الإصابة بالعمى كما في اببيضاض العينين. وتشير الكناية باللون الأخضر إلى رطوبة النبات وحياته كما ورد في التعبير القرآني (الشجر الأخضر)، وقد يكتنّى به عن لباس أهل الجنة مكافأة من الله تعالى لهم على صالح أعمالهم (ويلبسون ثياباً خضرًا).

ويعد اللون الأصفر أكثر الألوان ذكراً في القرآن، ومن دلالاته الكنائية إدخال السرور إلى نفس الناظر (بقرة صفراء فاقع لونها)، كما يرد في سياق آخر إيذاناً بالفناء والزوال (وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا).

وتأتي الكناية باللون الأزرق في القرآن للتعبير عن ملامح الشر عند أعداء العرب (فالروم كانوا يوصفون بزرقة العيون)، وقد

١. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (٨-١)، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مصر، ط١، ٤١١/٥. مادة (كني).
٢. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) (٦-١)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ١٣٩/٥. مادة (كنو).
٣. يمكن في هذا الإطار إيراد تعريف الفيومي (نحو ٧٧٠هـ) للكناية بأنها "أن تتكلم بشيء يستدل به على المكنى عنه". وهو تعريف يشترط فيه صاحبه دلالة المكنى به على المكنى عنه. ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (٧٧٠هـ)، صححه على النسخة المطبوعة بالمطبعة الأميرية: مصطفى السقا، مطبعة البابي الحلبي و أولاده، مصر، ط١، دت. مادة (كني).
٤. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، الجوهري (٦-١)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م. مادة (كني).
٥. لسان العرب، جمال الدين بن منظور الأنصاري (٧١١هـ) (١-١٥)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، مادة (كني).
٦. الكناية، ويليهِ: نظم النثر وأثر الحديث النبوي الشريف فيه، محمد جابر فياض، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص: ٨.
٧. النساء، ٤٣.
٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ)، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٦٣/٧.
٩. الكتاب [كتاب سيبويه (١٨٠هـ)]، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (١-٥) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون (ت ١٩٨٨م)، الهيئة

تشير الكناية بالأزرق على العمى الناتج عن زرقة حدة العين. وعلى العموم فقد أثر عن العرب استبشاعهم للون الأزرق؛ لأن الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها عندهم.

إن الكناية اللونية من المباحث التي لم تستوف حقها من الدراسة والتحليل ضمن البلاغة القرآنية. وتكمن أهمية هذا المبحث في اجتماع ظاهرتي الكناية واللون في القرآن واستثارة الباحث للكشف عن كيفيات تمازجهما داخل السياقات التي تحدد المراد بهما وتكشف عن المعاني المتوخاة في تعبير قرآني بلاغي دقيق يستجلي أغراض الوعد والوعيد والنماء والزوال ويصف مختلف الأوضاع الإنسانية باختلاف الطبائع البشرية. إن الكناية اللونية في القرآن تثير الاستجابة النفسية وتحرك خوالج الذات والوجدان.

تبين إذن أن القرآن الكريم تضمن مجموعة من الآيات التي كني فيها بألوان مختلفة (الأبيض- الأسود- الأخضر- الأصفر- الأزرق-...)، وتبرز قيمة اللون في التعبير الكنائي الذي يضيف عليه من السمات البلاغية ما يجعله موضوع سؤال وتفكير. إن الألوان في القرآن الكريم جاءت لتحقيق موصوفات معينة لها قوتها التأثيرية في القيم الروحية. وتتجلى بلاغة الألوان في القرآن في استخدام التعبير الكنائي لبلوغ المعاني التي لا يتوصل إليها إلا بالتروّي والتأمل. ويظل التعبير الكنائي بالألوان في القرآن محط نظر وتدبر في مسيس الحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة والتحليل.

- المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، ١٩٧٧م، ٥٠٧/٣. بتصرف.
١٠. المصدر نفسه، ١٧٠/٢.
 ١١. الشعراء، ٤.
 ١٢. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، دط، ١٣٨١هـ، ص: ١٢.
 ١٣. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ٨٨/١.
 ١٤. رسائل الجاحظ، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ١٤٠/٣. (ضمن فصل من صدر كتابه في النساء).
 ١٥. كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، صص: ١١٦-١١٧.
 ١٦. كتاب الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ١٢٢/٣. وفي هذا الباب تعليقات للجاحظ تمثل نظرات ثاقبة في تناول الكناية كأسلوب بلاغي له قيمته التعبيرية.
 ١٧. الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، (١-٤)، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م، ٢١٤/٢.
 ١٨. المصدر نفسه، ٢١٥-٢١٦. بتصرف.
 ١٩. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، ص: ١٥٧.
 ٢٠. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط٣، ١٩٩٢م، ص: ٦٦.
 ٢١. التأويل الاستدلالي في الصورة الفنية عند عبد القاهر الجرجاني، الكناية أنموذجاً، عبد الرحمان إكيدر، مجلة جنور، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ع ٣٨، ذو الحجة ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ص: ٥٩.
 ٢٢. دلائل الإعجاز، مصدر مذكور، ص: ٧٢.
 ٢٣. المصدر نفسه، ص: ٣٠٦.
 ٢٤. الروم، ٢٢.
 ٢٥. النحل، ١٣.
 ٢٦. كان من بين الدوافع التي حثتنا على اختيار تفسير "الكشاف" للزمخشري، وقوع الكناية القرآنية عنده في أحسن موقع، وإشادته بقيمتها في أكثر من موضع. يقول جار الله:

"ولا نرى أحسن ولا أطف ولا أحر للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه". وقال أيضًا: "...والفائدة فيه أنه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصاراً ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه".

وقال أيضًا: "...وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة. وفائدته الإيجاز الذي هو من حلية القرآن". ينظر على التوالي: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري (٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ٥٩/٣ و ١٠١/١ و ١٠٢/١.
 - ٢٧. البقرة، ١٨٧.
 - ٢٨. من خصائص الكناية القرآنية، صلاح الدين محمد غراب، مركز آيات للطباعة والكمبيوتر، الزقازيق، مصر، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص: ٢٦٣.
 - ٢٩. البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حَبَّكَة الميداني (١-٢)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ٢٣٢/٢.
 - ٣٠. الكشاف، مصدر مذكور، ٢٣١/١.
 - ٣١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، ص: ٢٠٢/١.
 - ٣٢. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد)، من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١-٣٠)، دار سحنون

نورٌ وإحراقٌ، وهي نارُ الدنيا ونوع لا نورَ له ولا إحراقٌ، وهي نارُ الأشجار ونوعٌ له نورٌ بلا إحراقٍ، وهي نار موسى عليه الصلاة والسلام، ونوعٌ له إحراقٌ بلا نور، وهي نارُ جهنم". ينظر: تفسير أبي السعود، ٧/٦ و ١٨٢/٧.

٥١. الكهف، ٣١.
٥٢. اللغة واللون، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م، ص: ١٦٤.
٥٣. التحرير والتنوير، ٣١٢/١٥.
٥٤. تفسير أبي السعود، ٥/٢٢٠.
٥٥. هي على التوالي: البقرة، ٦٩/الروم، ٥٩/الزمر، ٢١/الحديد، ٢٠/المرسلات، ٣٣.
٥٦. البقرة، ٦٩.
٥٧. الكشف، ١/١٥٠.
٥٨. التحرير والتنوير، ١/٥٥٣.
٥٩. الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم، سليمان بن علي الشعلي، مقال منشور بمجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، مج٤، ع٣، ٢٠٠٧م، ص: ٦٩.
٦٠. تفسير أبي السعود، ١/١١١.
٦١. الروم، ٥١.
٦٢. الكشف، ٣/٤٨٦.
٦٣. تفسير أبي السعود، ٧/٦٥.
٦٤. التحرير والتنوير، ٢١/١٢٥.
٦٥. الحديد، ٢٠.
٦٦. المصدر نفسه، ٢٧/٤٠٥.
٦٧. تفسير أبي السعود، ٨/٢١٠.
٦٨. التدبيج في القرآن الكريم، عبد القادر عبد الله فتحي الحمداي، مقال منشور بمجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، بغداد، مج ١١، ع ٢٤، ص: ١٦٩.
٦٩. طه، ١٠٢.
٧٠. الكشف، ٣/٨٧.
٧١. تفسير أبي السعود، ٦/٤١.
٧٢. آل عمران، ١٠٦.
٧٣. ديوان بشار بن برد (١٦٨هـ)، جمع وتحقيق وشرح: محمد الطاهر بن عاشور (١-٤)، دار

للنشر والتوزيع، تونس، دط، ١٩٩٧م، ١٨٠/٢.

٣٣. آل عمران، ١٠٦.
٣٤. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، دط، ص: ٦٦.
٣٥. الكشف، ١/٣٩٩.
٣٦. تفسير أبي السعود، مصدر مذكور، ٢/٦٩.
٣٧. من خصائص الكناية القرآنية، صلاح الدين محمد غراب، مرجع مذكور، ص: ٢٦٥.
٣٨. التحرير والتنوير، مصدر مذكور، ٤/٤٣. وقال في موضع آخر من تفسيره: "جعل الله اسوداد الوجوه يوم القيامة علامة على سوء المصير كما جعل بياضها علامة على حسن المصير قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾... الآية). ينظر: المصدر نفسه، ٤٩/٢٤.
٣٩. يوسف، ٨٤.
٤٠. الكشف، ٢/٤٩٧.
٤١. تفسير أبي السعود، ٤/٣٠١.
٤٢. التحرير والتنوير، ١٣/٤٣.
٤٣. النحل، ٥٨.
٤٤. التحرير والتنوير، ١٤/١٨٤.
٤٥. تفسير أبي السعود، ٥/١٢١.
٤٦. يس، ٨٠.
٤٧. الكشف، ٤/٣١.
٤٨. التحرير والتنوير، ٢٣/٧٧.
٤٩. التدبيج في القرآن الكريم، عبد القادر عبد الله فتحي الحمداي، مقال منشور بمجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، بغداد، مج ١١، ع ٢٤، ص: ١٦٩.
٥٠. نقل أبو السعود ما يأتي: "قالوا النارُ أربعةُ أصنافٍ صنفٌ يأكل ولا يشرب، وهي نارُ الدنيا وصنفٌ يشرب ولا يأكل، وهي نارُ الشجرِ الأخضر وصنفٌ يأكل ويشرب، وهي نار جهنم وصنفٌ لا يأكل ولا يشرب، وهي نار موسى عليه الصلاة والسلام، وقالوا أيضًا هي أربعةُ أنواعٍ نوعٌ له

سحنون للنشر والتوزيع، تونس-دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ٣/١٢١. ومما ورد في شرح البيت: "وقوله (زرق العيون) تشويه وتوسيم بالشر؛ لأن العرب كانوا سمر الوجوه وزرقة العين لا تناسب السمرة، وكانت العرب تكره زرقة العين وتستبشعها فهي من ملامح الشر عندهم".
٧٤. التحرير والتنوير، ٣٠٤/١٦.

لائحة المصادر والمراجع

- الطاهر بن عاشور التونسي (١-٣٠)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ١٩٩٧م.
- * التدبّيج في القرآن الكريم، عبد القادر عبد الله فتحي الحمداني، مقال منشور بمجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، بغداد، مج ١١، ع ٢٤.
- * جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ)، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- * كتاب الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، د. ط، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- * دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط٣، ١٩٩٢م.
- * ديوان بشار بن برد (١٦٨هـ)، جمع وتحقيق وشرح: محمد الطاهر بن عاشور (١-٤)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس-دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- * رسائل الجاحظ، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- * الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، الجوهري (٦-١)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.
- * كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (١-٨)، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مصر، ط١، دت.
- * الكتاب [كتاب سيبويه (١٨٠هـ)]، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (١-٥) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون (ت ٩٨٨م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م.
- * الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري (٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- * الكناية، ويليّه: نظم النثر وأثر الحديث النبوي الشريف فيه، محمد جابر فياض، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

- * القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.
- * إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، دت.
- * الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم، سليمان ابن علي الشعيلي، مقال منشور بمجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، مج ٤، ع ٣٤، ٢٠٠٧م.
- * الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلام، حققه وعلّق عليه وقّم له: عبد المجيد قطامش، دار المامون للتراث، ط١، ١٩٨٠م.
- * كتاب البرصان والعرجان والعميان والخولان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- * البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حَبَنَكَة الميداني (٢-١)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- * البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، د. ط، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- * التأويل الاستدلالي في الصورة الفنية عند عبد القاهر الجرجاني، الكناية أنموذجاً، عبد الرحمان إكيدر، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ع ٣٨، ذو الحجة ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- * التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد)، محمد

النسخة المطبوعة بالمطبعة الأميرية: مصطفى السقا، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، دط، دت.

* من خصائص الكناية القرآنية، صلاح الدين محمد غراب، مركز آيات للطباعة والكمبيوتر، الزقازيق، مصر، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

* معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) (١-٦)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

* المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، دط، دت.

* نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.

* الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٤-١)، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.

* لسان العرب، جمال الدين بن منظور الأنصاري (٧١١هـ) (١-١٥)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

* اللغة واللون، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.

* مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، دط، ١٣٨١هـ.

* المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (٧٧٠هـ)، صححه علي



الفتوى والقضاء بما جرى به العمل في تراث المالكية بالمغرب الأقصى

د. توفيق البدرى

مدينة سلا - المملكة المغربية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد. من المعلوم أن لكل مذهب من المذاهب الفقهية المشهورة، ميزة متفردة تجعله مختلفاً عن غيره من المذاهب الأخرى، والتي تدعو أهل بلد إلى تفضيله، والميل إليه، واعتماد أصوله وقواعده في الفتوى والقضاء. وفي المذهب المالكي، نلقي مصدراً تشريعياً لم يلتفت إليه، ولم يعتن به أحد من الأئمة كما اعتنى به الإمام مالك (ت ١٧٩ هـ) وهو عمل أهل المدينة، الذي يعد أبرز خاصية اختص بها المذهب المالكي عما سواه. وقد حظي باهتمام كبير عند السادة المالكية في المشرق والمغرب على السواء، فانتصروا له ودافعوا عن حجته. وبتعدد شؤون الحياة الاجتماعية، وظهور نوازل مستجدة، توسع في اعتباره فقهاء المغرب الأقصى خاصة، وبنوا عليه مورداً تشريعياً متفرعاً عنه، يطلق عليه في تراثهم "ما جرى به العمل" وهو اجتهاد تشريعي وفق الأصول العامة للمذهب، قد يقترب منها أحياناً وقد يبتعد؛ لكنه يظل في العموم موصولاً بها، ودائراً في مدارها. وهو أيضاً صناعة فقهية تتأسس على النظر إلى المصالح الشرعية فتتوخى استجلابها، وإلى المفسد فتروم درئها، كما تسعى إلى رفع الحرج والمشقة عن المكلفين، والتيسير عليهم في ممارسة الدين، وإنجاز المعاملات التي يحتاجونها في معاشهم دونما تعارض مع نصوص الشرع ومقاصده. وبغض النظر عن المآخذ التي أثرت حول هذا الأصل، والانتقادات التي واجهها الفقهاء الذين أعملوه في الإفتاء، والقضاة الذين حكموا به، فإنه يدل على قابلية المذهب المالكي للتجديد والعطاء، ومرونته التي جعلته يواكب المستجدات، ويقدم الأجوبة الشرعية على أسئلة العصر. وتروم هذه الدراسة، إبراز جهود علماء المغرب الأقصى في الاجتهاد التشريعي والقضائي من خلال أخذهم بما جرى به العمل، والكشف عن جذوره في المذهب، وماهيته، ودواعي وشروط إعماله، وأهم مسائله، ورأي الفقهاء المتأخرين فيه، وأثره في إثراء الفقه. كل هذا وغيره من القضايا، سيأتي تناوله في المطالب الآتية:

المطلب الأول: حجية العمل في المذهب المالكي

١- تأصيل إمام دار الهجرة لعمل أهل المدينة

اشتهر عن مالك بن أنس إمام دار الهجرة، أخذه بعمل أهل المدينة، فجعله أصلاً من أصول التشريع. هذا ما تدل عليه الرسالة المشهورة التي كتبها رحمه الله تعالى إلى الإمام الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ)؛ حيث بيّن فيها فضل أهل المدينة، وصحة ما اجتمعوا عليه، وما مضى عليه العمل عندهم، فعده حجة في التشريع. ومما ورد في نصها الآتي: "اعلم رحمك الله أنه بلغني أنك تُفتي الناس بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا، وبلدنا الذي نحن فيه، وأنت في إمامتك وفضلك، ومنزلتك من أهل بلدك، وحاجة من قبلك إليك، واعتمادهم على ما جاءهم منك، حقيق بأن تخاف على نفسك، وتتبع ما ترجو النجاة باتباعه. فإن الله عز وجل يقول في كتابه العزيز: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْآخِرُونَ أُولَئِكَ الْمُؤَخَّرُونَ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا﴾ (٢)، وإنما الناس تبع لأهل المدينة، إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن، وأحل الحلال وحرم الحرام؛ إذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم، يحضرون الوحي والتنزيل، ويأمرهم فيطيعونه، ويسن لهم فيتبعونه، حتى توفاه الله واختار له ما عنده، صلوات الله وسلامه

عليه ورحمته وبركاته. ثم قام بمن بعده أتبع الناس له من أمته ممن ولي الأمر من بعده، فما نزل بهم مما علموا أنفذه، وما لم يكن عندهم فيه علم سألوا عنه، ثم أخذوا بأقوى ما وجدوا في ذلك في اجتهادهم وحدثا عهدهم، وإن خالفهم مخالف، أو قال أمراً غيره أقوى منه وأولى، ترك قوله، وعمل بغيره. ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون تلك السبيل ويتبعون تلك السنن. فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهراً معمولاً به لم أر لأحد خلافه للذي في أيديهم من تلك الوراثة التي لا يجوز لأحد انتحالها ولا ادعاؤها. ولو ذهب أهل الأمصار يقولون: هذا العمل الذي ببلدنا، وهذا الذي مضى عليه من مضى منا لم يكونوا من ذلك على ثقة، ولم يكن لهم من ذلك مثل الذي كان لهم.

فانظر - رحمك الله - فيما كتبت إليك به لنفسك، واعلم أي أرجو أن لا يكون دعائي إلى ما كتبت به إليك إلا النصيحة لله تعالى وحده، والنظر لك والظن بك، فأنزل كتابي منك منزله، فإنك إن فعلت تعلم أنني لم ألك نصحاً. وفقنا الله وإياك لطاعته وطاعة رسوله في كل أمر، وعلى كل حال، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته" (٣).

يمكن أن يستفاد من هذه الرسالة العلمية المحضة مستفادات جمّة، يتعلق بعضها بأدب الاختلاف، وجزء منها بمنهج الحوار الرصين، وطرف آخر بمسالك الاستدلال، وغير ذلك، لكن نقتصر في هذا الموضوع على ما يرتبط بالموضوع المدروس. لقد استدل الإمام مالك على حجية عمل أهل المدينة بأدلة قوية أظهرها، أن إضافة العمل إلى أهل المدينة المنورة تنطوي

على دلالة عميقة، فهي دار الهجرة التي جعلها الله تعالى مكان استقرار الرسول صلى الله عليه وسلم، فمكث بها ثلاث عشرة سنة، والوحي يتواتر في النزول حسب الوقائع، وفيها الأنصار الذين آووا المهاجرين، ونصروا الدين. فشهدوا جميعاً التنزيل، وتلقفوا بلهفة وحرص كل ما يصدر عنه صلى الله عليه وسلم من أقوال، وأفعال، وتقاريرات^(٤)، فحفظوه ووعوه، والتزموا به في واقعهم. ثم إن المدينة كانت موطناً لكبار فقهاء الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ومنهم الخلفاء الراشدون، وغيرهم كثير، فصانوا الإرث النبوي، وبلغوه بأمانة كما تلقوه إلى التابعين ثم انتقل إلى تابعيهم، فبرز منهم فرسان انتهى إليهم العلم وآلت إليهم الفتوى بعد غياب طبقة الصحابة الكرام، ومن هؤلاء فقهاء المدينة السبعة^(٥).

ويحسن التنبيه هنا إلى أنه لم يرد في كتب السير والتراجم أن الإمام مالك، رحل في طلب العلم مثل ما كان يفعل جل العلماء في عصره؛ لاعتقاده أن المدينة مهد العلم.

وقد سعى الإمام مالك إلى تدقيق بعض المفاهيم التي أوردها في الموطأ، والمتصلة بعمل أهل المدينة حتى يزيل عنها أي إشكال أو لبس. روى الحافظ إسماعيل بن أبي أويس (ت ٢٢٦هـ) عن مالك بيان قوله: *الأمر المجتمع عليه عندنا* فقال إسماعيل بن أبي أويس: "سألت خالي مالكا - رحمة الله عليه - عن قوله في الموطأ: *الأمر المجتمع عليه والأمر عندنا* ففسره لي فقال: أما قولي *الأمر المجتمع عليه عندنا* الذي لا اختلاف فيه، فهذا ما لا اختلاف فيه قديماً ولا حديثاً. أما قولي: *الأمر المجتمع عليه*

فهو الذي اجتمع عليه من أرضى من أهل العلم وأقندي به، وإن كان فيه بعض الخلاف. وأما قولي: *الأمر عندنا وسمعت بعض أهل العلم* فهو قول من أرتضيه وأقندي به وما اخترته من قول بعضهم"^(٦). رغم هذا التوضيح المقتضب، فقد ظل هذا الأصل موضع خلاف كبير بين أئمة المذاهب الأخرى وعلماء المذهب المالكي، الأمر الذي دفع فقهاء المذهب إلى تحرير القول فيه أكثر، وبيان مقصود الإمام مالك منه.

٢ - عمل أهل المدينة عند المحققين من المالكية

انبرى للذِّبِّ عن أصول فقه مالك التي اعتمدها وبخاصة عمل أهل المدينة كثير من أعلام المذهب المالكي، نذكر منهم - على سبيل المثال لا الحصر - أبا الحسن علي البغدادي المعروف بابن القصار المالكي (ت ٣٩٧هـ) والقاضي عبد الوهاب البغدادي (ت ٤٢٢هـ) ومحمد ابن الفخار القرطبي (ت ٤١٩هـ) والقاضي عياض السبتي (ت ٥٤٤هـ)؛ حيث استقر رأي هؤلاء المحققين مع اختلاف يسير بينهم، على أنه إذا جرى العمل في مسألة معينة، واتفق عليها علماء المدينة، فهو حجة عند مالك، ويقدم على خبر الواحد؛ لأنه عنده أقوى منه، أي أن ماضى عليه العمل في المدينة من لدن فقهاءها هو بمثابة روايتهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورواية جماعة عن جماعة أولى بالتقديم من رواية فرد عن فرد. وقد نقل مالك في الموطأ إجماع أهل المدينة على أكثر من أربعين مسألة. والذي هو معتبر عند المالكية بلا خلاف، هو عمل أهل المدينة النقلي لا الاجتهادي، فالنقلي كنقلهم تعيين محل منبره، وقبره، ومحل وقوفه للصلاة عليه

السلام، ونقلهم الأذان للصبح قبل الفجر، وتنثية الأذان، وإفراد الإقامة، وترك الجهر بالبسملة في الصلاة، ومقدار الصاع والمد، وإسقاط الزكاة في الخضر، وغير ذلك^(٧).

فالعمل المنقول عن أهل المدينة إما أن يكون مبناه على التوقيف والنقل، وإما على الاجتهاد والاستدلال. فالأول حجة عند المالكية باتفاق. وأما الثاني فاختلّفوا فيه على ثلاثة أقوال:

* أنه ليس بحجة ولا فيه ترجيح، وهو قول أكثر المالكية.

* أنه ليس بحجة ولكنه يرجح على اجتهاد غيرهم، وبه قال بعض المالكية، ورده بعضهم مثل أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ).

* أنه حجة مطلقاً، قاله ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) وأكثر المغاربة^(٨)، وحكوه عن مالك، ورده كبار فقهاء المذهب كالقاضي عبد الوهاب وعياض، ونفى أبو الوليد الباجي (ت ٤٧٤ هـ) أن يكون في كلام مالك ما يدل عليه، قال: "ولم يحفظ عنه - أي مالك - من طريق ولا وجه أن إجماع أهل المدينة في ما طريقه الاجتهاد حجة عنده"^(٩).

٢ - رأي علماء المذاهب الأخرى في عمل أهل المدينة

رد كثير من العلماء عمل أهل المدينة، وفي مقدمتهم الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)؛ حيث قال: "وما عرفنا ما تريد بالعمل إلى يومنا هذا. وما أرانا نعرفه ما بقينا"^(١٠) وعدّ إجماع أهل المدينة، لا ينفصل عن إجماع الأمة. ومحمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩ هـ) صاحب أبي حنيفة

ألف كتاب الحجة على عمل أهل المدينة، وابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) بالغ في التشنيع على المالكية في مصنفاته وبخاصة في كتابه "الإحكام في أصول الأحكام" واستعمل ألفاظاً غاية في القسوة مثل: الفساد، والتمويه، والكذب، وعدم الاستحياء، ووصفهم بقوله: "وهم أترك خلق الله تعالى لإجماع أهل المدينة حقاً"^(١١). والخطأ الذي وقع فيه ابن حزم وغيره من الأئمة الذين رفضوا حجية عمل أهل المدينة، أنهم تناولوا المسألة في مبحث الإجماع، وظنوا أن الإمام مالك وأصحابه، يرون أن الإجماع هو إجماع أهل المدينة، وهذا ما لم يقله مالك، فقد تبين مما سبق إيراد من كلام بعض المحققين، أن عمل أهل المدينة فيه تفصيل، ولا يمكن أخذه على إطلاقه، ثم إن المالكية يفرقون بين الإجماع والعمل، فالأول أصل تشريعي مستقل عن الأصل الثاني. ومن المؤيدين له الإمام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) وابن القيم (ت ٧٥١ هـ). فقد كتب ابن تيمية رسالة في شأن قواعد الإمام مالك وصحة مذهبه، ومما قاله: "والتحقيق في مسألة إجماع أهل المدينة أن منه ما هو متفق عليه بين علماء المسلمين، ومنه ما لا يقول به إلا بعضهم. وهو على أربع مراتب:

الأولى: ما يجري مجرى النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثل نقلهم لمقدار الصاع والمد، وكتربك صدقة الخضراوات والأحباس، فهذا مما هو حجة باتفاق العلماء. قال أبو يوسف (ت ١٩٢ هـ) رحمه الله، وهو أجل أصحاب أبي حنيفة، لما اجتمع بمالك وسأله عن هذه المسائل وأجابه مالك بنقل أهل المدينة المتواتر، رجع أبو يوسف إلى قوله، وقال: لو رأى صاحبي مثل ما رأيت لرجع مثل ما رجعت.

المرتبة الثانية: العمل القديم بالمدينة قبل مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، فهذا حجة في مذهب مالك، وهو المنصوص عن الشافعي، وكذا ظاهر مذهب أحمد أن ما سنه الخلفاء الراشدون، فهو حجة يجب اتباعها.

المرتبة الثالثة: إذا تعارض في المسألة دليلان، كحديثين وقياسين جهل أيهما أرجح، وأحدهما يعمل به أهل المدينة، ففيه نزاع، فمذهب مالك والشافعي أنه يرجح بعمل أهل المدينة، ومذهب أبي حنيفة أنه لا يرجح بعمل أهل المدينة، ولأصحاب أحمد وجهان: أحدهما أنه لا يرجح به، والثاني، يرجح به.

المرتبة الرابعة: فهي العمل المتأخر بالمدينة، فهذا هل هو حجة شرعية يجب اتباعه أم لا؟

فالذي عليه أئمة الناس أنه ليس بحجة شرعية، هذا مذهب الشافعي وأحمد وأبي حنيفة وغيرهم^(١٢).

المطلب الثاني: العمل عند المالكيين المغاربة

ظهر مما سبق ذكره أن عمل أهل المدينة أصل تشريعي معتبر عند مالك، وبانتشار مذهبه في أقطار عديدة، ومنها الغرب الإسلامي، انتقلت فكرة "العمل" إلى فقهاء أهل المغرب، وتوسعوا فيها كثيرًا، فصارت العبارة التي تدل عليها عندهم هي "ما جرى به العمل" التي تتفق من حيث المبدأ مع عمل أهل المدينة، وتختلف عنه في الاعتبارات كما سيظهر لاحقًا. ويرتبط هذا الأصل المذكور عند الفقهاء المغاربة، بجملة من المصطلحات المتعلقة بمراتب الفتوى في المذهب المالكي، ولايتأتى إدراك مفهومه عندهم

إلا بمعرفة دلالات تلك العبارات الاصطلاحية.

١- ماب الفتوى والقضاء في المذهب المالكي

تتبع الفتوى الفقهية عند السادة المالكية، مسارًا خاضعًا لدرجات ومراتب. فمن المعلوم في المذهب أن يُروى عن الإمام مالك قول أو قولان أو أكثر في المسألة الواحدة، وتُنقل آراء لتلامذته في مسائل لم يرد فيها عن مالك رأي، أو له فيها قول لكنهم خالفوه بمسائل جارية وفق أصول مؤسس المذهب، وتسمى هذه الآراء في المذهب بالأقوال، وما اختلف فيه الناقلون عن مالك يطلق عليه الروايات. ثم إن هذه الأقوال والروايات التي ظهرت في المذهب المالكي ليست على درجة واحدة من جهة القوة، بل ثمة تفاوت بينها حسب ما يقوي هذا القول أو تلك الرواية من أدلة، لذلك درج الفقهاء على ترتيبها على هذا النحو:^(١٣)

* القول المتفق عليه: وهو اتفاق أهل المذهب المالكي دون غيرهم من علماء المذاهب الأخرى، فهو بمثابة الإجماع داخل المذهب.

* القول الراجح: هو القول الذي يستند إلى دليل قوي وإن كان عدد القائلين به قليلًا، وإذا كان المفتي أهلاً للترجيح، أفتى بما اقتضت القواعد ترجيحه عنده، وإلا قلد شيوخ المذهب في الترجيح، فيفتي بما رجحوه.

* القول المشهور: اختلف في حقيقته على ثلاثة أقوال، الأول: ما كثر قائله. والثاني: ما قوي دليله، والثالث: إنه قول ابن القاسم (ت ١٩١هـ) في المدونة؛ لأنه لزم شيخه مالكا أكثر من عشرين سنة، فكان أعلم من

غيره بالمتقدم والمتأخر من أقواله. والقول الأول هو الصواب؛ لأن جمهور الفقهاء يقدمون الراجح على المشهور، فإذا فُسر بما كثر قائله، سيكون مرادفًا له في المعنى. والفرق بينه وبين الراجح - مع أن كلا منهما له قوة على مقابله - هو أن الراجح نشأت قوته من الدليل نفسه، من غير نظر للقائل. والمشهور نشأت قوته من القائل. فإن اجتمع في قول سبب الرجحان والشهرة ازداد قوة، وإلا كفى أحدهما. فإن تعارضا بأن كان في المسألة قولان أحدهما راجح والآخر مشهور؛ فمقتضى نصوص الفقهاء والأصوليين أن العمل بالراجح واجب.

* القول المساوي لمقابله: يكون القول المساوي لمقابله عند عدم الترجيح بين القولين، بأن يكونا في مرتبة واحدة من جهة القولين في ذاتهما، ومن جهة قائلهما؛ لأنه إذا كان أحد القائلين بقول يمتاز عن القائل الآخر بصفة من الصفات كالعلم والورع، فإن مثل هذه الصفات موجبة للرجحان.

* القول الشاذ: هو الذي لم يكثر قائله، أي لم يصدر عن جماعة، وفي الغالب يطلق على مقابل المشهور.

* القول الضعيف: هو ما لم يقوَ دليله، بأن يكون عارضه ما هو أقوى منه، أو يكون مخالفًا للإجماع أو النص أو القياس الجلي أو القواعد العامة^(١٤).

٢ - الفتوى والقضاء بما جرى به العمل

تأسيسًا على ما سبق، فإن ما جرى به العمل سيستقي مضمونه من الموازنة والترجيح بين هذه

المراتب المذكورة آنفًا، لذا فقد نظر إليه الفقهاء بوصفه مرجحًا، ووضعوا له ثلاثة تعريفات:

الأول: الأخذ بقول ضعيف أو شاذ، في مقابل الراجح، أو المشهور، لمصلحة أو ضرورة أو عرف.

الثاني: هو حكم القضاة بالقول وتواطؤهم عليه، من غير أن يكون كل ما حكم به قاض جرى به العمل.

الثالث: اختيار قول ضعيف والحكم به، والإفتاء بمقتضاه، وتماثل الحكام والمفتين بعد اختياره، على العمل به لسبب اقتضى ذلك.

ومعنى ذلك، أن هناك مسائل حدث في شأنها اختلاف بين فقهاء المذهب، فيعتمد بعض القضاة إلى الحكم بقول يخالف المشهور لسبب من الأسباب كدرء مفسدة، أو خوف فتنة، أو جريان عرف في الأحكام التي مستندها العرف، أو تحقيق مصلحة، فيأتي من بعده ويقندي به. كل هذا وفق أصول المذهب المالكي؛ لأنه إذا كان العمل بالشاذ أو الضعيف لدرء المفسدة، فهو على أصل مالك في سد الذرائع، وإذا كان لجلب مصلحة، فهو على أصله في اعتبار المصلحة، والأمر نفسه بالنسبة للعرف^(١٥).

يقول ابن عرضون الكبير (ت ١٠١٢هـ) في تسويغ الأخذ بما جرى به العمل وترجيحه على المشهور: "ولم يزل أهل الفتوى والقضاء يختارون الفتوى بقول شاذ، ويحكمون به لدليل ظهر لهم في ترجيحه، وقد خالف أهل الأندلس مالكا في مسائل، وهم على ما كانوا عليه من ملازمة مذهب مالك وتدوينه وإقرائه وتدريسه، فخالفوه في مسائل، وعملوا فيها بأقوال مخالفة،

وجرى بذلك العمل عندهم، واستمر عليه إلى الآن القضية، ومسائل كثيرة جرى فيها العمل بخلاف المشهور، وهي مدونة في كتب المتأخرين يعرفها من له مطالعة بالعلم^(١٦).

وفي واقع الأمر لما أقفل باب الاجتهاد سدًا لذريعة من قد يدعيه دون التمكن من شروطه، فتح فقهاء المالكية بابًا آخر له عن طريق ما جرى به العمل حين طرأت نوازل، وحدثت للناس أفضية جديدة، كان لزامًا على المفتين التصدي لها والإجابة على مشكلاتها، وذلك بالنظر في أقوال المذهب المهجورة، والآراء المتروكة؛ ليكون لها حظ من التأصيل والتقويم، فيعمل بها في مجال القضاء والإفتاء. فهو بهذا يكون مسلًا اجتهاديًا ضمن المذهب وفي إطاره، يعتمد على اختيار قول ضعيف من عالم، أو قاضٍ مجتهد قادر على مقابلة القول الضعيف، أو الشاذ، بالراجح أو المشهور، والنظر إلى الأدلة التي يقوى بها ذلك القول على غيره^(١٧).

٢- تقديم ما جرى به العمل على القول بالراجح والمشهور

أنف القول: إن مابه الفتوى في المذهب، القول المتفق عليه، والراجح، والمشهور، والقول المساوي لمقابله، وما جرى به العمل. لكن هذه الأصول ليست على درجة واحدة من جهة الاحتجاج والاعتماد، فعند التعارض يقدم المتفق عليه الذي يشبه الإجماع داخل المذهب، ويأتي في المرتبة الثانية ما جرى به العمل، وفي الثالثة الراجح، وفي الرابعة المشهور، والخامسة القول المساوي لمقابله.

قال عبد الرحمن الفاسي (ت ١٠٩٦هـ) في منظومة العمل:

ومابه العمل دون المشهور

مقدم في الأخذ غير مهجور

يقول محمد بن أبي القاسم السجلماسي (ت ١٢١٤هـ) شارحًا لهذا البيت: "يريد أن القول الشاذ إن جرى عليه عمل القضية، واستمر حكمهم به، مقدم في الأخذ به على القول المشهور، فيجب على القاضي الحكم به، ويمضي حكمه به ولا ينقض، وإن كان ما جرى به العمل غير مشهور^(١٨). وقد جاء على السنة كثير من الفقهاء أن ما جرى به العمل مقدم في الفتوى على المشهور. ووجه تقديم الجاري به العمل على المشهور مع أن كلاً منهما راجحًا من وجه، أن في الخروج عنه تطرق التهمة إلى الحاكم، فوجب عليه اتباع العمل سدًا للذريعة، وهذا في حق المقلد الصرف، أما المجتهد، فالذي يدل عليه كلام العلماء، وجوب اتباع الراجح. أما إذا رجح بعض المتأخرين المتأهلين للترجيح قولًا مقابل المشهور لسبب قوي، وأجروا به العمل في الحكم، تعين اتباعه فيقدم لرجحانه على المشهور بموجبه لا بداعي الهوى^(١٩).

المطلب الثالث: شروط الأخذ بما جرى به العمل

لقد وضع الفقهاء جملة من الشروط والضوابط ليصح الأخذ بما جرى به العمل حتى لا يحصل الاسترسال في اعتماده في الفتوى والقضاء بصورة مطلقة دون تقييد؛ لأن الأصل في هذا المضمار عدم جواز الحكم أو الإفتاء بالمرجوح الذي يندرج تحته القول الشاذ والضعيف. وقد حكى القرافي (ت ٦٨٤هـ) الإجماع على ذلك. وقال ابن عرفة الورغمي التونسي (ت ٨٠٣هـ):

فحيث لم تثبت له الأهلية
تقليده يُمنع في النقليه
خامسها معرفة الأسباب
فإنها مُعينة في الباب(٢١)

ووجه اشتراط الشرط الأول: أن قول القائل في مسألة معينة: هذا القول المقابل للمشهور جرى به العمل، قضية نقلية إن بُني عليها حكم شرعي فلا بد من إثباتها بنقل صحيح. يقول العلامة محمد ميارة الفاسي (ت ١٠٧٢هـ) بخصوص هذا الشرط: "ويصح أن العمل جرى على ذلك غير مامرة من العلماء المقتردى بهم، وثبت ذلك إنما يصح بشهادة العدول المتنبئين في المسائل، ممن لهم معرفة في الجملة، والعمل المذكور جار على قوانين الشرع وإن كان شاذًا، لا كل عمل، ولا يثبت العمل بما نراه الآن، وهو أن يقول بعض عوام العدول، ممن لا خبرة له بمعنى لفظ المشهور أو الشاذ: جرى العمل بكذا؛ فإذا سأله عن حكم به، أو أفتى من العلماء، توقف أو تزلزل، فإن مثل هذا لا يثبت به مطلق الخبر فضلاً عن حكم شرعي"(٢٢). ويثبت جري العمل أيضًا بنص عالم يوثق به، فلا يتوقف على الشهادة كما ذكر ميارة الفاسي.

وأما بالنسبة للشرط الثاني والثالث، فإنه إذا جهل المحل أو الزمان الذي جرى فيه العمل، لم تتأت تعديته إلى محله الذي يراد تعديته إليه. إذ للأمكنة خصوصيات كما للأزمنة خصوصيات، فإذا ثبت أن أهل بلدة من البلاد جرى عملهم في زمان ما في قضية ما، فلا يجوز لأهل بلدة أخرى الاقتداء بهم، بأن يأخذوا بمثل ما أخذوا به في بلد أو زمان مغاير، إذ قد يكون لهم مصلحة في ذلك،

لا يعد من أحكام القضاة إلا ما لا يخالف المشهور ومذهب المدونة"(٢٠) وإنما يصار إليهما لمصلحة شرعية حقيقية أو ضرورة أو عرف معتبر. وكل ذلك وفق شروط رتبها علماء المذهب على هذا النحو:

الأول: ثبوت جريان العمل بذلك القول.

الثاني: معرفة جريانه عامًا أو خاصًا بناحية من البلدان.

الثالث: معرفة زمانه.

الرابع: معرفة كون من أجرى العمل من الأئمة المقتردى بهم في الترجيح.

الخامس: معرفة السبب الذي لأجله عدلوا عن المشهور إلى مقابله.

وقد نظم هذه الشروط النابغة الغلاوي فقال:

شروط تقديم الذي جرى العمل

به أمور خمسة غير همَل

أولها ثبوت إجراء العمل

بذلك القول بنص يُحتمل

والثاني والثالث يلزمان

معرفة المكان والزمان

وهل جرى تعميما أو تخصيصا

ببلد أو زمن تنصيصا

وقد يخص عمل بالأمكنة

وقد يعم وكذا في الأزمنة

رابعها كون الذي أجرى العمل

أهلا للاقتداء قولاً وعمل

ولا تتوفر في غيرها.

أما الشرط الرابع: حقيقته أن يصدر العمل من العلماء الراسخين الممارسين لصناعة الفتوى والقضاء، فهم الأقدر على الترجيح بين الأقوال وتحديد مراتبها من جهة القوة والضعف، وتعليل موجب جري العمل كجلب مصلحة أو درء مفسدة أو عرف. يقول صاحب شرح خطبة المختصر: "فإن العمل من المقلد بما جرى به العمل تقليد لمن أجراه، وإذا لم يعرف من أجراه لم تثبت أهليته، إذ ربما عمل بعض القضاة بالمرجوح لجهله أو جوره، لا لموجب شرعي، فيتبعه من بعده بنحو ذلك، فيقال: جرى به العمل، ولا يجوز التقليد في الجور والجهل. وقد سألت قاضياً ممن مارس صناعة القضاء، ونشأ بين أهلها عن مستندهم في بعض المسائل جرى عملهم فيها بغير المنصوص - إذا لم أجد لها مستنداً، ولو شاذاً - فلم يجد جواباً، ولم يعرف من أجراه أولاً، وسألت آخر عن مثلها فكان كذلك" (٢٣).

أما الشرط الخامس: فإنه إذا لم يُعرف موجب جري العمل امتنعت تعديته لجواز أن يكون الموجب معدوماً في البلد الذي يريد تعديته إليه. وقد يكون الموجب مصلحة أو عرفاً أو ضرورة أو حاجة أو ما شابه ذلك. ولا يكفي شرط العلم بالسبب الداعي لتقديم ما جرى به العمل على المشهور، بل يجب التحقق من استمرار الموجب، وإلا تعين الرجوع إلى القول السابق. قال الشيخ محمد المسناوي (ت ١١٣٦ هـ): "إذا جرى العمل ممن يقتدى به بخلاف المشهور لمصلحة وسبب، فالواقع في كلامهم أنه يعمل بما جرى به العمل وإن كان مخالفاً للمشهور، وهو ظاهر إذا تحقق استمرار تلك المصلحة وذلك السبب،

وإلا فالواجب الرجوع إلى المشهور وهذا هو الظاهر. " (٢٤) ومن الأمثلة على انقطاع العمل، حكم العلماء بقول ابن القاسم في مسألة تصرف السفينة قبل الحجر عليه، ثم رجعوا إلى المشهور الذي هو قول مالك، ولا يكون ذلك إلا عند انعدام المصلحة. ثم رجعوا إلى قول ابن القاسم لانقلاب المصلحة. قال ابن هلال السجلماسي (ت ٩٠٣ هـ) في نوازل: "وبهذا العمل عندنا منذ خمسين سنة، وبه أفتى الشيوخ، وحكم حكام البلاد الآن، ويفتي مفتيهم، وبه نفتي نحن، وهذا أمر شائع وذائع، يعرفه العامة الممارسون لأمر الخصام. ولعمري إنه هو الصواب" (٢٥). هذا النص يوثق لرجوع الفقهاء إلى اعتماد القول المشهور، والتخلي عما جرى به العمل إذا انتفت المصلحة الداعية إليه ولم تعد قائمة.

المطلب الرابع: أنواع ما جرى به العمل

* عمل مطلق، وهو الذي لا يتعلق بمكان مخصوص في الغالب، ولا يرتبط بالعرف الخاص، بل مرجعه إلى العرف العام، أو تبدل المصالح والعلل، أو فساد الزمان، أو تطور الأوضاع العامة، فهو غير مقيد بمحل محدد. ولقد نظم الشيخ أبو القاسم الفلالي السجلماسي منظومة في العمل المطلق سماها: "معتمد الحكام في مسائل الحكام"، ثم شرحها في كتابه: "فتح الجليل الصمد في شرح التكميل والمعتمد".

* عمل خاص، وهو المحصور ببلدة محددة، مثل العمل القرطبي، والعمل الفاسي (٢٦)، والعمل السوسي (٢٧)، بحيث تجري به أحكام لا تطبق إلا فيهما، لوجود الباعث على ذلك. ومما أُلِف في هذا الباب نظم "العمل الفاسي" (٢٨)

ومقتضاهما معاً مشروع

في غير ما خالفه المشروع^(٣٢)

ولا يفرق علماء المالكية بين العرف والعادة، فهما عندهم بمعنى واحد، وإنما ميزوا بين العادات الشرعية، وهي ما أقرها الدليل الشرعي أو نفاها، وبين العادات الجارية بين الخلق بما ليس في نفيه ولا إثباته دليل شرعي.

أما الأولى فهي تابعة لدليلها الشرعي. وأما الثانية فقد تكون ثابتة وقد تتبدل، ومع ذلك فهي من أسباب الأحكام تترتب عليها. فالثابتة كوجود شهوة الطعام، والشراب والمشي وأشباه ذلك. وأما المتبدلة فمنها ما يكون متبدلاً في العادة من حسن إلى قبيح، مثل كشف الرأس، فإنه يختلف حسب البقاع، فهو لذوي المروءات قبيح في البلاد الشرقية، وغير قبيح في البلاد المغربية، فالحكم الشرعي يختلف باختلاف ذلك. ومنها ما يختلف في التعبير عن المقاصد فتتصرف العبارة عن معنى إلى عبارة أخرى، وهو ما يجري في الأيمان والعقود والطلاق. ومنها ما يختلف في المعاملات ونحوها، كما إذا كانت العادة في الزواج قبض الصداق قبل الدخول، أو البيع يكون بالنقد لا بالنية أو بالعكس. والاختلاف في العوائد ليس اختلافاً في أصل الخطاب الشرعي، وإنما هو اختلاف في رجوع كل عادة إلى أصل شرعي يحكم به عليها.

فالعوائد أو الأعراف تُعدُّ سبباً للأحكام الشرعية. فهي بهذا الاعتبار من مصادرها. ولذلك كانت سبباً في الأخذ بما جرى به العمل. وقد نص أبو زيد الفاسي في مقدمة عملياته، أنه يعتمد على العرف لرفع الخلاف في المسألة

لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، نظم فيه رحمه الله ما جرى به عمل أهل فاس في بضع وعشرين وأربع مائة بيت^(٣٩). ونظم "عمل سوس" لأبي زيد عبد الرحمن الجشتيمي (ت ١٢٦٩هـ)، ومنظومة العمل التطواني^(٣٠) لأبي العباس أحمد الرهوني التطواني (ت ١٣٧٣هـ).

المطلب الخامس: دواعي الأخذ بما جرى به العمل

إن لجوء المفتين والقضاة إلى العدول عن الأقوال المشهورة أو الراجحة داخل المذهب في بعض النوازل راجع لأسباب شرعية اقتضته في نظرهم، ولا دخل للهوى أو الأغراض أو التشهي في ذلك. فالرغبة في التوسعة، والخروج من المضائق، ورفع المشقة والحر، وجلب التيسير على المكلفين، كانت دوافع رئيسة للإفتاء بما جرى به العمل إذا اطرده وثبت بشروطه المذكورة سلفاً، ولو كان يستند إلى قول شاذ أو ضعيف. وحتى لا يقع انفلات وتوسع في هذا المسلك بلا قيود، حصر الفقهاء الأسباب الموجبة له في أمور مدارها على العرف، وسد الذريعة، وجلب المصلحة، والحاجة، والضرورة. وفيما يلي تفصيل لمقصود العلماء من تلك الدواعي.

١- العرف: هو ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول، وتلقته الطبائع بالقبول. ويشترط لإعماله ألا يخالف نصاً شرعياً، بمعنى أن يكون صحيحاً وليس فاسداً^(٣١). جاء في منظومة البوطليحية ما يأتي:

والعرف ما يغلب عند الناس

ومثله العادة دون باس

المختلف عليها^(٣٣). وحض الإمام القرافي المفتين على ضرورة اعتباره في الفتوى فقال: "وعلى هذا القانون تراعى الفتاوى على طول الأيام، فمهما تجدد في العرف عدّه، ومهما سقط أسقطه، ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمره؛ بل إذا جاءك رجل من غير أهل إقليمك يستفتيك، لا تُجره على عرف بلدك، واسأله عن عرف بلده، وأجره عليه، وافته به دون عرف بلدك، والمقرر في كتبك، هذا هو الحق الواضح، والجمود على المنقولات أبداً ضلال في الدين، وجهل بمقاصد علماء المسلمين، والسلف الماضين"^(٣٤). وعن وظيفة العرف قال علي بن القاسم الزقاق الفاسي (ت ٩١٢هـ) في لاميته المشهورة:

بيان وتخصيص وتفسير مُبهم شهيد

وتقييد لُعرفٍ جرى حُلا

به الحُكم والفتوى فإن صح ما جرى

من العرف فاحكم ناظرا ومُنحلا

صحيحاً وضداً والذي هو غالب

فأعط لكل ما اقتضاه وكَملا

شَرَحَ ميارة الفاسي هذه الأبيات بقوله: "إن العرف الجاري بين الناس في موضع التداعي، يُبين اللفظ المجمل الواقع في وثيقة، أو في لفظ أحد المتداعيين، ويخصص العام، ويفسر المبهم، ويشهد لمدعيه عند النزاع، ويقيد المطلق. وقول الناظم: (فإن صح) أي ثبت جريان العرف بشيء، فاحكم بما يقتضيه ذلك العرف حال كونك ناظرًا للصحيح وضده، وهو الفاسد والغالب، فما اقتضى العرف صحته فاحكم بصحته. لكونه أصلاً كالأنكحة والبيوع ونحوها، وما اقتضى

العرف فساده، وأن الناس إنما يفعلونه على وجه فاسد، فاحكم بفساده"^(٣٥).

وهكذا أجمع فقهاء المالكية على أن العرف أو العادة، ركن من أركان البناء الفقهي التشريعي، فحملوا كثيراً من الأحكام على مقررات الأعراف والعادات وأحوال الناس في أزمانهم وأقوالهم، وبذلك اشترطوا على القاضي معرفة عادات البلد الذي يقضي به، فإن ذلك يمنعه من الجمود على النصوص والروايات. وقد بنوا على ذلك جملة من القواعد الفقهية، التي أضحت أموراً مقررة شرعاً عند الإفتاء، أكسبت الفقه المالكي جدة وتطوراً، ومنها: (المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً) و(المعروف بالعرف كالمعروف بالنص) و(الثابت بالعرف ثابت بدليل شرعي) و(العادة محكمة) و(العرف في الشرع له اعتبار) و(المتنع عادة كالمتنع حقيقة) ومقتضى هذه القواعد أن الأحكام المبنية ابتداء على اعتبار العرف، لا تنصف بالديمومة، ولا تمتد في الزمان، بل إن الأحكام المترتبة على العوائد، تدور معها حيث دارت، وتبطل معها إذا بطلت. فحين يتجدد العرف يتغير الحكم المبني في الشريعة على مراعاة العادة^(٣٦).

١-١ الفرق بين ما جرى به العرف وما جرى به العمل

اجتهد بعض الفقهاء في وضع فروق بين ما جرى به العرف وما جرى به العمل؛ لرفع الالتباس الذي يقع بينهما عند أهل العلم، فقد ورد في كتب العمل أو العمليات إطلاق عبارة ما جرى به العرف على ما جرى به العمل. وللتمييز بينهما قال الشيخ المهدي الوزاني (ت ١٣٤٢هـ): "مراد الأئمة بقولهم هذا القول ما جرى به العمل،

أنه حكمت به الأئمة، واستمر حكمهم به. وجريان العرف بالشيء، هو عمل العامة من غير استناد لحكم من قول أو فعل. وليس هذا مما نحن بصدد من قولهم: وبه جرى العمل. فتحصل أن العرف هو فعل العامة، والعمل هو حكم القضاة^(٣٧). وقال ابن أبي القاسم السجلماسي في شرحه لنظم العمل الفاسي: "إن العرف والعادة فعل العوام شيئاً المرة بعد المرة، والعمل إنما يصدر ممن يقتدى به من العلماء. " ثم إن العمل لا بد أن تتوفر فيه الشروط الخمسة التي سلف ذكرها، وموارد فيه نص من الشارع معاملة كان أو تعبدياً، لا يجوز العدول عنه إذا جرى عرف الناس بخلافه، وكذا لا يمكن أن يجري عمل ممن يقتدى به من العلماء بخلافه؛ لأنه إذا حكم حاكم بحكم مخالف للنص الجلي فإنه ينقض. وأما مالم يرد فيه نص، فإن كان تعبدياً، فالعرف لا يعمل به في التعبديات، وأما العمل فيعمل به فيها كتعدد الجمعة^(٣٨)، وإن كان في المعاملات فقد يكون سبباً في إجراء العمل بخلاف المشهور^(٣٩). بهذا يظهر الفارق الأساس بين ما جرى به العمل وما جرى به العرف، فالأول يصدر ممن يقتدى بهم من العلماء والأئمة بشروط مخصوصة مضى ذكرها، والثاني ما يجري بين عامة الناس. ورغم هذا فإن العرف يظل أحد الأسس التي ينبني عليها ما جرى عليه العمل، وهو أيضاً أحد المرجحات التي يتقوى بها من أجل مخالفة الراجح والمشهور، فيصبح ما جرى به العمل مقدماً عليهما^(٤٠).

٢-١ مسائل جرى بها العمل بناء على العرف

٣-١ مسألة التزام المرأة لزوجها إرضاع ولدها حولين، ثم نفقته وكسوته حولين آخرين. القول المشهور في المذهب أنه لا يلزمه إلا الحولان

فقط، والذي جرت به الأحكام واستقرت عليه الفتوى، جواز هذا الشرط ولزومه؛ لأن الفقهاء المتأخرين لهم اختيارات وتصحيحات لبعض الروايات والأقوال، عدلوا فيها عن المشهور، وجرى باختيارهم عمل الحكام والفتوى لما اقتضته المصلحة، وجرى به العرف، والأحكام تجري مع العرف والعادة كما سبق بيانه^(٤١).

٤-١ مسألة تجهيز الشَّوَار. الشَّوَار أثاث البيت وحوائجه. ويقصد به تجهيز الأب ابنته لزوجها وقت الزفاف، أو ما تحمله المرأة لزوجها عند البناء. وقد جرى العمل بفاس أن الغني من أهلها، يشور ابنته بقدر ما أعطاه الزوج من الصداق بأن يضيف الأب المبلغ نفسه الذي حدد لصداق ابنته، بحيث لو أعطى الزوج أربعين درهماً كصداق، وجب على الأب أن يعطي أربعين أيضاً ليصير المبلغ ثمانين. والأصل في الشريعة عدم إلزام المرأة وأبيها جهازاً؛ لأن الصداق عوض عن البُضع وهو المقصود. ولو كان عوضاً عن الانتفاع بالجهاز لكان فاسداً^(٤٢).

٢- سد الذريعة : الذريعة، الوسيلة التي يتوصل بها إلى شيء، ومعناها حسم مادة وسائل الفساد. فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة إلى المفسدة، فإنه يصير ممنوعاً^(٤٣). وهو أصل مستفاد من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، أظهرها قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٤٤) فالفعل يكون مشروعاً ابتداءً، لكن مآله غير مشروع لما يفضي إليه من مفسدة. قال القرافي في هذا الشأن: "وربما عبر عن الوسائل بالذرائع، وهو اصطلاح أصحابنا، وهذا اللفظ

المشهور في مذهبنا، ولذلك يقولون سد الذرائع، ومعناه حسم مادة وسائل الفساد دفعًا لها، فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة للمفسدة، منع مالك من ذلك الفعل في كثير من الصور، وليس سد الذرائع من خواص مذهب مالك كما توهمه كثير من المالكية، بل الذرائع ثلاثة أقسام، قسم أجمعت الأمة على سده ومنعه، كحفر الآبار في طرق المسلمين فإنه وسيلة إلى إهلاكهم، وقسم أجمعت الأمة على عدم منعه، كمنع زراعة العنب خشية الخمر، والمجاورة في البيوت خشية الزنى، وقسم اختلف فيه العلماء هل يسد أم لا كيبوع الآجال^(٤٥) عندنا^(٤٦). وقد بنى أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) قاعدة سد الذرائع على أصل النظر في مآلات الأفعال سواء كانت مأذونًا فيها أو منهيًا عنها؛ لأن المجتهد - في نظره - لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو الإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، فقد يكون مشروعًا لمصلحة فيه تستجلب أو مفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنتشأ عنه أو مصلحة تتدفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك. فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية ربما أدى استجلاب المصلحة فيه إلى مفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعًا من إطلاق القول بالمشروعية، وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم المشروعية، ربما أدى دفع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد، فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية، وهو مجال للمجتهد صعب المورد؛ إلا أنه عذب المذاق، محمود جارٍ على مقاصد الشريعة^(٤٧). وأصل سد الذريعة في

حقيقته، متعلق بقاعدة الوسائل والمقاصد، فهو شعبة من قاعدة إعطاء الوسيلة حكم المقصد خاصةً بوسائل حصول المفسدة. ولا يختلف الفقهاء في اعتبار معنى سد الذرائع في القسم الذي حكى القرافي الإجماع فيه، وليس لهذه القاعدة عنوان في أصول الحنفية والشافعية، ولا تعرضوا لها بإثبات ولا نفي، ولم يذكرها الغزالي في "المستصفى" في عداد الأصول الموهومة في خاتمة القطب الثاني في أدلة الأحكام^(٤٨). وهناك مسائل في الفقه مبنية على سد الذريعة لا وجود لها إلا في المذهب المالكي، كما نص على ذلك القرافي.

٢ - ١ مسائل جرى بها العمل بناء على قاعدة سد الذريعة.

٢ - ٢ مسألة تأييد التحريم في الزواج بالمُخَلَّق بها والمهروب بها.

قال أبو زيد الفاسي في نظمه:

وأبدوا التحريم في مخلق

وهارب سيان في المحقق

فالمخلَّق بتشديد اللام وكسرهما، اسم فاعل معناه الرجل الذي يحمل المرأة على خلق يفسد به الرابطة الزوجية من محبة وغيرها، فيوسوس للمرأة في السر حتى تنتشر، وتسعى للطلاق من زوجها الأصلي لتتزوج من مخلقها، ففي التخليق يحصل الرضى من المرأة باستعمال الحيل حتى تفارق زوجها الشرعي وتلتحق بمخلقها. وقد جرى العمل بفاس منذ أواسط القرن التاسع الهجري بتأييد تحريم المرأة المخلقة على المخلق. أما الهارب فهو أعم من المخلق؛ لأن الهروب

بالمرأة قد يكون بعد عملية التخليق، بل الغصب والقهر فيهرب بها إلى جهة لاتناله الأحكام. والهروب قد يكون بالمرأة المتزوجة، وقد يكون بغير المتزوجة، وبالبكر، بينما التخليق لا يكون إلا بالمتزوجة. والحكم المشهور في المسألة، عدم تأييد تحريم الزواج بين الطرفين. والقول الشاذ الذي أفتى به الفقهاء المتأخرين من المالكية، هو تأييد التحريم قياساً على المخلوق مع اختلاف بينهم في تحديد الشروط واعتبار الملابس^(٤٩). جاء في نوازل الشريف العلمي (ت ١١٢٦هـ) مانصه: "ومن الواجب علينا أن نحسم مادة الفساد ونسد كل باب يوصل إلى معصية، والقول بسد الذرائع الفاسدة من أصول قواعد مذهب مالك رضي الله عنه، فالواجب إذاً أن نجتهد جهدنا في سد الذريعة لهذه الفاحشة، وهي هروب الرجال بالنساء، ولهذا اختار العلماء الصالحون ممن سلف في هذه البلاد بتأييد التحريم للهاربة على من هرب بها، وإن كان على خلاف المشهور سداً لذريعة الفاسدات والمفسدين"^(٥٠). وقد كتب أبو العباس أحمد بن الحسن بن عرضون الكبير رسالة في المسألة سماها *الرسالة الشافية في تأييد حكم الهاربة*^(٥١) شهر فيها القول بتأييد تحريم الهاربة، والمخلقة. وعلى هذا جرى العمل بالمغرب، ومضت الفتوى به.

٢- ٣ مسألة البالغ المولى عليه إذا أحسن التصرف في المال، فالمشهور أن لا ينفك عن الحجر إلا بالإطلاق، فلوليه رد فعله ما لم يطلقه اعتباراً بالولاية دون الحالة، ولما أرى الفقهاء المتأخرون كثيراً من الناس يتحيلون على تضييع أموال الناس، فيكتمون عنهم الحجر، ويتصرفون بمرأى من أوليائهم، ولا نكير عليهم، حتى إذا

بدا لهم أظهروا رسوم التحجير، ويقولون: نحن محجورون فلا يلزمنا ما عقدناه من معاملات، ولا نغرم أو نضمن من الأثمان والمبيعات. فعدل المتأخرون إلى قول ابن القاسم بلزوم تصرفاتهم اعتباراً بأحوالهم دون ما يتحيلون به من الولايات، إبطالاً للخديعة وسداً لطريقها^(٥٢).

٣- المصلحة: المصلحة كالمصلحة وزناً ومعنى، فكل ما فيه نفع للعباد والبلاد بالجلب والتحصيل، وكل ما فيه دفع كدر المضر، والآلام فهو يدخل في المصلحة^(٥٣). وقد تقرر أن الشريعة قائمة على حكم ومقاصد لرعاية مصالح الخلق، وتحسين أحوالهم في معاشهم، وفيما يثيبهم في معادهم، فكل حكم من الأحكام الشرعية متعلق بحكمة دعت لتقريره، وهذه الحكمة هي المعبر عنها بالمصلحة، والبحث عنها يسمى استصلاحاً؛ لأنه إذا كانت هذه المصلحة مطلقة ومبثوثة في أحكام الشريعة، فمن الخير استكشافها والبحث عنها للاستدلال بها على الحكم الشرعي، وذلك ما يقصد إليه الإمام مالك بتسمية هذا الاستصلاح بالمصلحة المرسلة^(٥٤). وقد عرفها الغزالي بأنها: "عبارة في الأصل عن جلب منفعة أو دفع مضرة، ولسنا نعني بها ذلك، فإن جلب المنفعة، ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، ولكننا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة"^(٥٥). فما قام الدليل الشرعي على اعتباره مصلحة فهو المقصود بالمصلحة، أما ما يقدره الناس أنه

مصلحة فلا عبرة به؛ لأنه لا ينفك عن الهوى والأغراض. ولا يوجد خلاف بين العلماء في اعتبار المصلحة إذا كانت مستفادة من نصوص الشرع، وإنما يبقى البحث في المصالح التي لم يقدّم دليل شرعي خاص على رعايتها أو إلغاؤها، والتي تدعى بالمصالح المرسلة. وهي أحد أصول المذهب المالكي، ولا يعمل بها إلا إذا توافرت فيها الشروط الآتية:

الأول: أن تكون ملائمة لمقصود الشرع، فلا تنافي أصلاً من أصوله، ولا تعارض دليلاً من أدلته القطعية.

الثاني: أن تكون معقولة في ذاتها، جارية على الأوصاف المناسبة، بحيث إذا عرضت على العقول تلقّتها بالقبول، وبهذا القيد يتضح أن مجال العمل بالمصالح المرسلة، يتعلق بباب المعاملات خاصة، ولا مدخل للعبادات فيه؛ لأنها غير معقولة المعنى في الغالب.

الثالث: أن يكون في الأخذ بها حفظ أمر ضروري، أو رفع حرج لازم في الدين. فلو لم يؤخذ بالمصلحة المعقولة في موضعها لكان الناس في حرج. (٥٦)

الرابع: أن تكون حقيقية وليست وهمية.

الخامس: أن تكون عامة لا تختص بفرد معين. وتعد المصلحة من موجبات الأخذ بما جرى به العمل، فقد مضى القول بأن العدول عن القول المشهور إلى العمل بالضعيف أو الشاذ إذا كان لدرء مفسدة فهو على أصل الإمام مالك في سد الذريعة، أو لجلب مصلحة فهو على أصله في اعتبار المصالح المرسلة. والناظر

في كتب النوازل والفتاوى، يُلَفّي أقضية كثيرة ومسائل عديدة، جرت الفتوى فيها بالقول الشاذ والضعيف، تحقيقاً للمصلحة المعتبرة، فكان الفقهاء يصرحون بأن هذا الحكم المفتى به مخالف لمشهور المذهب أو مخالف للنصوص، ولكن أفتى به المتأخرون لمصلحة ظهرت لهم.

ومن الأمثلة على هذا *بيع الصفقة* وصورته أن تكون دار أو غير ذلك في ملكية شخصين أو أكثر، فيعتمد أحدهم إلى ذلك الملك فيبيعه جميعه بغير إذن الشريك، أو الشركاء الآخرين، فيثبت الخيار لهم، بين أن يكملوا البيع للمشتري أو يضموا المبيع لأنفسهم، ويدفعوا للبائع مناب حصته من الثمن الذي باع به. والمنصوص عليه في المذهب أن بيع الصفقة يتوقف على شروط، يتعين إثباتها عند القضاة، ولكن جرى العمل بعدم رفع ذلك إلى القاضي (٥٧). فجوزه الفقهاء لتحقيق مصلحة البائع، الذي يريد بيع حصته، فلو لم يبيع الجميع صفقة، دخل عليه الضرر من طرف الشركاء، فرخص له في البيع صفقة، حتى لا يتضرر بفعل تماطل الشركاء، وعدم استجابتهم لرغبة من يبيع حظه. فهم اعتمدوا في هذا على المصلحة التي تتحقق للبائع.

٤- الضرورة والحاجة

٤-١ الضرورة تأتي بمعنى المشقة والحاجة والشدة التي لا مدفع لها. وهي أن تطرأ على الإنسان حالة من الخطر أو المشقة الشديدة بحيث يخاف حدوث ضرر أو أذى بالنفس أو بالعضو أو بالعرض أو بالعقل أو بالمال وتوابعها، ويتعين أو يباح عندئذ ارتكاب الحرام، أو ترك الواجب، أو تأخيرها عن وقته دفعاً للضرر عنه

في غالب ظنه ضمن قيود الشرع. هذا معنى الضرورة العام، أما معناها الخاص، فهو دفع ضرر خارجي قاهر كالحريق أو ضرر داخلي كالجوع. وهذا المعنى هو الشائع عند العلماء. أما الاضطرار فهو دفع الإنسان إلى ما يضره، وحمله عليه أو إلجأه إليه. (٥٨)

٤-٢ الحاجة مدارها على الاحتياج والفقر، وعرفها الشاطبي بقوله: "الحاجيات ومعناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة لفوت المطلوب، فإذا لم تراعى دخل على المكلفين - على الجملة - الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد المتوقع في المصالح العامة" (٥٩) لقد عرّف الحاجة بناء على أصلها، وهو التوسعة ورفع الحرج والمشقة، وزاد في البيان أن هذا الحرج المجتنب إنما هو على مقتضى الغالب ومقتضى المكلفين على الجملة. ويمكن القول بعد هذا: إن الحاجة هي ما يحتاجه الأفراد أو تحتاجه الأمة، للتوسعة ورفع الضيق، إما على جهة مؤقتة أو مؤبدة، بحيث إذا لم تراعى دخل على المكلفين الحرج والمشقة، وقد تبلغ مبلغ الفساد المتوقع في الضرورة.

٤-٣ الفرق بين الضرورة والحاجة

وضع العلماء فروقاً بين الضرورة والحاجة حتى لا يقع الخلط بينهما عند بناء الأحكام عليهما، ويمكن تلخيص هذه الفروق على هذا النحو:

* المشقة في الحاجة أقل منها في الضرورة.

* استفادة الضرورة من الحرام لذاته الذي حكم الشرع ابتداء بحرمة، واستفادة الحاجة من الحرام لغيره، وهو ما يكون مشروعاً

في الأصل لكن اقترن به عارض اقتضى تحريره.

* باعث الضرورة الإلجاء الذي ينعدم فيه الاختيار للمكلف، وباعث الحاجة التيسير؛ حيث يكون مختاراً التلبس بالحاجة أو عدمها. * أحكام الضرورة مؤقتة، وأحكام الحاجة مستمرة (٦٠).

ومعلوم أن الشرع أجاز جملة من العقود مثل عقود الاستصناع، والإجارة، والسلم، والمعاوضة، ودخول الحمام من غير تقدير الأجر ومدة المكث ومقدار الماء المستعمل، والإجارة بالطعام والكسوة، أو ببعض ما يعمل فيه العامل وبيع الوفاء، لحاجة الناس أو لاضطرارهم إلى ذلك النوع من المعاملات، مع أنها عقود على أمر معدوم. كما أجاز العلماء بالاتفاق الاستئجار على تعليم اللغة والأدب والحساب والخط والفقه والحديث، وبناء المساجد والقناطر والثغور والرباطات للحاجة والضرورة الداعية لذلك وإلا تعطلت المصالح العامة. (٦١)

٤-٤ مسائل جرى بها العمل بناء على موجب الضرورة والحاجة

٤-٥ مسألة شهادة اللفي. ومعناها شهادة جماعة غير عدول. وصورتها أن المشهود له، يأتي باثني عشر رجلاً، إلى عدل منتصب للشهادة، فيؤدون شهادتهم عنده. واقتصارهم على اثني عشر رجلاً مستند ما ذكره العلماء أن أقل عدد في التواتر الذي يحصل به العلم هو العدد المذكور، وهو في الواقع اجتهاد من القضاة لا دليل معتبر عليه في المذهب، ولكن شهادة اللفي أعملت على ذلك الوجه للضرورة، فالعدول لا

يوجدون في كل الظروف وفي جميع الأمكنة، فقد تقع واقعة في مكان مخصوص لا يشهدها عادة إلا من لا تتوفر فيهم شروط الشهادة، ومع ذلك تسمع شهادتهم ويؤخذ بها. من ذلك شهادة الصبيان بعضهم على بعض في الجراح والجنابة، وشهادة النساء في المآثم والأعراس^(٦٢). قال القرافي في الذخيرة في باب السياسة: "نص ابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦هـ) في كتابه *النوادر* على أنا إذا لم نجد في جهة إلا غير العدول أقمنا أصلحهم وأقلهم فجورًا للشهادة عليهم، ويلزم ذلك في القضاة وغيرهم لنلّا تضييع المصالح. قال: وما أظن أحدًا يخالفه في هذا، فإن التكليف شرط في الإمكان، وهذا كله ضرورة، ولنلّا تهدر الدماء وتضييع الحقوق وتتعطل الحدود؛ لذلك أجازوا شهادة النساء فيما يقع بينهن من القتل والجرح، وشهادة السماع في الضرر بين الزوجين بشهادة اللفي من الناس والجيران إن كانوا غير عدول^(٦٣)."

المطلب السادس: نشأة الأخذ بما جرى به العمل وتطوره في المغرب

مضى القول: إن من أصول مذهب الإمام مالك عمل أهل المدينة من أهل القرن الأول والثاني، وليس مالك أول من قال به، بل عدّه شيوخه أيضًا كالإمام الزهري (ت ١٢٤هـ) وربيعه ابن أبي عبد الرحمن (ت ١٣٦هـ) ومن عاصرهما، وشيوخهم كالإمام سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ) وآخرون. كما أخذ الحنفية بعمل أهل العراق، وما اشتهر بينهم من قضاء وفتوى، وكذا الإمام الشافعي قد احتج بعمل أهل مكة، وإن كان مالك توسع في الأخذ بما جرى به العمل أكثر من غيره من الأئمة، وجعله من أصوله المقدمة

حتى على الحديث الصحيح. ولما استقر المذهب المالكي بالقيروان، انتقل الأخذ بالعمل إلى علماء إفريقية ثم الأندلس فكانوا يحتجون بما أفتى به علماؤهم، وقضى به قضاتهم، ولما ظهر النبوغ العلمي بفاس، وفضل علمائها الأكياس، أخذوا بتلك التقاليد، ولكن غالب عملهم كان تابعًا لعمل أهل الأندلس بسبب تغلب الأمويين على المغرب آخر القرن الثالث وأول القرن الرابع، وكان أهل فاس ميالين للأمويين لعدولهم واعتدال مذهبهم السني، ومنايذين للعبّديين (الفاطميين) الشيعة بالقيروان، فكانوا يأخذون بعمل الأندلس غالبًا، ويقدمونه على عمل القيروان، ثم صار لهم عمل مخصوص بهم بعد استقلالهم في السياسة زمن المرابطين ثم الموحيدين ومن أتى بعدهم^(٦٤).

ولم يذكر الفقهاء الذين اهتموا بمسائل فقه العمل، تاريخًا محددًا لبدء الأخذ بما جرى به العمل، وقد رجح عند الدكتور عمر الجدي رحمه الله، أن يكون ذلك وقع حوالي القرن الرابع الهجري؛ لأنه بعد مضي نصفه الأول صارت عبارة "ما جرى به العمل" سارية على السنة الفقهاء ومنتشرة في تأليفهم. وفي القرن الخامس أضحى هذا العمل ذاتًا ومستقلًا بالبحث والتأليف؛ حيث جمع بعض مسائله ثلّة من العلماء منهم على سبيل المثال القاضي أبو الوليد الباجي الأندلسي (ت ٤٧٤هـ) الذي ألف كتابًا سماه "فصول الأحكام وبيان ماضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام" ويذكر أبو الوليد أحمد بن هشام الغرناطي (ت ٥٣٠هـ) صاحب كتاب "المفيد" أن العمل في عهده جرى في اثنين وعشرين مسألة خالف فيها أهل الأندلس مذهب مالك.

ثم تتابع العمل بالمغرب، ودخل في غالب

أبواب الفقه، وخص له المؤلفون فصولاً في مصنفاتهم مثل الشيخ الزقاق الذي عقد في لاميته فصلاً خاصاً بما جرى به العمل في مدينة فاس، وبين أن هذا العمل متصل بعمل أهل الأندلس فقال:

وفي البلدة الغراء فاس وربنا

يقي أهلها من كل داء تفضلاً

جرى عمل باللاني تأتي كما جرى

بالأندلس بالبعض منها فأصلاً^(٦٥)

وممن ألف في هذا الباب أبو العباس أحمد بن القاضي (ت ١٠٢٥هـ) وكتابه "نيل الأمل فيما به بين الأئمة جرى العمل" ومن بعده العلامة العربي الفاسي (ت ١٠٥٢هـ) كتب رسالة في "شهادة اللفي" المذكورة آنفاً، التي جرى بها العمل. كما صنف في مسألة بيع الصفقة الشيخ ميارة الفاسي. ثم بدأ بعض الفقهاء في جمع مسائل العمل المختلفة، ورتبها وفق أبواب الفقه مثل ما فعل الشيخ عبد الرحمن الفاسي الذي نظم منظومة ذكر فيها حوالي ثلاثمائة مسألة مما جرى به العمل في فاس، منها ثماني عشرة مسألة أوردها الزقاق في لاميته، وأخرى متعلقة بالزواج والطلاق والنفقة واللعان، ومسائل من البيوع، ومسائل من الرهن والضمان والشركة والقسمة والغصب. ومسائل الجعل والإجارة والكراء، ومسائل الحبس والهبة، ومسائل القضاء والشهادة والوصايا، ومسائل من أبواب أخرى. ولم ينحصر الأخذ بما جرى به العمل في مجال المعاملات بل عدّوه أيضاً في مسائل متعلقة بالعبادات وعلوم أخرى كعلم القراءات؛ حيث كتب ابن القاضي عبد الرحمن بن أبي القاسم

(ت ١٠٨٢هـ) في هذا الشأن رسالة مختصرة سماها "بيان الخلاف والتشهير والاستحسان وما أغفله مورد الظمان وما سكت عنه التنزيل ذو البرهان وما جرى به العمل من الخلافات الرسمية في القرآن، وما خالف العمل النص، فخذ بيانه بأوضح بيان"^(٦٦). وهو عنوان طويل لمؤلف صغير، لا يتعدى حجمه ثلاث عشرة صفحة، لكنه فريد في باب، جمع فيه مؤلفه المسائل الخلافية في الرسم، وما أشهره الأئمة وما استحسونه، وما جرى به عمل القراء خاصة في المغرب والأندلس.

وقد أخذ فقهاء الأقاليم المغربية بما جرى به العمل على النحو الذي استقر عليه، إلا أنهم اختلفوا من حيث التطبيق بسبب اختلاف خصوصيات كل مجتمع؛ لأن أعراف وعادات وحاجات بعض الأقاليم تختلف عما تعارف عليه أهل مناطق أخرى، وهكذا قام علماء إقليم سوس بإجراء أعمال مبنية على أعراف أهلها، فجمع الشيخ أحمد بن محمد العباسي السملالي (ت ١١٥٢هـ) في نوازل كثيرة مما جرى به العمل في إقليم سوس، وكذلك ذكر الشيخ عبد الرحمن الجشتي (ت ١٢٦٩هـ) أعمال سوس في نظمه، وكذلك فعل فقهاء منطقة درعة مثل الشيخ محمد بن ناصر الدين (ت ١٠٨٥هـ) في مصنفه "الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية". وقد جمع الشيخ علي بن عيسى العلمي (ت ١١٢٧هـ) ما جرى العمل به في إقليم جبالة وغمارة في نوازل. ويعد كتاب "النوازل الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى" للشيخ المهدي الوزاني (ت ١٣٤٢هـ) موسوعة جامعة لأعمال الفقهاء المغاربة المتأخرين^(٦٧).

الفتوى
والقضاء
بما جرى به
العمل
في تراث
المالكية
بالمغرب
الأقصى

المطلب السابع: أثر الأخذ بما جرى به العمل في إثراء الاجتهاد والفقه النّوازلي^(٦٨)

تقدم القول إن لجوء الفقهاء والقضاة إلى الأخذ بما جرى به العمل، إنما كان لموجبات التوسعة على الناس ورفع الحرج عنهم والاستجابة لحاجاتهم الملحة والضرورات الملجئة. والناظر في المسائل التي كانت محل جري العمل بها، يلقي أنها تتصل بميدان المعاملات في المقام الأول؛ لأنها مرتبطة في عمومها بالعوائد السارية ومصالح الخلق، وقديماً قرر الأصوليون، وسار على منوالهم الفقهاء أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال والعرف. وقد كان من أسباب اختيار المغاربة للمذهب المالكي، المرونة التي اتسم بها، وكونه فقهاً عملياً، يراعي العرف والمصلحة المرسلّة والاستحسان في الاجتهاد الفقهي للنوازل الجديدة، الأمر الذي يفسر ثراء الفقه النوازلي عند علماء المغرب. ويُعدُّ التراث الضخم من الفتاوى وفقه النوازل الذي خلفه هؤلاء الفقهاء، دليلاً على التحامهم بهوم الناس، وسعيهم لتمكين الفقه المالكي من مواكبة التطورات الاجتماعية ومستجداتها الكثيرة. وكان أصل ما جرى به العمل أداة اجتهادية مناسبة عند المفتين والقضاة، يحققون بها من جهة، الالتزام بأصول مذهب مالك، وعدم الخروج عنها ما أمكن، ولو اقتضى الأمر اللجوء إلى الأخذ بالقول الضعيف أو الشاذ. ومن جهة ثانية مواجهة المشكلات والأقضية والنوازل الطارئة التي تحدث للناس. وعند النظر في كتب النوازل نلّفي اعتبار ما جرى به العمل دليلاً في الإفتاء، وفي بعض الأحيان يعد أحد

المرجحات عند تعارض الأقوال، أو تعارض هو مع القول المشهور. نقل أبو العباس الوُشَّريسي (ت ٩١٤هـ) عن أحد كبار مشايخ المذهب لم يذكر اسمه، قوله: "الأولى عندي في كل نازلة يكون لعلماء المذهب فيها قولان، فيعمل الناس فيها على موافقة أحدهما، وإن كان مرجوحاً في النظر، أن لا يعرض لهم، وأن يجروا على أنهم قلده في الزمان الأول، وجرى به العمل، فإنهم إن حملوا على غير ذلك كان في ذلك تشويش للعامة، وفتح لأبواب الخصام، وربما يخالفني في ذلك بعض الشيوخ، ولكن ذلك لا يصدني عن القول به، ولي فيه إسوة"^(٦٩). ومقتضى هذا النص أن ما جرى به العمل، وإن كان يستند إلى قول مرجوح يقدم على غيره، وإن كان أقوى منه سداً لذريعة التشويش على عامة الناس، وإحداث ما يزرع الخلاف والخصام بينهم. فرجحت هذه المصلحة. وقد أخذ فقهاء النوازل بهذا الأصل؛ لأنه يتعلق في موجباته ودواعيه بأصول وقواعد الاجتهاد من جلب المصالح ودرء المفساد، والاستحسان، وتحكيم العرف الصحيح، ورفع الحرج والضرر، واعتبار المال. ولا يخفى عند الدارسين والمهتمين بالفقه النوازلي، فائدته في الكشف عن سر الصناعة الفقهية من حيث استنباط وتحقيق المناط، وهو سر الخبرة العلمية في الدرس الفقهي. فإذا كان علم أصول الفقه، يُمكن المجتهد من قواعد الفهم والاستنباط على المستوى النظري، فإن فقه النوازل هو الكفيل ببيان ذلك كله في صورته العملية وعلى مستوى الاجتهاد التطبيقي، الذي يعبر عنه الأصوليون بتحقيق المناط؛ أي تنزيل الأحكام على منازلها الواقعية، المرتبطة بالزمان والمكان وما يعتريهما

من نسبية وتغيرات، ومحاولة التوفيق بين ذلك كله وبين ماتقرر نظرياً في الدرس الأصولي^(٧٠)، ويدل على هذا ما ثبت وصح في أجوبة الفقهاء المبنوثة في كتب النوازل من أن أخذهم بما جرى به العمل، إنما فرضته المتغيرات الطارئة والمستجدات الحاصلة التي عمت بها البلوى، ومست حياة الناس؛ لذا نظروا في مصالح الناس التي رعتها الشريعة، والمقاصد المستكنة في نصوص الوحي التي مدارها على جلب المصالح ودرء المفاسد، وعدلوا عن الأقوال الراجحة والمشهورة، التي قد يفضي استمرار أعمالها إلى مشقة أو حرج أو إعنات على المكلفين. وصاروا إلى أقوال مرجوحة جرى بها العمل؛ لكنها تنطوي على يسر وقدر من السماحة والتخفيف، وتستجيب للحاجة الواقعة. لقد كان هذا المنهج الذي سار فيه الفقهاء والقضاة، فتحاً لباب الاجتهاد المغلق رداً من الزمن؛ لكنه اجتهاد في إطار المذهب المالكي، حفاظاً على الوحدة المذهبية للمغاربة التي كانت الملابس والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية السائدة تقتضيها درءاً للفتن، وسداً لذريعة الخلاف والخصام.

المطلب الثامن: الاستدلال بما جرى به العمل في القضايا المعاصرة مسألة "الكَدِّ والسَّعَاية" نموذجاً

من المسائل الخلافية التي كثر فيها النقاش في السنين الأخيرة بالمغرب، قضية "الكَدِّ والسَّعَاية" المرتبطة بحق من حقوق المرأة المالية. ومضمونه يتلخص في حق المرأة المطلقة والأرملة في المال المكتسب خلال فترة الزواج. ولهذه المسألة المعاصرة جذور في فقه العمل المنثور في كتب النوازل لعلماء أهل سوس. فقد رأى الفقهاء

الشُّوسِيُّونَ أن عمل المرأة ومشاركتها في الإنتاج في منطقة سوس لا يوازيه عملها في المدينة، وإن كان بعض النساء في المدن يعملن كذلك في الخياطة والنسج والطرز وغيرها، ولكن ذلك نادر. أما النساء في سوس فكلهن يعملن وينتجن ويكدحن إلا من كانت غير قادرة لمرض أو عجز، ولذلك رأى الفقهاء أن حرمانهن من نصيبهن من هذا الإنتاج إذا وقع طلاق أو وفاة ظلم لهن، فلم يقع خلاف بين فقهاء سوس في شأن إعطاء المرأة نصيبها من قيمة عملها^(٧١). وثمة فتاوى كثيرة لفقهاء نوازليين جعلت للزوجة نصيباً في المال المستفاد خلال فترة الزواج منها:

* فتوى الحسن بن عثمان التملي (ت ٩٣٢هـ) وهو من نوازليي القرن العاشر، وقد تعددت أجوبته التي أجاب فيها بأن الزوجين إذا استفادا بأيديهما وسعايتهما أموالاً، أن ذلك بينهما على قدر سعايتهما، وذلك مقيس على المتعاونين بالعمل، ثم أورد نصوصاً نسبها إلى بعض أمهات كتب الفقه المالكي.

* فتوى محمد بن الحسن ابن عرضون (ت ١٠١٢هـ) فقد سئل عن تخدم من نساء البوادي خدمة الرجال من الحصاد والدراس وغير ذلك، فهل لهن حق في الزرع بعد وفاة الزوج لأجل خدمتهن أو ليس لهن إلا الميراث؟ فأجاب: "الذي به الشيخ القوري مفتي الحضرة الفاسية شيخ الإمام ابن غازي قال: إن الزرع يقسم على رؤوس من نتج عن خدمتهم. زاد عليه مفتي البلاد الغمارية؛ جدنا سيدي أبو القاسم ابن خجو: على قدر خدمتهم، وبحسبها من اتفاقهم أو تفاوتهم. وزدت - أنا لله عبد -: بعد مراعاة الأرض والبقر والآلة،

فإن كانوا متساوين فيها أيضًا فلا كلام، وإن كانت لواحد حسب له ذلك، والله تعالى أعلم." (٧٢) وإلى هذه الفتوى أشار صاحب نظم العمل الفاسي بقوله:

وخدمة النساء في البوادي

للزراع بالدراس والحصاد

قال ابن عرضون لهن قسمه

على التساوي بحساب الخدمة

لكن أهل فاس فيها خالفوا

قالوا لهم في ذاك عرف يعرف (٧٣)

* فتوى داود بن محمد التملي التازولتي (ت ١٠١٣هـ) قال: "الذي جرى به العمل عند فقهاء المصامدة وجزولة (٧٤) أن الزوجة شريكة الرجل فيما أفاداه مالا باعتهنهما مدة انضمامهما ومعاونتهما، ولا يستبد الزوج بما كتبه على نفسه من الأثرية، بل هي شريكة له فيها بالاجتهاد، والشركة إذا أُطْلِقَتْ تحمل على التساوي." (٧٥)

وقد أخذت بالاعتبار لجنة تعديل مدونة الأحوال الشخصية المغربية هذه الفتاوى، عند أفرادها فصلاً خاصاً في مدونة الأسرة الجديدة، يتضمن مسألة الأموال المكتسبة خلال الفترة الزوجية، وهو الفصل ٤٩ الذي ورد نصه على هذا النحو: "لكل واحد من الزوجين ذمة مالية مستقلة عن ذمة الآخر، غير أنه يجوز لهما في إطار تدبير الأموال التي ستكتسب أثناء قيام الزوجية، الاتفاق على استثمارها وتوزيعها. يضمن هذا الاتفاق في وثيقة مستقلة عن عقد الزواج. ويقوم العدلان بإشعار الطرفين عند زواجهما بالأحكام السالفة الذكر. إذا لم يكن

هناك اتفاق فيرجع للقواعد العامة للإثبات، مع مراعاة عمل كل واحد من الزوجين وما قدمه من مجهودات وما تحمله من أعباء لتنمية أموال الأسرة" (٧٦).

هذا النص التشريعي لم يُشر صراحة إلى مسألة الكد والسعاية؛ لأنها عرف خاص جرى به العمل ببعض مناطق المغرب دون غيرها، ومن الفقهاء من اعترض بشدة على محاولات تعميم هذا العرف المحلي، وجعله قانوناً عاماً يطبق في كل جهات القطر المغربي؛ لكن المشرع اكتفى بالتأكيد على استقلالية الذمة المالية للزوجة عن الذمة المالية للزوج، وضرورة توثيق الأموال المكتسبة خلال مدة الزواج صوتاً لحقوق كل طرف عند التنازع والخلاف.

المطلب التاسع: نقد ما جرى به العمل

لم يسلم الأخذ بما جرى به العمل من نقد، فقد رفضه بعض الفقهاء جملة وتفصيلاً ووصفوه بأوصاف قاسية، وأنكره بعضهم وبخاصة في المسائل المتعلقة بالعبادات، وعدّه فريق آخر خروجاً عن المنصوص والمشهور، واتباعاً لجور بعض القضاة والمفتين. ونظر آخرون إلى ناحية الاسترسال في اعتباره بصورة مطلقة دون التقيد بشروطه وضوابطه. جاء في نظم البوطليحية:

وليس كل ما به جرى العمل

معتبراً شرعاً فمنه ما انهمل

فربما أجراه ذو التعاصي

بترك طاعة وبالمعاصي (٧٧)

ومن الفقهاء المتقدمين الذين رفضوا عدّ ما

جرى به العمل، وبخاصة عمل أهل قرطبة، أبو بكر الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ)؛ حيث قال في شرط أهل قرطبة: "هذا جهل عظيم" ونقل عن أبي عبد الله المقرئ الجد (ت ٧٥٩هـ) قوله: "لا يرفعون للدين رأساً بل يجعلون العادات القديمة أساً." وقال محمد بن أحمد المسناوي (ت ١١٣٦هـ): "عمل أئمة المساجد من الفقهاء وغيرهم ممن أدركنا لا يستدل به إلا غوغاء العامة ممن لم يستضيئ بنور العلم ولا منح شيئاً من العقل والفهم، إذ لم يقل أحد من الأئمة أن عمل أمثال أولئك مما يجب الرجوع إليه، ولا أن إجماعهم بعد ثبوته حجة فيعتمد عليه." (٧٨) وعند تأمل هذه النصوص والسياق الذي وردت فيه، يتبين أن محل انتقادهم يقع على الأعراف الفاسدة التي جرى بها العمل بين الناس، والبدع التي ظهرت فيهم وألفوها، وليس العمل الذي أصّله العلماء خاصة في مجال المعاملات (٧٩). وقد تقدم في هذا البحث نص للشيخ المسناوي (٨٠) يجيز فيه الأخذ بما جرى به العمل إذا تحققت شروطه؛ لهذا لا يمكن أخذ اعتراض هؤلاء الأئمة على إطلاقه.

وفي الواقع الذين كانوا أشد انتقاداً لفقه العمليات، ورفضوه من أصله هم بعض المعاصرين المغاربة، فهذا عبد الحق بن الصديق يقول: "ما هي مرتبة العمل الفاسي والعمل المطلق، من أدلة الأحكام المعروفة هل هما في مرتبة الكتاب والسنة المجمع على حجيتهما؟ أم في مرتبة الأدلة المختلف في حجيتها كعمل أهل المدينة وعمل الصحابي والمصلحة المرسلّة والاستحسان مما ذكره علماء الأصول في كتاب الاستدلال. أما فقهاء المغرب فاتخذوه أصلاً

من أصول المذهب من دون حجة ولا برهان، فأخطأوا وأسأوا، أخطأوا في قياسهم له على عمل المدينة لوجود الفوارق الكثيرة بين الأصل والفرع. وأسأوا في اتخاذهم إياه أصلاً من أصول المذهب إذ لا دليل لهم على ذلك من عقل ولا نقل إلا ذلك القياس الفاسد المبني على أس منهار" (٨١).

ومنهم كذلك الشيخ محمد الأمين بوخبزة الذي نقض العمل من أساسه، سيراً على منوال بعض شيوخه فقال: "وهكذا ولج الناس هذا الباب للعبث بأحكام الشرع، مما حدا ببعض الغيورين إلى استنكار هذا العمل جملة وتفصيلاً، ومن الطريف أن أحد مشايخنا الدكتور تقي الدين الهلالي كان يقول عن العمل المطلق: أي عن قيد الإيمان، وعن العمل الفاسي: بأنه العمل الفاسد، وبعضهم يطلق عليه العمل الفاسق، وهم وإن زعموا أن لجريان العمل شروطاً خمسة، فإن من تأملها وجدها نظرية لا تقبل التطبيق على ما جرى به العمل" (٨٢).

أما المسائل التي جرى بها العمل وكانت محل معارضة واستنكار شديدين من قبل المنتقدين، إما لمخالفتها الصريحة لنصوص الشرع، أو لمجاراتها الأعراف فاسدة، فيمكن بسطها على هذا النحو:

* اعتداد المطلقة بثلاثة أشهر بدل ثلاثة أقرأ كما هو منصوص عليه في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْبِصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (٨٣) وحجتهم في ذلك ما قاله أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ): "عادة النساء عندنا أن تحيض مرة في كل شهر، وقد قلّت الأديان فلا

تصدق في أقل من ثلاثة أشهر" (٨٤).

* جَعْلُ طلاق العوام كله بائناً، وسوغ الفقهاء ذلك؛ لأن في نظرهم العامي لا يدرك معنى الطلاق الرجعي، وأنه إذا طلق انصرفت نيته إلى البينونة. ولا يخفى ضعف هذا الاستدلال؛ لأن الحكم على الطلاق بالرجعي والبائن حكم شرعي وضع له الشرع سبباً، فإذا وجد سبب الرجعي فالطلاق رجعي، ولا يتوقف على معرفة المطلق لمعنى الرجعي ولا شروطه، وإذا وجد سبب البائن فالطلاق بائن ولا يتوقف على معرفة المطلق لمعنى البائن، ولا معنى لتعطيل حق الرجعة الثابت بالنصوص الصريحة.

* ترك اللعان وعدم إعماله مطلقاً أو لفاسق، والمقرر في الشرع أنه يصح منه ومن غيره، كما بينته آية اللعان، ولم يُنقل عن أجروا العمل بتركه مستنداً صحيحاً يعول عليه سوى تصريح ابن العربي بأن شهادة الرجل على زوجته بروية الزنا مكروهة. وقوله هذا لا ينهض جحة لتعطيل نص قرآني واضح في المسألة (٨٥).

* الوقف على البنين دون البنات، جرى العمل بصحته وعدم بطلانه، رغم مخالفته للمشهور، فقد نقل عن مالك " أن من حبس حبساً على ذكور ولده وأخرج البنات منه إذا تزوجن، فإني لا أرى ذلك جائزاً. " وورد في المدونة أنه كره لمن حبس أن يخرج البنات. ولم يذكر القضاة الذين أجروا ذلك مسوغاً وجبهاً لهذا التمييز (٨٦).

* العقوبة بالمال، والأصل في العقوبة أن تكون في الأبدان لا في الأموال، لكن أمام عجز السلطة أو انعدامها لجأ الناس إلى العمل بالعقوبة بالمال، وسند الفقهاء المجوزين لها،

شيوخ الجرائم، وتعذر إقامة الحدود على وجهها الشرعي، وبخاصة في بعض قبائل المغرب لما كثر النهب والقتل والغصب، الأمر الذي دفع تلك القبائل إلى تطبيق الأحكام العرفية في حق كل من جنى جناية. ورأي جمهور فقهاء المذهب في هذه المسألة التي جرى العمل بها المنع (٨٧).

* قراءة القرآن جماعة بصوت واحد، ورفع الأيدي بالدعاء عقب الصلوات. قال صاحب العمليات:

وَالذِّكْرُ مَعَ قِرَاءَةِ الْأَخْزَابِ

جَمَاعَةً شَاعَتْ مَدَى الْأَحْقَابِ

كَذَا الْمَثَانِي تَعْقُبُ الْمَعْقَبَاتِ

مَعَ رَفْعِ الْأَيْدِي بِإِثْرِ الصَّلَوَاتِ (٨٨)

* رفع الصوت بالذكر أثناء تشييع الجنازة مما جرى به العمل في بلاد المغرب ومن قبل في الأندلس، وقد كتب في استنكاره الفقيه الرهوني الوزاني (ت ١١٥٩ هـ) رسالة "التحصن والمنعة ممن اعتقد أن السنة بدعة" ورد عليه الفقيه النوازلي المهدي الوزاني شارح نظم العمل الفاسي بأن هذا مما جرى به العمل (٨٩).

* الإمساك عن المفطرات في رمضان قبل الفجر بنصف ساعة أو ثلثها للتحري والاحتياط، وفي هذا مخالفة للأحاديث النبوية التي تحض على تأخير السحور.

* جواز بيع الكتب في المساجد مع ثبوت الحديث الذي ينهى عن فعل ذلك، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي الْمَسْجِدِ فَقُولُوا: لَا أَرَبَّحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ" (٩٠) وقد حكى الحافظ الشيخ الأمين

بوخبزة أنه لما أنكر هذا الأمر في تطوان بشمال المغرب قيل له: إن هذا مما جرى به العمل في المدينة^(٩١).

هذا من جملة ما رفضه المنتقدون للعمل؛ حيث رأوا أن هذه المسائل المذكورة، إنما هي من قبيل المحدثات والبدع التي لا سند لها شرعاً، ومدار العبادات على الاتباع، كما أن بعضها ناقض نصوصاً شرعية صريحة، ولا يصح إعمال العمل المبني على أعراف فاسدة، وإهمال النص؛ لأن في ذلك تعطيلاً لمقاصد التشريع.

خاتمة

في ختام هذا البحث، يمكن القول: إن الأخذ بما جرى به العمل أصل تشريعي تلقاه بالقبول جمهور فقهاء المذهب المالكي المتأخرين في المغرب الأقصى، وأعملوه في مسائل جمة استجابة للحاجة التشريعية الملحة، ولم يشذ عن ذلك إلا فئة قليلة من أهل العلم لم تتحمس له، وآثرت الالتزام بالمتفق عليه أو الراجح أو المشهور في المذهب، ولا ضير في هذا الاختلاف الحاصل، فقد اختلف من قبل العلماء والنظار في أصول تشريعية عديدة كعمل أهل المدينة، وقول الصحابي والقياس والاستصحاب والاستحسان والاستصلاح.

وإذا كان ما جرى به العمل يعني العدول عن القول الراجح أو المشهور إلى آخر ضعيف أو شاذ مهجور، فهو في جوهره يستند إلى أصول تشريعية معتبرة عند السادة المالكية منذ إمامهم مالك، فعندما يكون الإفتاء أو القضاء به مبنيًا على جلب المصالح، فهو على أصل مالك في الأخذ بالمصلحة المرسلة، وإذا كان لأجل درء

المفاسد فهو على أصله في سد الذرائع، وإذا كان مجارة للعوائد السارية فهو على أصله في اعتبار العرف. ولا يزال الأخذ بما جرى به العمل دائراً وجوداً وعدمًا مع موجباته، فإذا انتفى الداعي والموجب، تعين الرجوع إلى المشهور؛ لأنه الأصل في الفتوى والقضاء، ولا يُعمل بالقول الضعيف والشاذ إلا عند الحاجة الماسة أو الضرورة الملجئة أو المصلحة الراجحة كما قرر ذلك المحققون، ثم إن الأخذ به لا يتم دون استيفاء الشروط التي اتفق عليها الفقهاء حتى لا يحصل الاسترسال في اعتماده بلا ضوابط ولا قيود. ورغم أن هذا الأصل التشريعي الجديد الذي توسع فيه المغاربة دون غيرهم، يعد مسلماً اجتهدياً يقوم على النظر في المصالح والمفاسد والموازنة بينها، وكذلك الترجيح بين الأقوال، فقد اعتراه ما يعترى عادة النظر العقلي والاجتهاد البشري من صواب وخطأ، فنجدته موافقاً للصواب في نواح كثيرة، كما نلفيه واقعاً في الضعف والخطأ في مسائل عديدة، جلبت على الآخذين به اللوم والعتاب والتشنيع من الرافضين له، وبخاصة في القضايا التي وردت في شأنها نصوص صريحة من الشرع، فجرى العمل بمخالفتها لأسباب واهية، ومصالح وهمية بحجة أن العادة مضت بذلك. وقد نبه إلى هذه الهنات، الراسخون في العلم من فقهاء المذهب، وشدّدوا على وجوب التقيد بشروط إعمال ما جرى به العمل وموجباته، وعدم التساهل فيها؛ لكيلا يصير منفذاً للتفلسف من أحكام الشريعة بزعم مراعاة العادات والأعراف.

ولم تمنع هذه الهفوات من إسهام الأخذ بما جرى به العمل في إغناء الفقه النوازلي، الذي نبغ

الفتوى
والقضاء
بما جرى به
العمل
في تراث
المالكية
بالمغرب
الأقصى

فيه المغاربة، وألفوا فيه مصنفات ضخمة أشبه ما تكون بموسوعات جامعة لكل أبواب الفقه. وقد اتسم هذا الفقه بالجمع بين قراءتين، قراءة عميقة مقاصدية لنصوص الوحي، وقراءة متبصرة للواقع الاجتماعي وتقلباته، استطاعت أن تجعل الفقه المالكي مرتبطاً بقضايا الناس وهمومهم، وحاضراً في حياتهم اليومية، وممتداً في ميادينها المتنوعة.

الحواشي

١. سورة التوبة، الآية: ١٠٠
٢. سورة الزمر، الآية: ١٨
٣. القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن تاووت الطنجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ط٢/١٩٨٣م. ٤/١
٤. ابن القصار: مقدمة في أصول الفقه، تحقيق مصطفى مخدوم، دار المعلمة للنشر - الرياض ط١/١٩٩٩م. ص ٢٢٩
٥. الفقهاء السبعة هم: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وخارجة بن زيد بن ثابت، وسليمان بن يسار. (ترتيب المدارك ٥٣/١)
٦. أبو الوليد الباجي: أحكام الفصول في أحكام الأصول، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي - بيروت ط ١٩٩٥م. ٤٩١/٢
٧. انظر: محمد بن الفخار القرطبي: الانتصار لأهل المدينة، تحقيق محمد التسماني، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء - المغرب ط١/٢٠٠٩. ص ٩٥ وكذلك القاضي عياض: ترتيب المدارك ٤٨/١. والباجي: أحكام الفصول ٤٨٨/٢.
٨. حسن بن محمد المشاط: الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة، تحقيق عبد الوهاب بن إبراهيم، دار الغرب الإسلامي ط٢/١٩٩٠م. ص ٢٠٩ ومابعدھا. ويراجع: تاج الدين السبكي: رفع

- الحجاب عن مختصر ابن الحاجب، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، عالم الكتب - بيروت ط١/١٩٩٩م. ١٩٤/٢.
٩. أحكام الفصول ٤٩١/٢.
١٠. محمد بن إدريس الشافعي: الأم، تحقيق، رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء - جمهورية مصر العربية ط١/٢٠٠١م. ٦٤٠/٨.
١١. انظر: الإحكام في أصول الأحكام، دار الآفاق الجديدة - بيروت ط٢/١٩٨٣م. ٢٠٦/٤.
١٢. تفصيل مذهب مالك وأهل المدينة وصحة قوله، تحقيق، أحمد مصطفى الطهطاوي، دار الفضيلة - القاهرة، ط٢/٢٠٠٦م. ص ٣٩.
١٣. انظر: عبد الفتاح الزيني: مصطلح ما جرى به العمل وأثره في تغير الفتوى، أبحاث ندوة نحو منهج علمي أصيل لدراسة القضايا الفقهية المعاصرة، مركز التميز البحثي في فقه القضايا المعاصرة، الرياض ط١٠/٢٠١٠م. ١٢١٥/٣
١٤. انظر: ابن فرحون: كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب، تحقيق، حمزة أبو فارس وعبد السلام الشريف، دار الغرب الإسلامي ط١/١٩٩٠م. ص ١١٤. وأحمد الهلالي: نور البصر في شرح خطبة المختصر، مراجعة وتصحيح محمد محمود ولد محمد الأمين، دار يوسف بن تاشفين - الجمهورية الإسلامية الموريتانية ط١/٢٠٠٧م. ص ١٢٥. ومحمد بن قاسم الفاسي: رفع العتاب والملام عن قال بالضعيف اختياراً حرام. بدون ذكر مكان وسنة النشر ص ٤.
١٥. انظر محمد الحجوي: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مطبعة البلدية - فاس، المغرب ط/١٣٤٥هـ. ٢٢٨/٤. وكذلك عمر الجيدي: العرف والعمل في المذهب المالكي، ومفهومهما عند علماء المغرب، مطبعة فضالة - المغرب ط/١٩٨٢م. ص ٣٤٢.
١٦. عيسى بن علي الحسني العلمي: النوازل، تحقيق المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف - المغرب ط/١٩٨٣م. ٩١/١.
١٧. محمد رياض: أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء ط١/١٩٩٦م. ص ٥١٣.

١٨. أبو زيد الفاسي: نظم العمل الفاسي، شرح السجلماسي، مخطوط مصور. ص ٥١.
١٩. انظر: أحمد الهلالي: نور البصر، ص ١٣٣. ومحمد رياض: أصول الفتوى، ص ٥٣٦.
٢٠. أحمد الهلالي: المصدر السابق، ص ١٣٤.
٢١. النابغة الغلاوي: نظم البوطليحية، تحقيق يحيى بن البراء، المكتبة المكية - المملكة العربية السعودية ط ٢٠٠٤م. ص ١٢٣.
٢٢. فتح العليم الخلاق في شرح لامية الزقاق، تحقيق رشيد البكاري، دار الرشاد الحديثة- المغرب، ط ١/٢٠٠٨م. ص ٤٤٦.
٢٣. نور البصر، ص ١٣٥ ومابعدا.
٢٤. محمد بن الحسن البناني: حاشية البناني على شرح الزرقاني على مختصر خليل، ضبط وتصحيح عبد السلام أمين، دار الكتب العلمية ط ٢٠٠٢م. ٢٢٨/٧.
٢٥. عبد الله بن الحاج إبراهيم: طرد الضوال والهمل عن الكروع في حياض مسائل العمل، الناشر: محمد سالم بن الصوفي - نواكشوط ط ١٩٨٤م. ص ١٠.
٢٦. نسبة إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى.
٢٧. نسبة إلى إقليم سوس بجنوب المغرب.
٢٨. حظيت بعناية كبيرة عند العلماء، فخصوها بشروح منها: شرح العمل الفاسي لناظمه، والأملات الفاشية من شرح العمليات الفاسية للقاضي أبي القاسم العميري التادلي المكناسي، وتحفة أكياس الناس بشرح عمليات فاس للمهدي الوزاني.
٢٩. محمد الحجوي: الفكر السامي ٢٢٩/٤.
٣٠. نسبة إلى مدينة تطوان بشمال المغرب.
٣١. عمر الجيدي: العرف والعمل، ص ٣٤.
٣٢. النابغة الغلاوي: نظم البوطليحية، ص ١٢٨.
٣٣. انظر: الشاطبي: الموافقات، تحقيق عبد الله دراز، دار الكتب العلمية - بيروت، بدون تاريخ ٢١٥/٢ وما بعدها. ومقاصد الشريعة لجلال الفاسي، دار الغرب الإسلامي - بيروت ط ١٩٩٣م. ص ١٥٧.
٣٤. الفروق ١/ ٣٢٢.
٣٥. فتح العليم الخلاق في شرح لامية الزقاق، ص ٤٦٣.

٣٦. مصطفى الصمدي: فقه النوازل عند المالكية تاريخاً ومنهجاً، مكتبة الرشد - ناشرون، المملكة العربية السعودية ط ٢٠٠٧/١م. ص ٣٢٧.
٣٧. جلال الفاسي: مقاصد الشريعة ص ١٥٨.
٣٨. حكم تعدد مسجد الجمعة في المصر الكبير، القول المشهور في المذهب المالكي، المنع رعاية لفعل الأولين، والذي جرى به العمل عند المتأخرين الجواز لما في جمع أهل المصر الكبير في المسجد الواحد من مشقة. انظر: المهدي الوزاني: النوازل الكبرى، تصحيح عمر بن عباد، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ط ١٩٩٦م. ١/ ٥٢٤.
٣٩. محمد بن قاسم: رفع الملام والعتاب، ص ٢١.
٤٠. محمد رياض: أصول الفتوى والقضاء، ص ٥١٦.
٤١. محمد ميارة: فتح العليم الخلاق، ص ٤٤٦.
٤٢. عمر الجيدي: العرف والعمل، ص ٤٣٢.
٤٣. ابن فرحون: تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، تحقيق جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية - بيروت، بدون تاريخ. ٢٦٩/٢.
٤٤. سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.
٤٥. بيوع الآجال لها صور كثيرة منها، من باع سلعة بعشرة دراهم إلى شهر، ثم اشتراها بخمسة قبل شهر. فمالك لا يجيزه سدا للذريعة.
٤٦. القرافي: الفروق، ضبط وتصحيح خليل المنصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١٩٩٨م. ٣/ ٤٣٦.
٤٧. الموافقات ١٤١/٤.
٤٨. ابن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس ط ١٩٨٤م. ٧/ ٤٣٢.
٤٩. محمد بن أحمد بن محمد عlish: فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، دار المعرفة - بيروت، بدون تاريخ ٣٩٧/١. وانظر: عبد السلام العسري: نظرية ماجرى به العمل، ص ٣٢٠. وعمر الجيدي: العرف والعمل، ص ٤٣٧.
٥٠. عيسى بن علي الحسني العلمي: النوازل، تحقيق المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف - المغرب ط ١٩٨٣م. ٩١/١.
٥١. أوردها الشريف العلمي في نوازل ١/ ٣٨.
٥٢. أبو العباس الهلالي: نور البصر، ص ١٤٣.

٥٣. عبد الكريم النملة: الشامل في حدود وتعريفات مصطلحات علم أصول الفقه، مكتبة الرشد - ناشرون، المملكة العربية السعودية، الرياض ط٢٠٠٩/١م. ٧٧٣/٢.
٥٤. علال الفاسي: مقاصد الشريعة، ص١٤٢.
٥٥. المستصفي، تصحيح، محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت ط٢٠٠٠م. ص ١٧٤.
٥٦. الشاطبي: الاعتصام، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان - المملكة العربية السعودية ط١/م ١٩٩٢. ٦٢٧/٢.
٥٧. محمد ميارة: فتح العليم، ص ٤٥٢.
٥٨. وهبة الزحيلي: نظرية الضرورة الشرعية، مؤسسة الرسالة - بيروت ط١٩٨٥/٤. ص ٦٧.
٥٩. الموافقات ١٠/٢.
٦٠. أحمد كافي: الحاجة الشرعية حدودها وقواعدها، دار الكتب العلمية - بيروت ط٢٠٠٤/١. ص ٣٣ وما بعدها.
٦١. وهبة الزحيلي: الضرورة الشرعية، ص ١٧٢ و ١٧٥.
٦٢. محمد العربي الفاسي: شهادة الليف، إعداد أبو أويس الحسني، مركز إحياء التراث المغربي - الرباط، مطبعة دار الثقافة، ط١٩٨٨/١. ص ١٥.
٦٣. ابن فرحون: التنبصرة ٢/٢٦.
٦٤. محمد الحجوي: الفكر السامي ٤/٢٢٦.
٦٥. محمد ميارة: فتح العليم الخلاق في شرح لامية الزقاق، ص ٤٤٥.
٦٦. عمر الجبدي: العرف والعمل ص ٣٤٤ وما بعدها.
٦٧. عبد السلام العسري: نظرية الأخذ بما جرى به العمل، ص ١٣٣.
٦٨. فقه النوازل: الفقه الذي يعنى بالحوادث والوقائع التي تنزل بالناس فينتجه إلى البحث عن الحلول الشرعية لها. وقد يعبر عنه بالفتاوى والأجوبة والأسئلة والمسائل. وغلب على فقهاء المشرق استعمال لفظ الفتاوى، وعلى فقهاء المغرب والأندلس لفظ النوازل. انظر: الحسن العبادي: خصائص فقه النوازل في سوس، مجلة دار
- الحديث الحسنية، العدد ١٢/١٩٩٥م المغرب، ص ١٨٧.
٦٩. المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ط١٩٨١م. ٢٤٩/١.
٧٠. فريد الأنصاري: مقدمة كتاب فقه النوازل على المذهب المالكي، فتاوى أبي عمران الفاسي، محمد البركة، أفريقيا الشرق - المغرب ط٢٠١٠م. ص ٧.
٧١. الحسن العبادي: خصائص فقه النوازل في سوس، ص ٢٢٣.
٧٢. ١٠٢/٧٢. عيسى بن علي العلمي: النوازل.
٧٣. أبوزيد الفاسي: نظم العمل الفاسي، ص ٤٨.
٧٤. المصامدة وجزولة: قبائل بإقليم سوس بجنوب المغرب.
٧٥. انظر هذه الفتاوى وغيرها في: عمل المرأة في سوس، للحسن العبادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، مطبعة طوب بريس - الرباط ط٢٠٠٤. ص ١٨ وما بعدها.
٧٦. مدونة الأسرة، وزارة العدل والحريات، المملكة المغربية ص ٢٠.
٧٧. النابغة الغلاوي: نظم البوطليحية ص ١٢٥.
٧٨. المقري: نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت ط١٩٩٧م. ٥٥٦/١.
٧٩. عبد السلام العسري: نظرية الأخذ بما جرى به العمل، ص ١٢٢.
٨٠. انظر الصفحة ٩.
٨١. عبد الحق بن الصديق: في بحث حكم تعاطي الدخان وطابه، ص ١٤ مخطوط خاص نقله صاحب نظرية ماجرى به العمل ص ١٧٩.
٨٢. محمد بن الأمين بوخبزة: نظرات في تاريخ المذاهب وأصول مذهب مالك ص ١٧، منشور بموقع المكتبة الشاملة <http://www.shamela.ws>
٨٣. سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.
٨٤. محمد ميارة: فتح العليم الخلاق، ص ٤٤٩.
٨٥. الهلالي: نور البصر، ص ١٤٧.

٨٦. انظر: ميارة الفاسي: فتح العليم، ص ٤٥٤. وعمر الجيدي: العرف والعمل، ص ٤٦٦.
٨٧. عمر الجيدي: المصدر السابق، ص ٤٨٩.
٨٨. أبو زيد الفاسي: نظم العمل الفاسي، ص ١٥٣.
٨٩. لقد أورد المهدي الوزاني في مصنفه النوازل الصغرى رسالة الرهوني الذي حكم فيها بأن الذكر جهرًا في التشيع بدعة، والسنة تقتضي السكوت والاعتبار والخشية والتفكير. ورد عليه في كتابه المذكور بفتاوى المجوزين. النوازل الصغرى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - مطبعة فضالة، المغرب ط ١٩٩٢/١ م. ١٧٥/١
٩٠. الحديث رواه الترمذي عن أبي هريرة، في كتاب البيوع، باب النهي عن البيع في المسجد، (رقم ١٣٢١) وقال: هذا حديث حسن غريب.
٩١. الأمين بو خبزة: نظرات في تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٢٠.

قائمة المصادر والمراجع

- إحكام الفصول في أحكام الأصول، أبو الوليد الباجي، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي - بيروت ط ١٩٩٥ م.
- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، دار الآفاق الجديدة - بيروت ط ١٩٨٣/٢ م.
- أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي، محمد رياض، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء ط ١٩٩٦/١.
- الاعتصام، الشاطبي، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان - المملكة العربية السعودية ط ١٩٩٢/١ م.
- الأم، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء - جمهورية مصر العربية ط ٢٠٠١ م.
- الانتصار لأهل المدينة، محمد بن الفخار القرطبي، تحقيق محمد التمساني، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء - المغرب ط ٢٠٠٩/١ م.
- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ابن فرحون، تحقيق جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية - بيروت، بدون تاريخ.

- التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس ط ١٩٨٤ م.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، تحقيق، محمد بن تاويع الطنجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ط ١٩٨٣/٢ م.
- تفضيل مذهب مالك وأهل المدينة وصحة قوله، ابن تيمية، تحقيق، أحمد مصطفى الطهطاوي، دار الفضيلة - القاهرة، ط ٢٠٠٦ م.
- تنوير العقول بمعرفة مسائل من مهمات الأصول، محمد بن سيد محمد بن مولاي، دار بن حزم، ط ١/٢٠٠٦ م.
- الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة، حسن بن محمد المشاط، تحقيق عبد الوهاب بن إبراهيم، دار الغرب الإسلامي - بيروت ط ١٩٩٠/٢ م.
- الحاجة الشرعية حدودها وقواعدها، أحمد كافي، دار الكتب العلمية - بيروت ط ٢٠٠٤/١ م.
- حاشية اللبناني على شرح الزرقاني على مختصر خليل، محمد بن الحسن اللبناني، ضبط وتصحيح عبد السلام أمين، دار الكتب العلمية - بيروت ط ٢٠٠٢/١ م.
- خصائص فقه النوازل في سوس، الحسن العبادي، مجلة دار الحديث الحسنية ع ١٢/١٩٩٥ م المغرب.
- رفع الحجاب عن مختصر ابن الحاجب، تاج الدين السبكي، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، عالم الكتب - بيروت ط ١٩٩٩/١.
- رفع العتاب واللام عن قال بالضعيف اختيارا حرام، محمد بن قاسم الفاسي، بدون ذكر مكان وسنة النشر.
- الشامل في حدود وتعريفات مصطلحات علم أصول الفقه، عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد - ناشرون، الرياض المملكة العربية السعودية، ط ٢٠٠٩/١ م.
- شهادة اللقيف، محمد العربي الفاسي، إعداد أبو أويس الحسني، مركز إحياء التراث المغربي - الرباط، مطبعة دار الثقافة، ط ١٩٨٨ م.
- طرد الضوال والهمل عن الكروع في حياض مسائل العمل، عبد الله بن الحاج إبراهيم، الناشر: محمد سالم بن الصوفي - نواكشوط ط ١٩٨٤ م.
- العرف والعمل في المذهب المالكي، ومفهوما عند علماء المغرب، عمر الجيدي، مطبعة فضالة - المغرب ط ١٩٨٢ م.

- عمل المرأة في سوس، الحسن العبادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، مطبعة طوب بريس - الرباط ط/٢٠٠٤ م.
- فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، محمد أحمد عيش، دار المعرفة - بيروت، بدون تاريخ
- فتح العليم الخلاق في شرح لامية الزقاق، محمد ميارة، تحقيق رشيد البكاري، دار الرشاد الحديثة- المغرب، ط/٢٠٠٨ م.
- الفروق، القرافي، ضبط وتصحيح خليل المنصور، دار الكتب العلمية - بيروت ط/١٩٩٨ م.
- فقه النوازل على المذهب المالكي، فتاوى أبي عمران الفاسي، محمد البركة، أفريقيا الشرق - المغرب ط/٢٠١٠ م.
- فقه النوازل عند المالكية تاريخاً ومنهجاً، مصطفى الصمدي، مكتبة الرشد - ناشرون، المملكة العربية السعودية ط/٢٠٠٧ م.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد الحجوي، مطبعة البلدية - فاس، المغرب ط/١٣٤٥ هـ.
- كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب، ابن فرحون، تحقيق، حمزة أبو فارس وعبد السلام الشريف، دار الغرب الإسلامي ط/١٩٩٠ م.
- مدونة الأسرة، وزارة العدل والحريات، المملكة المغربية.
- المستصفي، أبو حامد الغزالي، تصحيح، محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت ط/٢٠٠٠ م.
- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، الونشريسي، خرجه جماعة من الفقهاء، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ط/١٩٨١ م.
- مقاصد الشريعة، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط/١٩٩٣ م.
- مقدمة في أصول الفقه، ابن القصار، تحقيق مصطفى مخدوم، دار المعلمة للنشر - الرياض ط/١٩٩٩ م.
- الموافقات، الشاطبي، تحقيق عبد الله دراز، دار الكتب العلمية - بيروت بدون تاريخ.
- نظرية الأخذ بما جرى به العمل، عبد السلام العسري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب ط/١٩٩٦ م.
- نظرية الضرورة الشرعية، وهبة الزحيلي مؤسسة الرسالة - بيروت ط/١٩٨٥ م.
- نظم البوطلجيّة، النابغة الغلاوي، تحقيق يحيى بن البراء، المكتبة المكية - المملكة العربية السعودية ط/٢٠٠٤ م.
- نظم العمل الفاسي، أبو زيد الفاسي، شرح السجلماسي، مخطوط مصور.
- نفح الطيب، المقرئ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت ط/١٩٩٧ م.
- النوازل الكبرى، المهدي الوزاني، تصحيح عمر بن عباد، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ط/١٩٩٦ م.
- النوازل، عيسى بن علي الحسني العلمي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف - المغرب ط/١٩٨٣ م.
- نور البصر في شرح خطبة المختصر، أحمد الهلالي، مراجعة وتصحيح محمد محمود ولد محمد الأمين، دار يوسف بن تاشفين ومكتبة الإمام مالك - الجمهورية الإسلامية الموريتانية ط/٢٠٠٧ م.

فكرة التوارث الدولي عند ابن نجيم الحنفي

د. عماد عبد السلام رؤوف

جامعة صلاح الدين- أربيل - العراق

فكرة
التوارث
الدولي
عند
ابن نجيم
الحنفي

هو العلامة، الفقيه، الأصولي، الحنفي، زين الدين أو زين العابدين^(١) بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن بكر، ابن نُجَيْم، المصري الحنفي، من كبار فقهاء المدرسة الحنفية في القرن العاشر للهجرة، ولد في القاهرة سنة ٩٢٦هـ/١٥١٩م^(٢)، وانصرف منذ شببته إلى طلب العلوم، لا سيما الفقه، تعينه على درسه نباهة ظاهرة، وذكاء حاد، وقدرة فائقة على الحفظ، وبلغ من إحاطته بالمصادر الفقهية أنه لم يبق كتاباً منها في القاهرة، وهي في قمة ازدهارها العلمي آنذاك، إلا أحاط به وهيمن على مادته العلمية وأفاد منه في تأليفه^(٣). فقال " إن الفقه أول فنوني، طالما أسهرت فيه عيوني، وأعملت بدني أعمال الجد ما بين بصري وبدني وظنوني، ولما أزل منذ زمن الطلب أعتني بكتبه قديماً وحديثاً، وأسعى في تحصيل ما هجر فيها سعياً حثيثاً، إلى أن وقفت منها على الجم الغفير، وأحطت بغالب الموجود في بلدتنا القاهرة، مطالعة وتأملاً بحيث لم يفتني منها إلا النزر اليسير.. مع ضم الإشتغال والمطالعة بكتب الأصول من ابتداء أمري"^(٤).

وقاسم ابن قطلوبغا^(٥)، وبرهان الدين الكركي^(٦)، وأبو الفيض السلمي، وغيرهم. فأجازوه بالإفتاء والتدريس، فأفتى ودرّس في حياة أشياخه، "وانتفع به خلائق كثيرة". كما أخذ الطريقة على يد الشيخ الصالح سليمان الخضيرى المصري الشافعي، المتوفي سنة ٩٦١هـ.

وأشاد بعلمه ولده الشيخ أحمد، فقال "كان عمدة العلماء المسلمين، ونتيجة الفضلاء

وتلقى الفقه على كبار العلماء المصريين في عهده، ذكر مترجموه منهم: شرف الدين البلقيني، وشيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن يونس المصري الحنفي الشهير بابن الشلبي (ت: ٩٤٧ هـ)، وأمين الدين بن عبد العال الحنفي (ت: ٩٦٨ هـ)، وأبو الفيض السلمي، وعلي بن سليمان نور الدين الديلمي المالكي، المتوفي سنة ٩٤٧ هـ، وقد أخذ عنه في العلوم العقلية وعلوم العربية^(٧).

الماهرين، وختام المحققين والمفتين" (٩)، وأثنى على خلقه الرفيع العلامة عبد الوهاب الشعراوي (الشعراني)، المتوفى سنة ٩٧٣هـ / ١٥٦٦م، وكان من أقرب الناس إليه، وهو الأدرى به، فقال "صحبته عشر سنين، فما رأيت عليه شيئاً يشينه، وحجبت معه في سنة ٩٥٣هـ فرأيت على خلق عظيم مع جبرانه وغلمانه ذهاباً وإياباً، مع أن السفر يُسفر عن أخلاق الرجال". وقال جامع رسائله الخطيب محمد بن عبدالله التمرتاشي المتوفى سنة ١٠٠٤هـ / ١٥٩٦م "أستاذنا شيخ الإسلام، بركة الأنعام، قدوة المشايخ العظام". وقال نجم الدين محمد بن بدر الدين الغزي المتوفى سنة ٩٨٤هـ / ١٥٧٦م أنه "الشيخ العلامة المحقق المدقق الفهامة".

ومما دل على رقة طبعه، وحسن خلقه، أنه بعد أن أوفى في تعريفه حد الفقه، قال "هذا كله معنى الفقه عند الأصوليين، وأما معناه الحقيقي له عند أهل الحقيقة فما ذكره الحسن البصري، كما نقله أصحاب الفتاوى في باب الطلاق، ومنهم الولوالجي بقوله "هل رأيت فقيهاً قط؟ إنما الفقيه المعرض عن الدنيا، الزاهد، البصير بعيوب نفسه" (١٠).

ذكره ابن العماد الحنبلي في وفيات ٩٧٠ هـ وقال أنه توفي في صبيحة يوم الأربعاء من رجب (٣ آذار ١٥٦٣م). وقال الغزي أنه توفي سنة ٩٦٩ هـ "كما أخبرني بذلك تلميذه الشيخ محمد العلي"، وقال اللكنهوي "والذي رأيته في ديباجة الرسائل الزينية التي جمعها ابنه أحمد أنه أرخ وفاة والده سنة ٩٧٠ هـ، وكما ذكره السيد أحمد الحموي في حواشي الأشباه نقلاً عن بعض

الفضلاء أنه توفي في ثمان مَـصَين من رجب سنة ٩٧٠هـ".

ودفن - رحمه الله - في جوار القبر المنسوب إلى السيدة سكيانة بنت الحسين رضي الله عنهما، قريباً من دار الخلافة في القاهرة (١١).

مؤلفاته

١- البحر الرائق شرح كنز الدقائق: شرح فيه كتاب كنز الدقائق في فروع الحنفية، للإمام حافظ الدين عبدالله بن أحمد النسفي المتوفى سنة ٧١٠هـ، ووصل في شرحه إلى آخر كتاب الإجارة ثم توفي قبل أن يتمه، فأتته الشيخ عبد القادر بن عثمان القاهري الشهير بالطوري المتوفى سنة ١٠٣٠هـ / مفتي الحنفية بمصر، وقد اعتنى العلماء بشرحه عناية كبيرة، ومنهم الشيخ محمد أمين الشهير بابن عابدين المتوفى ١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م؛ فكتب حواش أسماها (منحة الخالق على البحر الرائق)، وطبع الكتاب مع حواشيه هذه بالمطبعة العلمية بالقاهرة سنة ١٣١١هـ في ثمان مجلدات، ثم طبع بعدها بالمطبعة الميمنية سنة ١٣٢٣هـ في ثمان مجلدات أيضاً. وحققه الشيخ زكريا عميرات، وصدر عن دار الكتب العلمية في بيروت سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

٢- الفوائد الزينية. وهو كتاب مختصر في الضوابط والاستثناءات (١٢).

الأشباه والنظائر في فروع الحنفية. سلك فيها مسلك الشيخ تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي الشافعي في كتابه الأشباه والنظائر، وصار كتابه عمدة الحنفية ومرجعهم، وكتبوا عليه الشروح واشتغلوا به ترتيباً وتبويباً ونظماً، وقد طبع الكتاب بكالوتا بالهند سنة ١٢٤١هـ ثم

تعليقات وحواش ومباحث عديدة

قال الشعراني " وأما تعاليقه على هوامش الكتب وحواشيتها، وكتابته على أسئلة المستفتين، والأوراق التي سودها بالمباحث الرائعة، فشئت لا يمكن حصره. ولولا معاجلة الأجل قبل بلوغ الأمل لكان في الفقه وأصوله، وفي سائر الفنون، أعجوبة الدهر" (١٥).

وعدا ما ذكره مترجموه من الإشارة إلى عنوانات مؤلفاته، وبعض أسماء شيوخه وتلامذته، فإننا لا نعلم عن مشاركته في الحياة العامة شيئاً، مع أنه عاش منعطفاً سياسياً خطيراً كان له تأثيره على مجمل تاريخ بلاده في العصور التالية، وترك آثاره على غيرها من البلاد الإسلامية أيضاً، ففي سنة ٩٢٣هـ، تعرضت بلاده مصر إلى فتح عسكري على يد السلطان العثماني سليم الأول، بعد حرب شوارع دامية شهدتها القاهرة، استغرقت نحو ستة شهور (١٦)، وكان من نتائج هذا الفتح، أن فقدت مصر استقلالها وغدت منذ ذلك الحين مجرد ولاية عثمانية تابعة.

ولا نشك في أن ابن نجيم، وهو القاهري الصميم، قد سمع من أسرته، ومن شيوخه، أطراف ذكرياتهم عن ذلك الحدث الجسيم، يوم انهارت القوات العسكرية لحكامها المماليك أمام قوات الينكجرية العثمانية في معركة الريدانية الحاسمة في ضواحي القاهرة الشرقية، لتبدأ بعدها حرب شوارع مريعة استغرقت نحو ستة أشهر، حقق فيها سكان القاهرة، ملتحمين بقيادة المماليك، انتصارات مهمة، وألحقوا الهزائم بالقوات المهاجمة، قبل أن ينقلب ميزان المعارك

طبع بمطبعة وادي النيل بمصر سنة ١٢٩٨هـ وبهامشه تقييدات للشيخ محمد علي الرفاعي، وفي بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٩م بتحقيق زكريا عميرات.

لب الأصول مختصر تحرير الأصول للإمام محمد بن عبد الواحد كمال الدين ابن الهمام (المتوفى سنة ٨٦١هـ / ١٤٥٧م).

شرح المنار. وهو منار الأنوار في أصول الفقه الحنفي، لحافظ الدين النسفي قال " وشرحت المنار شرحاً جاء - بحول الله وقوته- فائقاً على نوعه" (١٣).

تعليقة على الهداية في شرح بداية المبتدي، لعلي بن أبي بكر الفرغاني المرغيناني (المتوفى ٥٩٣هـ).

حاشية على جامع الفصولين لمحمود بن محمود بن اسماعيل المعروف بابن قاضي سماونة الحنفي المتوفى سنة ٨٢٣هـ).

الفتاوى الزينية، وهي واحدة وأربعون رسالة مستقلة في الفقه، لكل منها عنوانها وموضوعها، وصفها الغزي بأنها "كلها حسنة جداً". جمعها ورتبها على أبواب الفقه الخطيب التمرتاشي محمد بن عبدالله، نسخة منها في مكتبة جامعة الملك سعود برقم ١٢٩٣.

اثنى عليها أحد الفضلاء بقوله (١٤):

هذا الكتاب عديم المثل في الكتب

لكونه حاوياً للنفع في الزمن

لعالم الوقت والأزمان سيدنا

تاج المعالي وبيت الفخر والفطن

إلى صالح السلطان سليم فتتكسر قوات المماليك، ويؤسر السلطان المملوكي طومان باي ويعدم، فتسقط بذلك الدولة المملوكية بيد أعدائها على نحو كامل. وقد عاش ابن نجيم بعد هذا الحدث حياته حتى وفاته - رحمه الله تعالى - في القاهرة في صبيحة يوم الأربعاء ٨ رجب سنة ٩٦٩ هـ أو ٩٧٠ هـ، وشهد في خلال هذه المدة حكم أربعة عشر واليًا عثمانيًا، آخرهم مصطفى باشا الشهير بشاهين، ولم يكن ما حدث أمرًا عاديًا بأيّة حال فقد فقدت مصر منذ ذلك الحين مركزها الدولي بوصفها دولة ذات سيادة، لها ممتلكاتها الكثيرة في قارتي آسيا وأفريقيا، وتشمل في الأولى بلاد الشام كلها وبلاد الجزيرة وشرقًا من جنوبي الأناضول؛ حيث تقع إمارة ذولقادر الحليفة لها، كما تشمل جنوبًا بلاد الحجاز كلها وصولاً إلى اليمن؛ حيث توجد قواعد أسطولها هناك، وفي أفريقيا كانت سيادتها تمتد لتشمل منطقة برقة؛ أي النصف الشرقي من ليبيا اليوم، مع امتداد جنوبي يشمل بلاد النوبة؛ أي معظم شمالي السودان الحالي. أما في البحر، فكانت تسيطر على شرقي البحر المتوسط، وعلى البحر الأحمر كله. ومن الناحية التاريخية فقدت مصر دورها الشرعي القائم على ركنين مهمين، أولهما أنها تعد منذ انتقال الخلافة العباسية من بغداد إلى القاهرة الحاضنة والحامية لهذه الخلافة والممثلة لها، وثانيهما أنها كانت الحامية الوحيدة للحرمين الشريفين؛ حيث أهم مقدسات العالم الإسلامي، وهو ما جعل سلاطينهم يتلقبون عن جدارة بلقب (حامي الحرمين الشريفين). وكانت الدولة المصرية علاقاتها السياسية والدبلوماسية مع كثير من الدول والقوى السياسية في العالم

الإسلامي أو في أوروبا.

أما في الداخل، فقد فقدت مصر حكم طبقتها الحاكمة من المماليك، بل فقدت لقب السلطنة ذي المهابة في العالم الإسلامي منذ أن أطلقه السلاجقة على أمرائهم في القرن الخامس للهجرة، وصحيح أن السلطان سليم لم يستطع القضاء على المماليك بوصفهم طبقة قوية عسكرية، إلا أنهم فقدوا أهميتهم الخارجية بوصفهم حكام مصر وتوابعها الوحيدين، وصاروا خاضعين من الناحية الرسمية لسيادة السلطان العثماني في القسطنطينية. وهكذا كان على المجتمع المصري التعامل مع نوعين من الحكام، المماليك من جهة وممثلي الدولة العثمانية من جهة أخرى. وهو ما يفرض وضعًا معقدًا يشمل شؤون الإقطاع والوقف والملكية الفردية، ففي ظل النظام الإقطاعي العسكري الذي كان مطبقًا في مصر منذ نهاية حكم الأيوبيين، كان أمراء المماليك الكبار يحوزون على إقطاعاتهم مقابل تجهيزهم القوات العسكرية التابعة لهم للحرب كلما اقتضى الأمر، وهو نظام يشبه في بعض الجوانب نظام الإقطاع العسكري العثماني المعروف باسم التيمار، فالأمراء التيماريون يقطعون أراضيهم مقابل تجهيز تلك القوات، لكنهم يخضعون لمركزية الدولة وحدها وليس لزعمائهم.

وهكذا فإن ارتباط ملكية الأرض بالحياة العسكرية كان يفرض على الإقطاعي واجب حماية البلاد، ومن ثمة كان وجه هذا التعقيد.

أما من الجانب المقابل، فكان فتح مصر ثم ضمها إلى الدولة العثمانية، يمثل حدثًا جديدًا ومعقدًا من كل النواحي، فإذا كان العثمانيون قد

الله تعالى على الدراهم، إن كان يقصد العلامة، لا يكره" (١٧)، وفي هذا الرد إسقاط كامل للحجة العثمانية في تبرير غزو مصر- فإذا كانت هذه الحجة باطلة كان ما ترتب عليه باطلاً، وإن لم يصرح بذلك تصريحاً. ومما يلفت النظر انه اشترط في الإمام أن يكون قرشياً (١٨)، مع أنه يعلم بالطبع عدم توفر هذا الشرط في السلطان المذكور- ومن الناحية الشكلية فهو متوفر في الخليفة العباسي الذي كان السلاطين المماليك يحكمون بإسمه.

ثم أنه تناول التداعيات الشرعية لضم مصر للدولة العثمانية في عدد من فتاواه، أبرزها رسالته التي عنوانها (التحفة المرضية في بيان الحكم في الأراضي المصرية) (١٩). تتألف الرسالة من ١٣ ورقة بحسب خط مؤلفها، ذكر في أولها "لما كثر الكلام في سنة ثمان وخمسين وتسعمائة في حكم المبايعة من بيت المال واستمر مدة طويلة في صحة الوقف وحكم المبايعة من بيت المال والخراج من بيت المال سألني جماعة أن أكتب رسالة مختصرة ونبذة محررة مشتملة على بيان هذه الأحكام لعلم أن يعمل بها الحكام" .. ووضح أن هذه القضية كانت من الأهمية ما جعلها تشبه أن تكون قضية (رأي عام) استغرق نقاشها مدة طويلة. ولم نجد في كتب تاريخ مصر إبان هذه الحقبة ما يدل على سبب قيام هذه القضية، إلا أن القاعدة التي قررها بعد هذا، وهي التي تنص على "أن الإمام نصب ناظرًا لمصالح المسلمين" توحى بأن القائم بالمبايعة هو الإمام نفسه؛ أي من يتولى مهام السلطة العليا في الدولة، ومن المفهوم أن الذي كان يتولى هذه المهام، في العهد الجديد، هو السلطان العثماني نفسه أو من ينوب عنه. كما

توسعوا، في عهدهم الأول، في الأناضول، فإن ذلك التوسع كان يجري في بيئة الإمارة العثمانية نفسها، بوصفها الطليعة لإمارات الأناضول التركية الإسلامية التي سبق لها أن أقامت سيادتها على ممتلكات الدولة البيزنطية، وحينما توسعت الدولة العثمانية توسعها الهائل في أوربا الشرقية فقد كان ممكناً تبرير ذلك بأنهم يحملون راية الإيمان في مواجهة دار الحرب، وحتى حينما انطلق العثمانيون فاتحين العراق وإيران كان التبرير الشرعي لذلك التوسع هو ضرب القوى التي مرقت من الإسلام ودفعها عما سيطرت عليه من العالم الإسلامي، إلا أنها حينما دخلت بلاد الشام وأسقطت مصر، نشأ وضع معقد للغاية من الناحية الشرعية، إذ لم تعد المبررات السابقة للتوسع كافية لتبرير ضمهم هذه البلاد الجديدة، فمصر لم تكن دار كفر، لتفرض عليها أحكام دار الحرب، وهي لم تكن أيضاً بلاد بغية، وفيها الخليفة العباسي رمز الشرعية التي تجعل من الخروج عليه بغياً لا العكس، ثم أنها بلاد أهل السنة تتمثل فيها مذاهبهم جميعاً، ومنها المذهب الحنفي الذي يتمذهب به العثمانيون أنفسهم، وعلى الرغم من غرابة الفتوى الذي برر بها شيخ الإسلام في الدولة العثمانية العمل العسكري الذي اتخذه السلطان سليم لفتح مصر، وهي أن المماليك يضربون اسم الله تعالى على السكة، وهو أمر مكروه، فإن الوضع القانوني للأراضي المصرية، ظل يحتاج إلى فتاوى أكثر جدية.

وهنا جاء دور ابن نجيم الحنفي ليناقد هذا الأمر؛ حيث ناقش الفقيه الكبير المبرر الشرعي لغزو السلطان سليم الأول مصر، ورد على فتوى شيخ الإسلام بجوازه، بتقريره أن "كتابة اسم

أن من المفهوم أنه ليس من حق الناظر أن يبيع أموال المسلمين وإنما أن يشرف على استثمارها فحسب، فهو هنا كالوصي على اليتيم، يرعاه ويرعى مصالحه لكنه لا يتصرف فيها لنفسه، فالسلطان العثماني هو بمثابة الوصي أما اليتيم فهو الشعب الذي فقد سلطانه، أو سلطته الوطنية، ولا ينصرف هذا الوصف هنا إلا على الشعب المصري بوصفه هو الذي فقد سلطانه بعد زوال استقلاله على أيدي العثمانيين. وهو يناقش قول الفقهاء المتقدمين بجواز أن يبيع مطلقاً، فيرى أن المتأخرين رأوا "إلا أن يبيع له بشرط أن يكون على الميت دين وأوصى بدراهم ... وليس له غير العقار أو يكون له فيه مصلحة ظاهرة كبيعته بضعف قيمته أو يكون موقفاً منها قريب من غلاتها أو الحاجة كعدم وجود ما ينفقه على اليتيم". ومعنى ذلك أن يبيعه للعقار لا يكون إلا في حالتين، أولها تسديد مستحقات الآخرين أيًا كانوا، وكان من المعروف أن تستدين الدولة ممثلة بولاتها الأموال من التجار وأرباب الأصناف للإنفاق على مشاريع كبيرة ذات نفع عام، وهي في هذا الحال تصدر لهم صكوكاً واجبة الدفع بعد حين، مثلما حدث حينما اضطر التجار إلى دفع مبلغ ١٠٦٠ كيساً من الفضة إلى السلطان أحمد الثالث على شكل (بلوص) أو صكوك يدفعها التجار المصريون في القسطنطينية^(٢٠)، وهذا ما عبر عنه ابن نجيم بالحاجة، وثانيها ما عبر عنه بالمصلحة، وهي تنمية أموال بيت المال عن طريق الاستثمار؛ فالمصلحة هي الإنفاق على اليتيم نفسه، وإذا كان اليتيم هنا هو الشعب الذي فقد سلطانه وسلطته، فصلاحيه السلطان هو في تنمية مصالح من يحكمه من الشعوب لا أكثر ولا أقل من ذلك.

وحينما أقر برأي بعض الفقهاء المتقدمين في أن يؤجر الأرض الخراجية ويأخذ الخراج من أجرتها، عاد فقيد هذا الحكم بشرط نوه به فقهاء متأخرون، وهو أن لا يكون لمالكها وارث، "ولو أخلف مالکها وارثاً لكان المتصرف هو الوارث"، ومعنى هذا أنه إذا كانت بعض الأراضي، أو الإقطاعات، التي يملكها الأمراء وأغلبهم من القادة العسكريين قد عادت إلى بيت المال بحكم موت أولئك الأمراء، (وفي الغالب فإنهم قتلوا في أثناء الحرب)، ومن ثم أصبح جائزاً تأجيرها إلى غيرهم لدفع خراجها، فإن ذلك يجب أن يبقى محصوراً بتلك الأراضي المقطعة فحسب؛ أي أن لا تشمل الأراضي التي انتقلت إلى مالكين جدد بحكم قانون الوراثة، وحتى حينما تنتقل الأرض إلى الوارثين، بحكم موت مالكيها، فلا يجوز أن يشتريها السلطان بأن يأمر غيره ببيعها ثم يشتريها لنفسه، والظاهر إنه أراد تقييد السلطان في التجاوز على ملكيات الوارثين مستغلاً نفوذه وسلطاته.

وينتقل ابن نجيم إلى الوقف، ذلك أن أراضٍ واسعة كان المماليك قد وقفوها على أعمال بر متنوعة، لا سيما المساجد الكبيرة، كما فعل السلطان جقمق والسلطان برقوق، والظاهر أن هناك من كان يسعى لإيجاد ثغرة في صحة تلك الأوقاف، على أساس أن السلطان وقفها من بيت المال شراءً، أو من غير شراء، فأفتى هو بأن كلا الوقفين صحيح، كما أن الأرض التي تكون قد وصلت إلى يد الواقف ملكاً أو مواتاً أو ملكاً للسلطان فإن وقفها صحيح أيضاً، وبذلك صان الوقف من تصرف ذوي السلطان التاليين.

والنفت ابن نجيم إلى الإقطاعات التي يقطعها

هذا النصف^(٢١). وهكذا صار السلطان مقيداً بأن لا يقطع إلا نصف الحاصل، لا الأرض نفسها، فهو إقطاع انتفاع لا إقطاع تملك^(٢٢).

ولاحظ ابن نجيم أنه على الرغم من كثرة علماء مصر ومستواهم العلمي الرفيع، وعراقة الأزهر في تخريج أولئك العلماء، فإن الدولة العثمانية كانت تختار القضاة من خارج هذه المؤسسة، بل من خارج مصر كلها^(٢٣)، وأن القضاة كانوا يتعاقبون على شغل منصبهم فلا يقضي أحدهم في منصبه إلا سنة أو سنتين، ومنهم من كان يقبل الرشوة من طالبي التعيين في الوظائف^(٢٤)، هذا فضلاً عن أن بعض الولاة كان يتدخل في شؤون القضاء، فيبرئ أو يعاقب وفقاً لفهمه لا إتباعاً لرأي قاض^(٢٥). وكان بعض الفقهاء "ممن لا خبرة له ولا دربة" قد أفتى بجواز ذلك، فما كان منه إلا أن ألف رسالة سماها "القول السري في الرد على المفترى" رد فيها على ما ادعى بإمكان القاضي أن يتصرف في شؤون الوظائف التي أثبتتها الواقفون، وأن يعزل المتولين بغير جنة. وقد استند في هذا الحكم على كلام لأبي يوسف في رسالته للرشيد مفاده "ليس للإمام أن يخرج شيئاً من يد أحد إلا عن ثابت معروف"، فقال "إذا كان هذا في الإمام، فما بالك بالقاضي الذي ولاه السلطان ليحكم الصحيح في مذهبه؟". ولاحظ أن كثيراً من الفقهاء في زمانه استباحوا تناول (معاليم) أي رواتب الوظائف بغير مباشرة أو مع مخالفة الشروط^(٢٦). وهكذا قيد سلطة القاضي، مستنداً إلى تقييد سلطة السلطان نفسه، بل بلغ حد أن عد أن قيام السلطان قطع وظيفة طالب علم في مدرسة؛ أي مخصصاته الدراسية كما نقول اليوم، وإخراجه من حجرته؛ أي من قسمه الداخلي، أمر غير شرعي، فيه هلاك

السلطان لخاصته، وفي الغالب فإنهم من الأمراء والقادة الذين شاركوا في فتح البلاد، وخشي أن تتحول هذه الإقطاعات إلى ملكيات مطلقة، فقرر أن من أقطعه السلطان أرضاً من بيت المال ملكه المنفعة لقاء استبداده بها، وهي تبطل بموته أو إخراجه من الإقطاع؛ لأن للسلطان أن يخرجها منها. وهذا النوع من الإقطاع هو ما كان يعرف بإقطاع التيمار العثماني نفسه؛ حيث يقوم السلطان بإقطاع خواصه وقادته وضباطه قطعاً من الأراضي تسمى خواصاً وزعامات وتيمارات، وإلى الأخيرة نسب النظام كله، وذلك مقابل ما يتوجب عليهم من واجبات عسكرية، فإذا لم يقدّم بهذه الواجبات عزل عنها، فلا يتحول الإقطاع إلى ملك مطلق وإنما يبقى قاصراً على حدود المنفعة منه.

ويظهر أن بعض من كان يقطعهم السلطان كانوا يقفونها من أجل الحيلولة دون إعادتها إلى بيت المال، ومن ثم تحويلها إلى نوع من الملكية المطلقة، وهذا ما انتبه إليه الإمام الخصاص حينما سأله بعضهم: ما تقول في هذه الإقطاعات التي يقطعها السلطان؟ إن وقف إنسان ما قد أقطعه السلطان شيئاً منها؟ قال: إن أقطع السلطان أرضاً مواتاً جاز لمن أقطع ذلك أن يوقفها، وكذلك الأرض إذا ملكها السلطان فأقطعها إنساناً أو ملكه إياها فوقفها الذي أقطعها فالوقف جائز فيها. فغاية الإقطاع هنا هو استصلاح الأرض لا محض تملكها، وإذا أقطع السلطان إنساناً شيئاً من حق بيت المال لم يجز وقفه لذلك. قلت: وكيف يقطع شيئاً من حق بيت المال؟ قال هذه أرض الإنسان، وهي أرض خراج، وهي ملك لأربابها والسلطان يأخذ منهم النصف مما يخرج الله تعالى من الأرض والزرع فأقطع السلطان من

الشريعة على حد تعبيره. وأن القاضي إذا نصب قيمًا آخر على الوقف غير الذي نصبه الواقف لا ينعزل الأول، وأنه إن خالف شرط الواقف فإنه لا يصح إلا لضرورة^(٢٧). واختار من فتاوى قاضي خان أن السلطان لو أذن لقوم أن يجعلوا أرضًا من أراضي البلد حوانيت موقوفة على المسجد، وأمرهم أن يزيّدوا في مسجدهم، قالوا: إن كانت البلاد فتحت صلحًا لا ينفذ أمر السلطان؛ لأن البلد إذا فتحت عنوة للغارمين فيجوز أمر السلطان فيها، وإذا فتحت صلحًا تبقى على ملك ملاكها، فلا ينفذ أمر السلطان فيها^(٢٨).

وإذ أقر ابن نجيم في رسالته (التحفة المرضية) بأن مصر فتحت صلحًا، يكون واضحًا معنى قوله (تبقى على ملك ملاكها).

الخلاصة

اتخذ ابن نجيم في مصادر الفقه الحنفي مجالاً للإجابة على سؤال فرض نفسه بقوة على بلاده نتيجة السيطرة العثمانية الكاملة. لقد أدرك أنه أمام واقع جديد، فالدولة المملوكية التي حكمت مصر وتوابعها سقطت كليًا ولم يبق أمل لاستعادتها أو حتى استعادة بعض أقاليمها التابعة، ومن ثم لم يبق إلا التوجيه القانوني لهذا الواقع الجديد، والإجابة على كثير من المسائل الناجمة عنه، فيما يخص حقوق الدولة الزائلة وحقوق أفرادها. وهو ما عرف فيما بعد بنظرية الاستخلاف (أو التوارث) الدولي، فحاول أن يلجم الدولة الجديدة (الوارثة) عن انتهاك حقوق مواطني الدولة السابقة (الموروثة) على أساس أن لا حق للسلطان العثماني في اعتبار مصر إقليمًا مفتوحًا حتى يجيز أن يطبق فيه حق الفتح^(٢٩)، بما يترتب عليه من الاستحواذ على ثرواته البشرية والطبيعية، كما حدث في الأقاليم التي فتحها

العثمانيون من قبل. وبالمقابل فقد صاغ فكرة جديدة، مأخوذة من أحكام الوصاية على اليتيم، وهي أن على السلطان العثماني حماية الإقليم الموروث بوصفه وصيًا عليه، ومن ثم جعله مسؤولاً عن حماية مصر وممتلكاتها السابقة من الأخطار الحقيقية التي كانت تحقّق بها في البحر الأحمر والبحر المتوسط في ذلك العصر. ولا شك في الدولة العثمانية اضطلعت بتلك المهمة الموروثة فور سيطرتها على مصر، فسيطرت على المياه العربية الداخلية في البحر الأحمر وبحر العرب وتولت حماية الحرمين الشريفين من أخطار الأساطيل البرتغالية، على أن اضطلاعها بهذه المهمة لم تكن تعني الاستحواذ على الحقوق التاريخية للشعب المصري في إقليمه، وإنما تقتصر على تنمية ثرواته عن طريق استثمارها، والمحافظة على الملكيات الخاصة كاملة على أساس أن مصر فتحت في الإسلام صلحًا لا عنوة، ومن ثم تطبق فيها أحكام هذا النوع من الفتح، الذي يقيد الفاتح إلى أدنى الحدود، ولا يسمح له بمصادرة الممتلكات تحت أي ذريعة من الذرائع، كما لا يسمح له بإقطاع الأراضي إلا إذا مات أصحابها وانقرضت ورثتهم، كما لا يأذن بإقطاع أراضي بيت المال، وهي الأراضي الأميرية، إلا لغرض استصلاحها فحسب. ثم أن من شأن هذا الفتح أصلًا أن لا يغير من القوانين المطبقة في البلاد المفتوحة، لسبب بسيط وهو أن كلا الدولتين، الفاتحة والمفتوحة، تخضعان لقانون واحد، وهو الشريعة الإسلامية، وفقه واحد هو الفقه الحنفي، وهكذا بلور ابن نجيم الحنفي فكرة التوارث الدولي قاطعًا شوطًا في سبيل تطويرها إلى نظرية متكاملة من نظريات القانون الدولي العام المعاصر^(٣٠).

١. اكتفى هو بذكر اسمه ، في مؤلفاته، على النحو الآتي (زين) فحسب. ونقل علي مبارك عن حاشية ابن عابدين على الدر المختار أن زين هو اسمه العلمي الخطط التوفيقية ج ٥ ص ١٧.
٢. نقل علي مبارك عن الغزي في الكواكب السائرة أنه توفي سنة ٩٢٧هـ-؟. والصحيح أن هذا هو تاريخ ولادته لا وفاته.
٣. قاله هبة الله أفندي البقلي التاجي في شرحه الأشباه والنظائر ناقلاً من تلميذه العلمي. تنظر ترجمته في مقدمة كتابه (البحر الرائق) بتحقيق زكريا عميرات، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ص ٨.
٤. ذكر في مقدمة كتابه الأشباه والنظائر قائمة تضم ٧٣ كتاباً في فقه الحنفية هي مصادره في تأليف هذا الكتاب.
٥. الأشباه والنظائر ص ١٦.
٦. الديباج المذهب ص ٣٤٧.
٧. هكذا في مصادر ترجمته، وبالطبع فإنه ليس أبو الفداء زين الدين قاسم بن قَطْلُوبَغَا السُّودُونِي الجمالي الحنفي، فإنه توفي سنة ٨٧٩هـ.
٨. هكذا في مصادر ترجمته، وهو ليس إبراهيم بن عبد الرحمن الكركي، من قضاة الحنفية، فإنه توفي سنة ٩٢٢ هـ.
٩. تنظر ترجمته في ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ١ ص ٥٢٣ ومحمد ابن محمد الغزي: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق خليل منصور، دار الكتب المنصورة القاهرة ١٤١٨هـ - ج ٣ ص ١٣٧، ومحمد عبد الحق اللكنوي: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، تحقيق محمد بدر الدين أبو فراس الغساني، دار الكتاب العربي، القاهرة ص ١٣٤- ١٣٥. علي مبارك الخطط التوفيقية الجديدة، المطبعة الأميرية في بولاق ١٣٠٥ ج ٥ ص ١٧-١٨ والزركلي: الأعلام ج ٣ ص ١٠٤ ويوسف اليان سركريس: معجم المطبوعات ج ١ ص ٢٦٥- ٢٦٦.
١٠. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ص ١٦.
١١. الخطط التوفيقية ج ٥ ص ١٨.
١٢. مقدمة الأشباه والنظائر ص ١٤.

١٣. الأشباه والنظائر ص ١٦.
١٤. كتب هذان البيتان على طرة المخطوط المحفوظ في مكتبة الملك سعود.
١٥. الطبقات الكبرى، نقلاً عن ترجمته في مقدمة كتابه (البحر الرائق) بتحقيق زكريا عميرات، ص ٨.
١٦. ابن إياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ٢٠٧.
١٧. الأشباه والنظائر ص ٢٤.
١٨. الأشباه والنظائر ص ٣٢٥.
١٩. مخطوطة المكتبة الأزهرية برقم ٣٣٧٨٤.
٢٠. مرتضى لك الكردي الدمشقي: ذيل على كتاب (تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب) بتحقيق محمد الششتاوي، وصدر عن دار الأفاق العربية في القاهرة سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٦٢، ويحتل الذيل الذي كتبه مرتضى بك الكردي أحمد شلي في كتابه أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة ١٩٨٧م، ص ٣٢٢.
٢١. رسالة في بيان الإقطاعات ، مخطوطة في المكتبة الأزهرية برقم ٣٣٩٤٩٩.
٢٢. المصدر نفسه، والأشباه والنظائر ص ١٦٧ و ٣٠٥.
٢٣. تطرق المؤرخ المعاصر مرتضى بك بن إبراهيم بك الكردي الدمشقي إلى شؤون القضاة الذين كانت الدولة ترسلهم إلى مصر، ولاحظ أن بقاء القاضي في منصبه رهين- عملياً- بإرادة قادة فرق الإنكشارية، فقال " وأرادوا عزل القاضي فلم ترض طائفة الإنكجارية، وقالوا: يكون ذلك علامة العصيان". ويظهر أن الصناجق، وهم قادة المماليك، كانوا لا يرون في القاضي إلا ممثلاً للسلطة العثمانية، حتى أنهم اجتمعوا "في بيت أمير الحاج على تنزيل الباشا هو والقاضي"، وأظهر ضيقه من أحد القضاة المعينين؛ لأنه انتقد على نحو حاد أهل بلاده فقال " وكذلك القاضي محمد كتحدا زاده بقول: أنا ما جئت إلى مصر إلا لأجدد لأهلها دينهم، فإنهم كفروا وارتدوا، ونعوذ بالله من قوله وما قال!" ذيل (تحفة الأحباب) للملوي بتحقيق محمد الششتاوي، وصدر عن دار الأفاق العربية في القاهرة سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ويقع في ٢٤٢

المصادر والمراجع

- ص، ويحتل الذيل الذي كتبه مرتضى بك الكردي الصفحات التالية من ٢٤٢ إلى ٢٧١.
٢٤. قال في رسالته رسالة في الرشوة وأقسامها للقاضي وغيره مخطوطة في المكتبة الأزهرية برقم ٣٣٨١٧٦.
٢٥. أحمد شلبي: أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحمن، القاهرة ١٩٧٨م.
٢٦. الأشباه والنظائر، ص ١٦٧.
٢٧. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ج ٥ ص ٢٤٥ والأشباه والنظائر ص ١٣٤.
٢٨. الرد السري في الرد على المفترى، والأشباه والنظائر، ص ١٠٦.
٢٩. يقصد بالفتح فرض الدول سيادتها على إقليم دولة أخرى بتصرف صادر عن أرائها المنفردة يدعمه انتصارها العسكري الشامل على هذه الدولة الأخيرة، ونجاحها في تحطيمها كدولة نزع ركن السيادة عنها، ويختلف الفتح كلياً عن الاحتلال العسكري لإقليم الدولة خلال العمليات العسكرية أو بعد احتلالها، إذ يشترط لاكتمال عناصر الفتح كسبب لاكتساب الإقليم أن تختفي السلطة السياسية للدولة المهزومة تماماً. ومن المتفق عليه فقهاً أن مجرد احتلال إقليم الدولة كله أو بعضه في أثناء العمليات العسكرية لا يحدث تلقائياً أي أثر في انتقال الإقليم المحتل من سلطة الدولة الأصلية إلى سلطة الدولة المحتلة. ويمكن اعتبار إعدام السلطان المملوكي طومان باي وإنشاء الإدارة العثمانية الجديدة استكمالاً لعناصر الفتح العثماني لمصر. ينظر د. محمد سامي عبد الحميد وآخرون: التنظيم الدولي، دار المعارف بالإسكندرية ٢٠٠٤م، ص ١٤٣.
٣٠. هذا بينما يؤثر التوارث تأثيراً مباشراً على وضع الأفراد المقيمين في هذا الإقليم، وعلى القانون العام الداخلي. ينظر بيار- ماري دوبوي: القانون الدولي العام، ترجمة د. محمد عرب صاصيلا ود. سليم حداد، بيروت ٢٠٠٨م، ص ٨٤ وشارل روسو: القانون الدولي العام، ترجمة شكر الله خليفة وعبد المحسن سعد، بيروت ١٩٨٢م، ص ١٩٠-٢١٤.
- الأعلام، للزركلي.
- أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحمن، القاهرة ١٩٧٨م.
- أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة ١٩٨٧م.
- البحر الرائق شرح كنز الدقائق.
- البحر الرائق، تحقيق زكريا عميرات، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، لابن إياس الحنفي.
- تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق محمد الششتاوي، صدر عن دار الآفاق العربية في القاهرة سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- تحفة الأحباب، للملوي، تحقيق محمد الششتاوي، وصدر عن دار الآفاق العربية في القاهرة سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- الخطط التوفيقية الجديدة، لعلي مبارك، المطبعة الأميرية في بولاق ١٣٠٥م.
- الخطط التوفيقية.
- الديباج المذهب.
- رسالة في بيان الإقطاعات، مخطوطة في المكتبة الأزهرية برقم ٣٣٩٤٩٩.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي.
- الطبقات الكبرى، تحقيق زكريا عميرات.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لمحمد عبد الحق اللكنوي، تحقيق محمد بدر الدين أبو فراس الغساني، دار الكتاب العربي، القاهرة.
- القانون الدولي العام، لبيار ماري دوبوي، ترجمة د. محمد عرب صاصيلا ود. سليم حداد، بيروت ٢٠٠٨م.
- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، لمحمد بن محمد الغزي، تحقيق خليل منصور، دار الكتب المنصورة القاهرة ١٤١٨هـ.
- معجم المطبوعات، ليوسف ليان سركيس.
- مقدمة الأشباه والنظائر.

الرفق بالحيوانات ورعايتها الصحية نموذج لإسهامات العرب في تنمية الثروة الحيوانية في بلاد المغرب خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة

د. عصام منصور صالح عبد المولى
جامعة طبرق - ليبيا

يحاول هذا العمل الإجابة على إحدى التساؤلات التي لا تزال عالقة بالأذهان، وهي ما حجم التأثيرات الحضارية التي تركها العرب في مجمل تاريخ بلاد المغرب؟، وتحديدًا إفريقية كونها أولى مناطق بلاد المغرب التي شهدت استقرارًا عربيًا مبكرًا وواضحًا، منذ الأيام الأولى للفتح الإسلامي، وبناء عليه سنبحث الإسهام الإيجابي للعرب في اقتصاد بلاد المغرب خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، ويتمثل في تنمية ثروته الحيوانية، فهي لا تقل أهمية عن أي إسهام آخر لهم سواء في المجال الزراعي أو الصناعي أو التجاري، وهي مجالات نالت نصيبها من قبل كثير من الباحثين المهتمين بدراسة تاريخها، لوفرة مادة علمية زخرت بها المصادر التاريخية المغربية، والواقع أن هذا العمل يعد مدخلًا حيًا إلى ماضي براعة العرب، غير أن نصوصه ومعلوماته من الصعب الحصول عليها ودراستها بتعمق وبخاصة في الفترة الزمنية التي اخترناها، والرقعة الجغرافية التي حصرناها في إفريقية فقط تحتاج لبذل الجهد المضني، عبر منعرجات مصادر متنوعة المشارب - كالتاريخية والجغرافية والأدبية والعلمية والفقهية والموسوعية والمعجمية، لجمع ما تفرق من إشارات تاريخية، ووضعها جنبًا إلى جنب، مع احترام التسلسل الزمني لعلها تخطو بالبحث خطوات مهمة ويتمخض عنها نتائج طيبة، ولعل سبب اختيارنا لهذه الفترة الزمنية وهي القرنين الثاني والثالث الهجريين أن الاستقرار العربي في بلاد المغرب بدأ فعليًا مع تأسيس القيروان على يد عقبة بن نافع سنة ٥٠ هـ؛ أي منتصف القرن الأول، ولم يعم كافة ربوع إفريقية وباقي أرجاء بلاد المغرب إلا بعد تمام الفتح العربي على يد موسى بن نصير سنة ٩٨ هـ؛ أي أواخر القرن الأول وبداية الثاني الهجري، وإن كانت هناك إسهامات عربية في تنمية الثروة الحيوانية خلال القرن الأول فإن الصورة لم تأخذ في الوضوح إلا مع الكتابات التاريخية خلال القرن الثاني، وصارت رواياتها أكثر صدقًا عندما صار روايتها شهود عيان، عكس روايات القرن الأول التي انصب اهتمامها أول ما انصب على سير عمليات الفتوح، كونها كانت الحدث الأكبر والأهم؛ حيث استغرقت أكثر من سبعة عقود من الزمن، وربما أن الظروف لم تساعد عملية التنمية لكي نجد صداها في المصادر التاريخية.

التاريخ المغرب العربي بصفة عامة، وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي والثقافي بصفة خاصة، وهي إعطاء كل ذي حق حقه، وفق رؤية شاملة،

وأيا كان الحال فموضوع الدراسة يسعى البحث فيه إلى لفت النظر إلى تاريخ بلاد المغرب الاقتصادي، وتلبية لدعوة إعادة كتابة

لا يتم فيها تجاهل طرف على حساب طرف آخر، وذلك بمراعاة التخصيص؛ أي النظر إلى الحدث وتنسيبه إلى فاعله وصانعه.

بدا جلياً لنا عند قراءة مجمل تاريخ بلاد المغرب الإسلامي، أن العرب هم الشعب الجديد الذي فتحها، واستقر في ربوعها، وصبغها بالصبغة العربية الإسلامية، فمنذ البداية كانت هجرة العرب إلى بلاد المغرب مصاحبة لحركة الفتح الإسلامي، في صورة جيوش مركبة وحداتها تركيباً قبلياً؛ حيث كل قبيلة يقودها قائداً منها، معهم نسائهم وأولادهم، مثلما حدث في فتح الشام ومصر والعراق^(١)، وبمجموع هذه القبائل يتألف جيش الفتح، يقودها جميعاً قائد عام، يعين من قبل الخليفة، فما أن أتم العرب فتح بلاد المغرب حتى أخذوا بالاستقرار في مختلف مناطقه، بدأ من برقة ومروراً بطرابلس حتى مدينة القيروان^(٢).

بداية لا بد من التنويه بأن بلاد المغرب اشتملت على مراعي خصب، حتى أن حرفة الرعي قد ظهرت فيها منذ قرابة ألف سنة^(٣)، وعليه فقد تنوعت الثروة الحيوانية فيه وانقسمت إلى نوعين؛ حيوانات مستأنسة مثل الخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم وحيوانات متوحشة مثل الغزلان وبقر الوحش والنعام وغيره^(٤).

على كل حال سنحاول رصد إسهام العرب في تنمية هذه الثروة فقط بالنظر في زاويتين هما نشر ثقافة الرفق بالحيوان انطلاقاً من تعاليم الدين الإسلامي، ورعايته الصحية "طب الحيوان - البيطرة"؛ لذلك سنحاول بحث جزئية من جزئيات إسهامات إيجابية للعرب في الحياة

الاقتصادية ببلاد المغرب، وبخاصة في تنمية الثروة الحيوانية، رأينا حصرها في الفرق بالحيوانات ورعايتها الصحية، فهي لا تقل أهمية عن آليات ووسائل أخرى اتخذوها في هذا المضمار.

الرفق بالحيوانات :

وضع الإسلام مبدأ الرفق بالحيوان عندما حث القرآن الكريم على الرفق به^(٥)، فتعددت الأحاديث النبوية في هذا الشأن^(٦) وبنى عليها الفقهاء أحكاماً شرعية وآداباً التزم بها المسلمون في الحواضر والبادي، فمثلت موضوعاً أساسياً في كتب الفقه والنوازل المغربية مثل أحكام الصيد والذبائح، وأحكام النفقة عليها ورعايتها، ومنع الإسلام الذي دخل المغرب في ركب العرب الفاتحين كل ما من شأنه الضرر بالحيوان، بل وضح حقه في الحياة والغذاء وغيرها من الأمور، وأكدته المصادر الفقهية من خلال معالجتها كثير من القضايا في أمهات مصادر المذهب المالكي مثل سحنون ابن قبيلة تنوخ القحطانية، ويحيى بن عمر ابن قبيلة كنانة العدنانية وغيرهم^(٧).

ولهذا تعددت وجوه الرفق بالحيوانات فتمثلت في عدم تكليفه بأعمال غير ما عرف بتأديتها فما خلُق للحرث لا يجوز استعماله في الركوب وحمل الأثقال وإن حبلت الشاة ملزم صاحبها الإبقاء على شيء من لبنها لولدها^(٨)، وإمعاناً في حماية الحيوان والرفق به جعل له الإسلام حقوقاً، وعمل المحتسب على الحفاظ عليها وألزم الناس بذلك بقوة القانون، المستمد من الشريعة الإسلامية، فراقب التجاوزات التي يقوم بها بعض الناس في حق دوابهم، فإن رأى المحتسب

دابة حمل عليها فوق طاقتها أنزل حملها، وأمر صاحبها بالتخفيف عنها^(٩)، وهي المسألة التي عالجها الفقيه البرزلي ابن قبيلة بلي اليمنية تحت عنوان: " إرهاب البهائم بالأثقال منكر يجب تغييره "^(١٠)، وكذلك ابن زنين ابن قبيلة غطفان العدنانية^(١١) في معالجة مسألة استعارة الدابة لحمل الحنطة فيحمل عليها حجارة فتعطب^(١٢)، كانت هذه المخالفات معروفة عند حمالي الزرع ونقالي الحجارة والجص^(١٣)، كما أفتى سليل قبيلة حجر القحطانية ابن القاسم المتوفى سنة ١٩١ هـ^(١٤) بتضمين الرجل الذي يرش الماء أمام حانوته رشا كثيرا فتتزلق الدواب وتتكسر^(١٥).

ومن وجوه الرفق مراعاة إطعامها وسقيها وهو ما حث عليه الفقيه ابن قبيلة تجيب اليمنية ابن عبدون انطلاقاً من الحديث النبوي: "في كل كبد رطبة أجر"^(١٦) تأسيساً على الحديث الشريف "من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزان حسناته يوم القيامة"^(١٧)، وإمعاناً في التكريم نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الضرب والوسم في الوجه واللعن "لعن الله الذي وسمه"^(١٨).

بل إن حماية الحيوانات صار للدولة دور رسمي فيه ربما تشكل في تكليف المحتسب بتلك الوظيفة التي ظهرت بوضوح في بلاد المغرب متأخراً حسب ما نستشفه من المصادر، ذلك أن مهامها اضطلع بها القضاء مثل سحنون خلال القرن الثاني للهجرة، ولا ننسى أنها دول عربية كالمهالبة اليمنيين والأغلبية العدنانيين ومن قبلهم الفهريين القرشيين .

على كل حال تعددت وجوه الرفق بالحيوانات فكان للولاة دورهم الملحوظ عندما اهتم المهالبة اليمنيون بالخيول في المغرب، وأنشأوا لها الإصطبلات الخاصة بها، في موضع عرف بمنية الخيل^(١٩)، رغم أن بعض الروايات تنسب ذلك إلى موسى بن نصير^(٢٠)، إضافة إلى تفضيل صاحب الخيل في العطاء^(٢١)، وبذلك ضمنت لها رزقها مع رزق أصحابها بتوفير حاجاتها من طعام وشراب، بل إن الدولة العربية شجعت الناس منذ وقت مبكر على الاهتمام بالخيول، وبخاصة العربية الأصيلة منها، وذلك بتفضيل أصحاب الخيل العرب الأصيلة على أصحاب الخيل الهجينة في العطاء^(٢٢).

النهى عن الصيد الجائر: ربما سبق المسلمون العالم في هذا المضمار ففي ذلك حفاظاً على النوع من جهة وحفاظاً على التوازن البيئي من جهة أخرى، ويبدو أن اللهو بالصيد كانت ظاهرة منتشرة في بلاد المغرب، مما جعلت الفقيه سحنون بن سعيد التنوخي أن يخصص لها باباً مستقلاً في مدونته في النهي عنه^(٢٣)، وكذلك ابن أبي زيد القيرواني في كتابه النوادر والزيادات^(٢٤)، وذلك أنه كان من مظاهر لهوهم اتخاذهم الصيد ترفيهاً وتسلياً، وبخاصة أبناء المهالبة اليمنيين، ومنهم إسحاق بن يزيد بن حاتم، الذي كان يدرّب كلابه ويغريها على ضبي، فنهاه عبد الله بن فروخ عن ذلك^(٢٥)، كما نهى المحتسب عن التحريش بين البهائم، كنطاح الكباش، ونقار الديكة، وتحريم خصي البهائم^(٢٦).

ومن ضمن أمور الرفق بها إجازة الإنفاق عليها من أموال الصدقة والأوقاف مثل إقامة الكنف^(٢٧) على الطرق وفي المسالك، كملجأ لها

لتقيها من الريح والبرد، وأقدم إشارة مصدريّة إليها في عهد سحنون بن سعيد المتوفى سنة ٢٤٠ هـ^(٢٨)، وربما هي الفنادق التي أشار البكري المتوفى سنة ٤٨٧ هـ إلى كثرتها في الطرق البرية المؤدية من وإلى القيروان^(٢٩)، وربما فكرتها جاءت من فكرة الكنف.

ومن مظاهر الرفق بالحيوان توفيرهم المياه الصالحة للشرب لها ولعل من أشهرها ما عرف لديهم باسم **المثاعب**، وهي طريقة استنباط المياه في **حياض سقي** على طوال المسالك في البوادي لتوفيره للمسافرين والدواب، عرفها العرب في المشرق منذ العصر الراشدي^(٣٠)، وتنوعت مصادر المياه وتقنيات الحصول عليه فتنوعت وتعددت أسماءها ولكثرتها تردد صدق ذكرها في كتب الفقه والنوازل المغربية: **مواجل**، **فسقيات** - **آبار مطر**، **آبار ماشية**، **آبار سبيل**، **جباب**^(٣١)، وأعطتها مساحة من الاهتمام، بتنظيم تعامل الناس معها فميزت آبار سقي المزروعات عن آبار سقي الحيوانات^(٣٢)، وهي مسائل همت الحياة الاقتصادية الزراعية الرعوية، بحكم شح المياه ببلاد المغرب التي لم تُرزق أنهار دائمة الجريان، بما أن المياه عنصر مهم يشكل عماد النشاط الزراعي وكذلك الرعوي وقد كان للعرب جهود طيبة في توفيره، فالمصادر تشير إلى محاولات عديدة قام بها العرب منذ دخولهم المغرب؛ إذ كان الجيش العربي في تحركاته أثناء الفتوح في المغرب، يعتمد لاستنباط الماء من الأرض بحفر الآبار^(٣٣)، وقد أعطى ولاتهم المثال المحتذى في ذلك؛ إذ حفروا الآبار والتي سميت بعضها بأسماء بعضهم، مثل آبار معاوية ابن حديج^(٣٤)، وموسى بن نصير^(٣٥)، وهي طريقة

برع فيها العرب، وبخاصة أهل المدينة الأوس والخزرج، للاستفادة من المياه الجوفية المخزونة في باطن الأرض، في الشرب والزراعة^(٣٦)، بل حتى الخلفاء الأمويين، ومنهم هشام بن عبد الملك الذي عُرف باهتمامه بالزراعة^(٣٧)، يرجع إليه الفضل في بناء مواجل بالقيروان^(٣٨).

الرعاية الصحية:

مع غياب النصوص المصدريّة الواضحة عن دور عرب بلاد المغرب في هذا الجانب بوجود علماء بيطريين من عدمه أو أطباء مشهورين ذاع صيتهم بفضل ماصنفوه من مؤلفات في هذا الشأن، نرى أنه لا يعني غياب هذه المهنة والخبرة بالمرة؛ وبخاصة في فترة الدراسة وهي القرنين الثاني والثالث للهجرة، فكلاهما مرتبط ببعض؛ طب الإنسان وطب الحيوان، ولعل ما يعزز صدق اعتقادنا طول باع العرب في هذه الخبرة حتى إنه ذاع صيت كثير منهم أيام العصر الجاهلي وقبل دخولهم بلاد المغرب، فكان يقال للواحد منهم البيطر والبيطار^(٣٩).

وطب الحيوان في بلاد المغرب كان يعرف باسم البيطرة^(٤٠)، والبيطرة هم أطباء الدواب، ورد ذكرهم في كتب الفقه المغربية باسم أهل المعرفة بأمراض الدواب، دون أن تسمي لنا اسم أي واحد منهم ليتمكننا من رصد جهود العرب في هذا المضمار^(٤١)، لكن ذلك لا يقف حجرة عثرة أمام محاولة تلمس دورهم، ومؤكد أنهم سواء كانوا عرباً أو غيرهم فأنهم ربما استمدوا الخبرة أو بعضها في الطب البيطري من كتب علوم الحيوان والبيطرة ككتاب الحيوان لأبي عبيدة معمر بن المثنى ابن قبيلة قريش المتوفى

٢١٠هـ وغيره، وكتابي الحيوان والقول في البغال للجاحظ، ابن قبيلة قريش المتوفى سنة ٢٤٥هـ^(٢٢). وبخاصة وأن هذه الكتب جازت إلى بلاد المغرب، ومنها عبرت إلى الأندلس، بل ما يعزز صدق اعتقادنا أن الأطباء والبيطرة العرب كانوا يرافقون الجيوش العربية الفاتحة، للعناية بصحة الخيل^(٢٣).

بل إن أبناء العرب الذين استقروا بالمغرب سجلوا حضوراً واضحاً في مجال الطب، فقد تسنى لهم ذلك بشكل أوضح أيام المهالبة اليمينيين، باستقدام الأخيرين للمغرب أطباء مشاركة مشهورين، مثل الطبيب السرياني أبو يوحنا ماسويه^(٢٤)، الذي طالت فترة مكوثه بالمغرب؛ حيث شملت ولاية يزيد بن حاتم، ولا نستبعد أنه كان له نشاط تعليمي، وتلمذ على يده من تتلمذ، واستقى الخبرة منه في هذا الشأن من أبناء العرب المستقرين بالمغرب أو غيرهم، كما هو الحال بالنسبة للأغلبية العدنانيين، فقد عرف الطب في عهدهم بالمغرب بعضاً من الأطباء، جلبوهم من خارجه، كإسحاق بن عمران البغدادي الملقب بسم الساعة، وله من المؤلفات ما تزيد عن خمسة عشر كتاباً^(٢٥)، حتى ظهر في المغرب أطباء محليين ذاع صيتهم مثل أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار الذي عاصر الدولتين الفاطمية والأغلبية^(٢٦)، عندما وضع العديد من المؤلفات الطبية، أحصاها حسن حسنى عبد الوهاب في أربعة وعشرين كتاباً^(٢٧)، وكذلك زياد بن خلفون مولى الأغلبية^(٢٨)، عاصر الدولتين الأغلبية والفاطمية، ويبدو أنه من براعته ونجاحه اتخذه الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي طبيباً خاصاً، ومن بعده ابنه المهدي، إلى أن وافاته المنية

سنة ٣٠٨هـ^(٢٩)، والبيطرة علم شأنه شأن الطب البشري يعتمد هو الآخر على التشخيص والعلاج فابن الرازي أبو بكر المتوفى سنة ٣١٣هـ أول من طالب بتجريب الأدوية على الحيوان.

واضح أن الخبرة والدراية بالعلوم الطبية اتسع انتشارها وصارت ثقافة، والإمام بها شمل عديد الفقهاء العرب، عندما صار يطلق على الواحد منهم في الغالب فقيه البدن، مثل سحنون ابن سعيد بن حبيب ابن قبيلة تنوخ المتوفى سنة ٢٤٠هـ^(٣٠)، ويحيى بن عمر ابن قبيلة كنانة، ت: ٢٨٩هـ^(٣١)، وأبو الأسود موسى بن عبد الرحمن القطان، ت: ٢٩٠هـ ابن قبيلة قريش^(٣٢)، وابن الحفنة، عبد الله بن حمود السلمي، ت: ٣٥٦هـ، ابن قبيلة الأنصار^(٣٣)، والمازري، أبو عبد الله محمد بن علي التميمي ابن قبيلة تميم العدنانية، ت: ٥٣٦هـ^(٣٤). ولا نستبعد درايتهم بطب الحيوان فكلاهما يخضع للملاحظة والتشخيص، وعلى الرغم من غياب الإشارات المصدرية التي تثبت ذلك صراحة، والذي قادنا إلى هذا الاعتقاد هو اشتغال مؤلفاتهم الفقهية على فصول تتعلق برعاية الحيوانات والنفقة عليها^(٣٥)، وأخرى تبيين عيوب الدواب وأمراضها خصصت للفصل في المنازعات التي تحدث أثناء البيع والشراء، وهي تشمل معلومات ضمنية وأخرى صريحة عن علم البيطرة^(٣٦).

ويبدو أن البيطرة كانت مهنة معروفة تمتلئ في بلاد المغرب ووصلت من المهارة والحدقة والدراية أن صار صاحبها يضرب به المثل كقولهم: " أني أعرف بالناس من البيطار بالدواب"^(٣٧)، فبلاد المغرب شأنها شأن أي بلاد إسلامية كانت الحيوانات فيها عرضة لكثير من

الأمراض التي كثيراً ما تؤدي إلى هلاكها، لعل من أولها تلك القروح التي تظهر على أبدانها من حين إلى آخر متمثلة في قروح تنفط عن الجلد ممتلئة ماء وقيح^(٥٨)، حدثتنا عنها كتب النوازل يصيب الشاة خاصة وعده الفقهاء عيباً ترد به الشاة^(٥٩)، وكذلك القُردُ المهلك للدواب تلك الدويبة الصغيرة التي تعض الإبل فتلتصق بجلدها^(٦٠)، وغيرها من الأمراض التي عدها الفقهاء سواء أكانوا عرب أو موالي لهم عيوباً ترد بها الدواب عند البيع والشراء، عددها لنا البرزلي ابن قبيلة بلي اليمينية في كتابه جامع المسائل والأحكام كالانتشار والشظى والدحس والزوائد والحدرد والسرطان والارتهاش والخموع^(٦١).

المحافظة على سلامة البيئة: وهي من ضمن وجوه الرعاية الصحية متمثلة في إجراءات وقائية للمحافظة على نظافة الماء والهواء والمراعي ولا ندري أنها جاءت بحكم آلية مباشرة؛ أي بقصد أم بغيره فليس مابين أيدينا من النصوص ما تنفي أو تثبت ذلك، غير أنها إجراءات حتمًا لها دورها في الحفاظ على صحة الإنسان والدواب؛ على كل حال المحافظة على البيئة جاءت انطلاقاً من الهدى النبوي واتباع السنة النبوية عندما أكد الإسلام على أهمية الطهارة في المكان والبدن وجعلها شرطاً لأداء بعض العبادات لعل أولها الصلاة حتى شاعت بين المسلمين مقولة النظافة من الإيمان والتي عدها الرسول صلى الله عليه وسلم نصف الإيمان: "الطهور شطر الإيمان"^(٦٢)، و"الإيمان بضع وسبعون درجة فأدناها إمطة الأذى عن الطريق"^(٦٣)؛ لذلك نهى عن البصاق على الأرض وعده خطيئة كفارتها دفنه^(٦٤)، وذلك حرصاً على

نظافة أي مكان على سطح الأرض: "جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأیما رجل من أمتي أدركته الصلاة فيصل"^(٦٥)، وعليه نهى عن البول في موارد المياه وهي الآبار والعيون والأنهار والتبرز في الظل وقوارع الطرق^(٦٦)، وما لبثت أن صارت وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم وإرشاداته قوانين عمل بها المسلمين، وبنى عليها الفقهاء أحكاماً شرعية وآداباً، وغدت شؤون البيئة موضوعاً أساسياً اشتملت عليها كتب الفقه والنوازل المغربية مواكبة للتطور الحاصل في الحركة العمرانية معتمدين الحديث النبوي الشريف: "لا ضرر ولا ضرار"^(٦٧).

كما كان للعرب درجة متقدمة من العلم تمثلت في ما يعرف يومنا هذا بالحجر الصحي تجسد فيما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "لا يورد ممرض على مصح وإن الجرب قد يكون بالبعير فإذا خالط الإبل أو حكها"^(٦٨).

ختاماً بالإمكان لمس نتائج دور العرب في تنمية ثروة الحيوانات ببلاد المغرب، في مجمل طفرة تنامي ثروته الحيوانية، فكان دورهم معول بناء لا معول هدم، دفعوا بعجلة الإنتاج قدماً باتخاذهم عدة آليات رأينا الاقتصار على اثنين منها بالدراسة والتوضيح نعتقد أنها لم تنل حقها من البحث والتمحيص، فبنظرة متأنية لجل المصادر سواء كانت تاريخية أم أدبية أم فقهية أم جغرافية نلاحظ أن الغالب على أسعار اللحوم الانخفاض، حسب إشارة المصادر عن سعر لحم الضأن الرطل منه بدرهم واحد، وبقية اللحوم أقل منه سعراً، بل ينخفض أكثر من ذلك في مواسم الربيع^(٦٩)، وتراوح ثمن الشاة مابين ٥ إلى ٦ دراهم^(٧٠)، والماعز أقل من الضأن في

تكريمها بأن سُميت سور عديدة بأسماء الحيوانات كسورة البقرة والأنعام والنحل والنمل والفيل.

٦. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: ٢٦١هـ، صحيح مسلم، المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن، الرياض، دار طيبة، ٢٠٠٦م، ص ٩٢٦، ١٠٦٨م، ١٠٦٩.

٧. سحنون بن سعيد التتوخي، ت: ٢٤٠هـ، المدونة الكبرى، نشر: محمد ساسي التونسي المغربي، مصر، مطبعة السعادة، ١٣٢٣هـ، ص ٥١ إلى ص ٧٥؛ ابن أبي زيد القيرواني، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، ت: ٣٨٦هـ، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحقيق: محمد الأمين بو خيزة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٩م، ج ٤، ص ٣٠٩ إلى ص ٣٨٦؛ الونشريسي، أحمد بن يحيى، ت: ٩١٤هـ، المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تخرّيج: جماعة من الفقهاء، بإشراف، محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م، ج ٢، ص ٥ إلى ص ٤٥.

٨. السقطي، أبي عبد الله السقطي المالقي الأندلسي، كتاب في آداب الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الجزء ٢١، طبع بمطبعة إرنست لورو- باريس، ١٩٣١م، ص ٣٢.

٩. ابن أبي زيد، المصدر السابق، ج ٧ ص ٣٨٣؛ الجرسيفي، عمر بن عثمان بن العباس، آداب الحسبة والمحتسب، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م، ص ١٢٤.

١٠. الونشريسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٠١.

١١. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت: ٤٥٦هـ، جمهرة انساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٩م، ص ٢٥٤؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن علي الجزري، ت: ٦٣٠هـ، اللباب في تهذيب الانساب، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، ج ٢، ص ٣٢٣.

١٢. ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عيسى،

السعر والقيمة؛ أي نصف ثمن الضأن استنتاجاً من مقدار الزكاة المفروض على كليهما^(٧١)، ولا نستغرب أن كان رأس مال الجزار في القيروان عشرة دنانير^(٧٢). وربما خير دليل على تنامي الثروة الحيوانية بأن صار لكل جنساً منها سوقاً منفرداً ففي القيروان وحدها كان هناك سوق الدجاج^(٧٣)، وسوق الغنم^(٧٤)، وسوق الإبل^(٧٥)، بل صارت حيوانات المغرب ذات قيمة رمزية في الهدايا الملوكية، إذ يروي المسعودي وصول هدية الأمير الأغلب زيادة الله إلي الخليفة العباسي المستكفي سنة ٢٩٥هـ، متمثلة في: "مائة من الخيل العربية"^(٧٦)، بل أنها حافظت على قيمتها إلى زمن ما بعد الحيز الزمني للدراسة حيث القرن السادس الهجري^(٧٧).

الحواشي

١. الأزدي، محمد بن عبد الله، ت: ١٧٨هـ، فتوح الشام، تحقيق: عبد المنعم عبد الله عامر، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٧٠م، ص ١٦؛ الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، ت: ٢٠٧هـ، فتوح الشام، تحقيق: هاني الحاج، القاهرة، المكتبة التوفيقية، لايت، ج ١، ص ١٧.

٢. أحمد بن يعقوب بن واضح، ت: ٢٨٤هـ، كتاب البلدان، مكتبة المثنى، بغداد، لايت، ص ٣٤٣، ٣٤٨.

٣. عبد الحميد بو سماحة، المسير في تغريبة بني هلال بين الواقع والخيال، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٥م، ص ١١٠.

٤. ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى، ت: ٧٤٩هـ، مسالك الإبحار في ممالك الأمصار، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى هزيمة ويوسف أحمد بني ياسين، الإمارات العربية المتحدة، مركز زايد للتراث، ٢٠٠١م، ج ٤، ص ٨.

٥. وصف القران الحيوانات بالنعم والأنعام، ومن

٢٥. المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد، ت: نهاية القرن الرابع الهجري، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وزهادهم ونساکهم وسیر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش ومراجعة: محمد العروسي المطوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤م، ج١، ص١٨٤.
٢٦. ابن الأخوة، ضياء الدين محمد بن أحمد القرشي، ت: ٧٢٩ هـ، معالم القرية في أحكام الحسبة، تعليق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م، ص٢٩١، ٣٥١.
٢٧. وهي حظيرة الغنم تصنع من الخشب، ابن منظور، أبو الفضل جمال، ت: ٧١١ هـ، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٥٥م، ج١، ص٤٤٧.
٢٨. ابن أبي زيد، المصدر السابق، ج٩، ص٢٨.
٢٩. البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٥.
٣٠. ابن منظور، المصدر السابق، ج١، ص٢٣٦؛ الصنعاني، أبو بكر عبد الرازق بن همام، ت: ٢٢٠ هـ، مصنف عبد الرازق، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٣م، ج١٠، ص٧٢.
٣١. سحنون، المصدر السابق، ج١٤، ص٥١٥؛ ج١٦، ص٤٥٤؛ ابن أبي زيد، المصدر السابق، ج١١، ص١٠٨، ج١٣، ص٥١٧؛ الونشريسي، المصدر السابق، ج٦، ص٢٦٩، ج٧، ص٢٣٥.
٣٢. ابن أبي زيد، المصدر السابق، ج١١، ص٥؛ ص١٦، لا يغرس أحد على ماء الماشية غرساً ولا يحيي عليها حقاً، نفسه، ج١٠، ص٤٩٦.
٣٣. ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن الحكم بن أعين، ت: ٢٥٧ هـ، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٤م، ص٢٢٣، ٢٢٦؛ حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، لا ت، ص١٨٧.
٣٤. آبار حديق في الموضع الذي بنى فيه عقبة القيروان، المالكي، المصدر السابق، ج١، ص٩٣؛ مقديش، محمود بن سعيد، ت: ١٢٢٨ هـ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواري ومحمد محفوظ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م، ص٢٠٩.
- ت: ٣٩٩ هـ، منتخب الأحكام، تحقيق: عبد الله بن عطية الغامدي، الرياض، مكتبة الريان، لا ت، ص٣٠٦.
١٣. الونشريسي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٠١.
١٤. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، ت: ٦٨١ هـ، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، لا ت، ج٣، ص١٢٩.
١٥. الونشريسي، المصدر السابق، ج٦، ص٢٤٠.
١٦. ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي، رسالة في القضاء والحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م، ص٩٦.
١٧. البخاري، إسماعيل بن إبراهيم، ت: ٢٥٦ هـ، صحيح البخاري، القاهرة، مطابع الشعب، ١٣٧٨ هـ، ج٤، ص٢٨.
١٨. مسلم، المصدر السابق، ص١٠١٧.
١٩. الرقيق، إبراهيم بن القاسم القيرواني، توفى: النصف الأول من القرن الخامس الهجري، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: المنجي الكعبي، تونس، الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٥م، ص١٩١.
٢٠. ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت: ٢٧٦ هـ، الإمامة والسياسة، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٦٣م، ج٢، ص٨٦.
٢١. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ت: ٣١٠ هـ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٢م، ج٤، ص٤٣؛ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد ابن حبيب، ت: ٤٥٠ هـ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بيروت، دار الكتب العلمية، لا ت، ص٢٥٦.
٢٢. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، ت: ٢١٣ هـ، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، لا ت، ج١، ص٤١، ٤٢.
٢٣. ج٣، ص٥١: ٦٣.
٢٤. ج٤، ص٣٤١: ٣٥٨.

العباس موفق الدين، ت: ٦٨٨هـ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، دار الثقافة، لا.ت، ج٢، ص٢٨؛ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار أحياء التراث العربي، لا.ت، ج١، ص٢٦٥.

٤٤. الرقيق، المصدر السابق، ص٢٠٢؛ ابن جلجل، أبو داود سليمان، ت: ٣٧٧هـ، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م، ص٦٥؛ المالكي، المصدر السابق، ج١، ص١٦١، **يطلق عليه يوحنا المتطبب**.

٤٥. ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص٤٧٨، ٤٧٩.

٤٦. نفسه، ص٨٩؛ الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي، ت: ٦٢٦هـ، معجم الأديباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ج٢، ص١٨٧، ١٨٨.

٤٧. حسن حسنى عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة عن الحضارة العربية في إفريقيا التونسية، جمع: محمد العروسي المطوي، تونس، مكتبة المنار، ١٩٧٢م، ج١، ص٣١٣: ٣١٨.

٤٨. البكري، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٧.

٤٩. ابن عذارى، محمد بن عذارى المراكشي، ت: نهاية القرن السابع الهجري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان وليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٣م، ج١، ص١٨٣.

٥٠. أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم، ت: ٣٣٣هـ، طبقات علماء إفريقية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، لا.ت، ص١٠١.

٥١. الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، ت: ٦٩٦هـ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: عبد المجيد خيالي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م، ج٢، ص١٢٩.

٥٢. نفسه، ج٢، ص١٨٦.

٥٣. المالكي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٩٧.

٥٤. ابن فرحون المالكي، برهان الدين بن علي، ت: ٧٩٩هـ، الديباج المذهب في معرفة أعيان

٣٥. ابن قتيبة الدينوري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٦.

٣٦. كرايمر، "بئر"، تعريب: خورشيد، دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، دار الشعب، ١٩٦٩م، ج٨، ص٥٤٦؛ **وقد وردت طرق وأساليب استنباط العرب للماء لري بساتينهم في المغرب**، القاضي عياض وولده: مذاهب الحكماء في نوازل الأحكام، تحقيق: محمد بن شريفة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م، ص١٠٠.

٣٧. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، ت: ٢٧٩هـ، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، بيروت، دار الفكر، لا.ت، ج٨، ص٣٨٩، ٣٩٨، ٤١١، ٤١٩.

٣٨. المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد، ت: ٣٨٨هـ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، دار صادر، لا.ت، ص٢٢٥؛ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، ت: ٤٨٧هـ، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، ج٢، ص١٩٨؛ للمزيد من المعلومات ينظر بحثنا الموسوم تقنيات عربية لتوفير مياه الشرب في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط، قيد النشر.

٣٩. الديميري، كمال الدين محمد موسى، ت: ٨٠٨هـ، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: إبراهيم صالح سوريا، دار البشائر، ٢٠٠٥م، ج١، ص٦٣٣؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، نشر جامعة بغداد، ١٩٩٣م، ج٨، ص٤٩٨، ٤٩٩.

٤٠. ابن أبي زيد، المصدر السابق، ج٤، ص٧٠.

٤١. محمد سحنون بن سعيد التتوخي، ت: ٢٥٦هـ، كتاب الأجوبة، تحقيق ودراسة: حامد العلوي، تونس، دار سحنون، ٢٠٠٠م، ص١٧٢، المالكي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٦١.

٤٢. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، ت: ٢٤٥هـ، كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٦٠م؛ وكتاب القول في البغال، تحقيق: شارل بلا، القاهرة، مكتبة الحلبي، ١٩٥٥م.

٤٣. القفطي، علي بن يوسف، ت: ٦٤٦هـ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، بيروت، المكتب التجاري للنشر والتوزيع، لا.ت، ص١٧٨؛ ابن أبي أصيبعة، أبو

- أهل المذهب، تحقيق: مأمون محي الدين الجنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م، ص ٣٧٥.
٥٥. سحنون، المصدر السابق، ص ٥١؛ ابن أبي زيد، السابق، ج ٤، من ص ٣٠٩: ص ٣٨٦.
٥٦. ابن سهل، أبو الإصبع عيسى، ت: ٤٨٦هـ، ديوان الأحكام الكبرى، تحقيق: يحي مراد، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٧م، ص ٣٣٩، ٣٤٣؛ الونشريسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٥.
٥٧. وهو مثل أكثر من اشتهر به ابن قبيلة قریش أبو سعيد خلفون النوفلي المتوفى في المغرب سنة ٣٥٤ هـ، المالكي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦١.
٥٨. ابن منظور، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٠.
٥٩. الونشريسي، المصدر السابق، ج ٦، ص ٥٠.
٦٠. ابن منظور، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٤٨؛ الونشريسي، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٨٩.
٦١. البرزلي، أبو القاسم بن أحمد البلوي، ت: ٨٤١ هـ، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢م، ج ٣، ص ٢٩٢، ٢٩٣.
٦٢. مسلم، المصدر السابق، ص ١٤٠.
٦٣. نفسه، ص ٤٤٩.
٦٤. ابن حنبل، أحمد بن محمد، ت: ٢٤١ هـ، كتاب المسند، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م، ج ٢٠، ص ١٧٤، ١٧٥.
٦٥. البخاري، المصدر السابق، ج ١، ص ٩٥.
٦٦. مسلم، المصدر السابق، ص ١٤٤؛ ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت: ٢٧٥ هـ، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٣م، ج ١، ص ٢٠٨.
٦٧. ابن أبي زيد، المصدر السابق، ج ١١، ص ٣٧؛ ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله، ت: ٤٢٤ هـ، آداب الحسبة والمحتسب، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م، ص ١١٠؛ الونشريسي، المصدر السابق،
- ج ٨، ص ٤٤٦. للمزيد راجع بحثنا: المحافظة على سلامة البيئة في بلاد المغرب مدينة القيروان نموذجاً، قيد النشر.
٦٨. البخاري، المصدر السابق، ج ٧، ص ١٣٩؛ مسلم، المصدر السابق، مج ٢، ص ١٠٥٨.
٦٩. يحيى بن عمر، ابن يوسف بن عامر، ت: ٢٨٩ هـ، كتاب إحكام السوق، تحقيق: محمود علي مكي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٥٤م، المجلد الرابع، العدد الأول، ص ١١٥.
٧٠. ابن أبي زيد القيرواني، المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٣٥، ٣٥١، ومن باب المقارنة لم يختلف سعرها عن أسعار المشرق وبخاصة في صدر الإسلام إذ أشارت المصادر إلى ثمنها على فترات زمنية مختلفة، ففي عهد الخليفة عمر بن الخطاب خمسة دراهم، أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، ت: ١٨٢ هـ، كتاب الخراج، تحقيق: محمود الباجي، تونس، دار بوسلامة، لا.ت، ص ١٥٦؛ وفي خلافة سيدنا أبي بكر الصديق عشرة دراهم، وفي خلافة سيدنا علي خمسة دراهم، ابن سلام، أبو عبيدة القاسم، ت: ٢٢٤ هـ، كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م، ص ٣٧٥، ٣٨٠، وفي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بلغ ثمنها ستة دراهم، الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، ت: ٤٣٠ هـ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٠م، ج ٥، ص ٦٧، وفي العصر الأموي الشاة المسلوخة درهمين، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، ت: ٢٤٥ هـ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٨م، ج ٢، ص ٢٣٧.
٧١. سحنون، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٦؛ ابن أبي زيد القيرواني، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٥، ٣٩.
٧٢. الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، ت: القرن الرابع الهجري، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤م، ص ٢٥٣.
٧٣. المالكي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥١، ج ٢، ص ١٤٦؛ حسن حسني عبدالوهاب، بساط العقيق

والحكام، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢م.

- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، ت: ٤٨٧هـ، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، ت: ٢٧٩هـ، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، بيروت، دار الفكر، لا.ت.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، ت: ٢٤٥هـ، (١) البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٨م.
- (٢) كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٦٠م.
- (٣) كتاب القول في البغال، تحقيق: شارل بلا، القاهرة، مكتبة الحلبي، ١٩٥٥م.
- الجرسيفي، عمر بن عثمان بن العباس، آداب الحسبة والمحتسب، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م.
- ابن جلجل، أبو داود سليمان، ت: ٣٧٧هـ، طبقات الأطباء والحكام، تحقيق: فؤاد سيد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار أحياء التراث العربي، لا.ت.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت: ٤٥٦هـ، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٩م.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي، ت: ٦٢٦هـ، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد، ت: ٢٤١هـ، كتاب المسند، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م.
- الخشني، محمد بن حارث، ت: ٣٦١هـ، طبقات علماء إفريقية، تحقيق: محمد زينهم عزب، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٣م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، ت:

في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، تقديم: محمد العروسي المطوي، قرطاج، بيت الحكمة، ٢٠٠٩م، ص ١٦.

- ٧٤. المالكي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٦؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٨.
- ٧٥. الخشني، محمد بن حارث، ت: ٣٦١هـ، طبقات علماء إفريقية، تحقيق: محمد زينهم عزب، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٣م، ص ٥٠؛ المالكي، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٥.
- ٧٦. المسعودي، أبو الحسن علي، ت: ٣٤٦هـ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: يوسف سعد ادغر، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٤م، ج ٤، ص ٢٠٠.
- ٧٧. ابن عذاري، المصدر السابق، ج ٤ ص ٢٦.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن علي الجزري، ت: ٦٣٠هـ، اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، بيروت دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.
- ابن الأخوة، ضياء الدين محمد بن أحمد القرشي، ت: ٧٢٩هـ، معالم القرية في أحكام الحسبة، تعليق: ابراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.
- الأزدي، محمد بن عبد الله، ت: ١٧٨هـ، فتوح الشام، تحقيق: عبد المنعم عبد الله عامر، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٧٠م.
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، ت: ٤٣٠هـ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٠م.
- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس موفق الدين، ت: ٦٨٨هـ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، دار الثقافة، لا.ت.
- البخاري، إسماعيل بن إبراهيم، ت: ٢٥٦هـ، صحيح البخاري، القاهرة، مطابع الشعب، ١٣٧٨هـ.
- البرزلي، أبو القاسم بن أحمد البلوي، ت: ٨٤١هـ، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين

- ٦٨١هـ، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، لا.ت.
- الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، ت: ٦٩٦هـ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: عبد المجيد خيالي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م.
- الدميري، كمال الدين محمد موسى، ت: ٨٠٨هـ، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: إبراهيم صالح، سوريا، دار البشائر، ٢٠٠٥م.
- الرقيق، إبراهيم بن القاسم القيرواني، توفي: النصف الأول من القرن الخامس الهجري، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: المنجي الكعبي، تونس، الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٥م.
- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، ت: القرن الرابع الهجري، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤م.
- ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عيسى، ت: ٣٩٩هـ، منتخب الأحكام، تحقيق: عبد الله بن عطية الغامدي، الرياض، مكتبة الريان، لا.ت.
- ابن أبي زيد القيرواني، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، ت: ٣٨٦هـ، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحقيق: محمد الأمين بو خبزة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٩م.
- سحنون بن سعيد التتوخي، ت: ٢٤٠هـ، المدونة الكبرى، نشر: محمد ساسي التونسي المغربي، مصر، مطبعة السعادة، ١٣٢٣هـ.
- السقطي، أبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي، كتاب في آداب الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الجزء ٢١، طبع بمطبعة إرنست لورو - باريس، ١٩٣١م.
- ابن سهل، أبو الإصبع عيسى، ت: ٤٨٦هـ، ديوان الأحكام الكبرى، الأعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكماء، تحقيق: يحي مراد، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٧م.
- ابن سلام، أبو عبيدة القاسم، ت: ٢٢٤هـ، كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م.
- الصنعاني، أبو بكر عبد الرازق بن همام، ت: ٢٢٠هـ، مصنف عبد الرازق، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٣م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ت: ٣١٠هـ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٢م.
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن الحكم بن أعين، ت: ٢٥٧هـ، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٤م.
- ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله، ت: ٤٢٤هـ، آداب الحسبة والمحتسب، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، ١٩٥٥م.
- ابن عبدون التجيبي، محمد بن أحمد التجيبي، رسالة في القضاء والحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، ١٩٥٥م.
- ابن عذاري، محمد بن عذاري المراكشي، ت: نهاية القرن السابع الهجري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان ولفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٣م.
- أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم، ت: ٣٣٣هـ، طبقات علماء إفريقية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، لا.ت.
- ابن فرحون المالكي، برهان الدين بن علي، ت: ٧٩٩هـ، الديباج المذهب في معرفة أعيان أهل المذهب، تحقيق: مأمون محي الدين الجنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.
- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أبي العباس أحمد ابن يحيى، ت: ٧٤٩هـ، مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى هزايمة ويوسف أحمد بني ياسين، الإمارات العربية المتحدة، مركز زايد للتراث، ٢٠٠١م.
- القاضي عياض وولده، مذاهب الحكماء في نوازل الأحكام، تحقيق: محمد بن شريفة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م.
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت: ٢٧٦هـ، الإمامة والسياسة، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٦٣م.

- القفطي، علي بن يوسف، ت: ٦٤٦هـ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، بيروت، المكتب التجاري للنشر والتوزيع، لا.ت.
 - ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت: ٢٧٥هـ، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٣م.
 - المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد، ت: نهاية القرن الرابع الهجري، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش ومراجعة: محمد العروسي المطوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤م.
 - الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، ت: ٤٥٠هـ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بيروت، دار الكتب العلمية، لا.ت.
 - محمد سحنون بن سعيد التتوخي، ت: ٢٥٦هـ، كتاب الأجوبة، تحقيق ودراسة: حامد العلوي، تونس، دار سحنون، ٢٠٠٠م.
 - المسعودي، أبو الحسن علي، ت: ٣٤٦هـ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: يوسف سعد ادغر، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٤م.
 - مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: ٢٦١هـ، صحيح مسلم، المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن، الرياض، دار طيبة، ٢٠٠٦م.
 - المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد، ت: ٣٨٨هـ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، دار صادر، لا.ت.
 - مقديش، محمود بن سعيد، ت: ١٢٢٨هـ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواري ومحمد محفوظ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م.
 - ابن منظور، أبو الفضل جمال، ت: ٧١١هـ، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٥٥م.
 - ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، ت: ٢١٣هـ، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، بيروت، دار أحياء التراث العربي، لا.ت.
 - الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، ت: ٢٠٧هـ، فتوح الشام، تحقيق: هاني الحاج، القاهرة، المكتبة التوفيقية، لا.ت.
 - الونشريسي، أحمد بن يحيى، ت: ٩١٤هـ، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج: جماعة من الفقهاء، بإشراف، محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م.
 - يحيى بن عمر، ابن يوسف بن عامر، ت: ٢٨٩هـ، كتاب إحكام السوق، تحقيق: محمود علي مكي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية مدريد، ١٩٥٤م، المجلد الرابع، العدد الأول.
 - اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن واضح، ت: ٢٨٤هـ، كتاب البلدان، مكتبة المثنى، بغداد، لا.ت.
 - أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، ت: ١٨٢هـ، كتاب الخراج، تحقيق: محمود الباجي، تونس، دار بوسلامة، لا.ت.
- المراجع:**
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، نشر جامعة بغداد، ١٩٩٣م.
 - حسن حسني عبد الوهاب، بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيقي، تقديم: محمد العروسي المطوي، قرطاج، بيت الحكمة، ٢٠٠٩م.
 - حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة عن الحضارة العربية في إفريقية التونسية، جمع: محمد العروسي المطوي، تونس، مكتبة المنار، ١٩٧٢م.
 - حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، لا.ت.
 - عبد الحميد بو سماعة، المسير في تغريبة بني هلال بين الواقع والخيال، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٥م.
 - عصام منصور صالح عبد المولى، المحافظة على سلامة البيئة في بلاد المغرب مدينة القيروان نموذجاً، قيد النشر.
 - كرايمر، "بئر"، تعريب: خورشيد، دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، دار الشعب، ١٩٦٩م.

التوليد الدلالي من الجذر (ع ر ب) في اللغات السامية، دراسة مقارنة

د. جلال عبد الله محمد سيف الحمادي
جامعة تعز - الجمهورية اليمنية

المقدمة:

اتّجهت جهود علماء الساميات في مجال الدرس المقارن للغات السامية -بشكل مكثّف- إلى مقارنة الأصوات وبنية الكلمة (الصرف) وبنية الجملة (النحو)، ولم يحظَ المستوى الدلالي والمعجمي منه بشكل خاصّ بالعناية ذاتها التي نالتها المستويات الثلاثة السابقة. وتأتي هذه الدراسة محاولةً لإضافة جهدٍ جديدٍ في مجال الدرس الدلالي المقارن للغات السامية من خلال مقارنة الدلالات اللغوية للمشتقات الصرفية لجذر لغويٍّ مشتركٍ شائعٍ في اللغات السامية هو الجذر (ع ر ب) الذي ثبت من خلال الدراسة كونه حافلاً بدلالاتٍ خصبة وإيحاءاتٍ مدهشة. ولم يكن اختيار الموضوع بطريقة عشوائية، إذ تنبّه الباحث إلى أهميّة هذا الموضوع من خلال اطلاعه على معاجم اللغات السامية المتاحة ومصادرها في سياق الاشتغال بأبحاثٍ أخرى في حقل الساميات، فبدأ العمل على جمع المادة اللغوية وتصنيفها وترتيبها، وفي هذه الأثناء وقف الباحث على بحثٍ رصينٍ للزميل الدكتور /فهمي حسن أحمد من جامعة عدن عن (التوليد الدلالي والمعجمي للجذر (ش ر ح))، وهو بحثٌ مقارنٌ في اللغات السامية، فترسّخت لدى الباحث القناعة بأهميّة الموضوع ووجدوى البحث في هذا النوع من الموضوعات.

*منهج الدراسة:

*أسباب اختيار الموضوع:

اعتمدت الدراسة المنهجين الوصفي والمقارن، فبدأت بتقديم وصفٍ إحصائيٍّ للدلالات اللغوية المتولّدة من الجذر (ع ر ب) في كلّ لغةٍ على حدةٍ من اللغات السامية حقل الدراسة، وهي: العربية الفصحى وتراثها المتنوّع المتمثّل في:

١- جدّة الموضوع، فلم يقف الباحث على دراسة سابقة تناولت هذا الموضوع من قبل.

٢- الرغبة في رفد المكتبة اللسانية العربية بإضافة جديدةٍ إلى حقل الدرس الدلالي السامي المقارن.

المعاجم بأنواعها المختلفة (اللفظية والاصطلاحية) ومعاجم الرجال ومعاجم البلدان ومعاجم القبائل والأنساب)، والقرآن الكريم، والحديث النبوي، ثم العربية الجنوبية (اليمنية القديمة) من خلال المعاجم ودراسات نقوش المسند، ثم اليمنية الحديثة (اللهجة المحكية والأمثال اليمنية)، ثم اللغة الحبشية، فالعبرية، فالآرامية من خلال لهجتها (السريانية والنبطية)، فالكنعانية، فالأوجاريتية.

أما الأكديّة، فلم ندخلها ضمن حقل الدراسة؛ لأنّه من المعلوم أنّ أصوات الحلق اختفت فيها، يقول بروكلمان: "وفي الآشورية - البابلية تُركت أصوات الحلق الرخوة: العين والهاء والحاء وكذلك الصوت الطبقي الرخو المجهور (غ) نهائياً"^(١)، وقد نابت الهمزة في الأكديّة عن هذه الأصوات جميعاً^(٢)؛ أي: إنّ الجذر (ع ر ب) لا وجود له في الأكديّة، والدراسة معنيّة - فقط - بدراسة الجذر (ع ر ب) ودلالاته في اللغات الساميّة التي يوجد فيها هذا الجذر بوصفه مشتركاً لفظياً.

أما الجانب المقارن من منهج الدراسة، فقد تمثّل في مقارنة الدلالات المتولّدة من الجذر (ع ر ب) في اللغات الساميّة مجال الدراسة؛ لمعرفة الدلالات المشتركة في هذه اللغات والدلالات التي اختصّت بها كلّ لغة عن قسيماتها من اللغات الأخرى؛ بغرض تحديد الدلالات الأصليّة لهذا الجذر اللغويّ التي نتوقع أنّها كانت موجودة في اللغة الساميّة الأمّ، وكذلك تحديد الدلالات التي تولّدت منها عبر الزمن.

القسم الأوّل: التوليد الدلاليّ من الجذر (ع ر

ب) في اللغة العربيّة:

المبحث الأوّل: في تراث العربيّة الفصحى:

المطلب الأوّل: في التراث المعجميّ للعربيّة الفصحى:

تولّدت من الجذر (ع ر ب) في معاجم العربيّة الفصحى ستّ وثلاثون دلالة، هي (مرتبة وفق ترتيب حروف المعجم):

١- الاستصلاح: "وَقَوْسٌ مُعَرَّبَةٌ: مُسْتَصْلَحَةٌ"^(٣).

٢- الإبانة والإفصاح عن الشيء: يقول المرتضى الزبيديّ: "والإِعْرَابُ (بالكسر): الإِبَانَةُ والإِفْصَاحُ عَنِ الشَّيْءِ، ومنه الْحَدِيثُ (النَّبِيُّ تُعْرَبُ عَنْ نَفْسِهَا)^(٤)؛ أي: تفصح... والإِعْرَابُ الَّذِي هُوَ النَّحْوُ إِنَّمَا هُوَ الإِبَانَةُ عَنِ الْمَعْنَى وَالْأَلْفَافِ"^(٥).

٣- إجراء الفرس وإحضاره: جاء في تاج العروس: "الإِعْرَابُ: إِجْرَاءُ الْفَرَسِ وَإِحْضَارُهُ، يُقَالُ: أَعْرَبَ عَلَى فَرَسِهِ إِذَا أَجْرَاهُ"^(٦).

٤- الأحديّة؛ أي: معنى (أحد) في سياق النفي: قال الجيّاني: "وَعَرِيبٌ -أَيْضًا- بِمَعْنَى أَحَدٍ، لَا يَسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي النَّفْيِ"^(٧).

٥- أخذ اللحم من فوق الضلع: قال الجيّاني: "الْعَرَبُ: أَخَذَ مَا عَلَى الضِّلْعِ مِنَ اللَّحْمِ"^(٨).

٦- إعطاء العرَبُون (وفيه تسع لغات)^(٩): يقول المرتضى الزبيديّ: "والإِعْرَابُ: إِعْطَاءُ الْعَرَبُونَ، كَالْتَّعْرِيبِ، قَالَ الْفَرَّاءُ: أَعْرَبْتُ إِعْرَابًا، وَعَرَبْتُ تَعْرِيبًا، وَعَرَبَنْتُ إِذَا أُعْطِيتَ الْعُرْبَانُ"^(١٠). وهو ما يدفعه المشتري للبائع من ثمن السلعة قبل إتمام البيع، يقول الزبيديّ: "والْعُرْبَانُ (كُعْثَمَانِ)،

التوليد
الدلاليّ من
الجذر (ع ر
ب)
في اللغات
الساميّة،
دراسة
مقارنة

والْعَرَبُونَ (بِضْمِهِمَا)، وَالْعَرَبُونَ (مُحَرَّكَةً)...: هو الْقَلِيلُ مِنَ الثَّمَنِ أَوْ الْأَجْرَةِ يُقَدِّمُهُ الرَّجُلُ إِلَى الصَّانِعِ أَوْ التَّاجِرِ لِيَرْتَبِطَ الْعَقْدُ بَيْنَهُمَا حَتَّى يَتَوَافَا بَعْدَ ذَلِكَ" (١١).

٧-الإفساد المعنوي بين الناس: يقول صاحب: "وَعَرَّبْتُ بَيْنَهُمْ: أَفْسَدْتُ" (١٢).

٨-الأكل (مصدر): جاء في تاج العروس: "وَعَرَبَ (كَضَرَبَ): أَكَلَ. نقله الصَّاغَانِي" (١٣).

٩-الإنكار: "وَعَرَّبْتُهُ عَلَيْهِ: أَنْكَرْتُهُ" (١٤).

١٠- أن يكون سقي القوم مرة غيباً ومرة خمساً ثم يقوم على وجه واحد: يقول الجوهري: "وأعرب سقي القوم: إذا كان مرة غيباً ومرة خمساً ثم قام على وجه واحد" (١٥).

١١-بقاء أثر الجرح: ورد عند المرتضى الزبيدي: "العرب: بقاء أثر الجرح بعد البرء" (١٦).

١٢-التخمة: جاء في المعجم الوسيط: "ويقال عرب فلان: اتَّخَمَ" (١٧).

١٣-الجرب واشتداده: يقول صاحب: "وإبلٌ وغنمٌ عرابي. وبها عرب؛ أي: جرب" (١٨)، ويقول: "وعرب الجرب: اشتدَّ وأغيا الطلاء" (١٩).

١٤-الجماع وما يتصل به من الألفاظ الفاحشة: يقول صاحب تاج العروس: "الإعراب: الفحش، وأعرب الرجل: تكلم بالفحش... كالتعريب والعراية والعراية (بالفتح والكسر)، وهذه الثلاثة بمعنى ما قبَّح من الكلام... والاستعراب: الإفحاش في القول، فهو مثل الإعراب... والإعراب كالعراية: الجماع" (٢٠).

١٥-جنس من الناس خلاف (العجم): جاء في اللسان: "العرب والعرب جيئل من الناس

معروفٌ خلاف العجم، وهما واحدٌ، مثل: العجم والعجم" (٢١).

ومن الدلالات الفرعية التي تندرج تحت هذه الدلالة العامة:

١٥-١: سكان البادية وبخاصة من العرب: قال الجوهري: "والأعراب منهم: سكان البادية خاصة، وجاء في الشعر الفصيح الأعراب" (٢٢).

١٥-٢: العرب الخلص الأقحاح الذين ليسوا بدخلاء، وقبائل العرب البائدة: قال ابن منظور: "عرب عاربة وعرباء: صرحاء" (٢٣)، وجاء في المعجم الوسيط: "(العاربة): عرب عاربة صرحاء خلص وقبائل بادت ودرست آثارهم، كعاد وثمود وطسم وجديس وهم العرب البائدة" (٢٤).

١٥-٣: العرب غير الأقحاح (الدخلاء عليهم): يقول ابن منظور عن هؤلاء: "ومتعربة ومستعربة: دخلاء ليسوا بخلص" (٢٥).

١٥-٤: معنى المصدرية من (العرب): يقول ابن سيده: "وعربي بين العروبة والعروبية، وهما من المصادر التي لا أفعال لها" (٢٦).

١٦-حمل الخزم (ثمره): جاء في تاج العروس: "والعراب، كسحاب: حمل الخزم (بالحاء المعجمة الزاي محركة): اسم لشجر يقتل من لحائه الجبال، الواحدة عراية، تأكله القروء، وربما أكله الناس في المجاعة" (٢٧).

١٧-الخصاء: يقول صاحب: "وعربنا النيس: خصيناه" (٢٨).

١٨-الدعوة في الختان: جاء في المحيط: "والعروبة: الدعوة في الختان" (٢٩).

١٩- شَمْلَةُ الصَّرْعِ المستعملة للغنم: قال الزبيدي: "العَرَابَاتُ (مُخَفَّفَةٌ وَاجِدَتْهَا: عَرَابَةٌ): وهي شَمْلُ (بضمّتين) صُرُوعِ الغنم" (٣٠).

٢٠- طيب النفس: قال صاحب: "والعَرَبُ: طَيْبُ النَّفْسِ" (٣١).

٢١- العَرَقُ في الدنيا والانشغال بها: قال الأزهرى: "وَعَرِبَ الرجلُ: إذا عَرِقَ في الدنيا" (٣٢).

٢٢- الغريب من الحيوان: جاء في التهذيب: "والعَرِيبة: الغريبة من الإبل وغيرها" (٣٣).

٢٣- فساد المعدة: يقول الزبيدي: "العَرَبُ (بالثَّخْرِيك): فَسَادُ المَعِدَةِ" (٣٤).

٢٤- قَطَعَ سَعَفَ النخل: جاء في الصحاح: "والتَّعْرِيبُ: قطع سَعَفِ النخل، وهو التثذيب" (٣٥).

٢٥- كَيْ الدَّائَةِ على أشاعرها لتشتدّ، يقول صاحب: "والتَّعْرِيبُ للدَّائَةِ: أَنْ تُكْوَى على أشاعِرها في مواضعٍ لَتَشْتَدَّ" (٣٦)، وهذه الدلالة ترجع إلى دلالة (الإبانة)، يقول ابن سيده: "وعرب الفرس: بزغه، وذلك أن تنسف أسفل حافره، ومعناه أنه قد (بان) بذلك ما كان خفيًا من أمره؛ لظهوره إلى مرآة العين بعدما كان مستورًا وبذلك تعرف حاله، أصلب هو أم هو رخو وأصحيح هو أم سقيم" (٣٧).

٢٦- المتهلّل الوجه: قال صاحب: "ويُقال للمُتَهَلَّلِ الوجْهِ: عَرَابَةٌ" (٣٨).

٢٧- المرأة المتحبة إلى زوجها المطيعة له والعاصية الخائنة كذلك: يقول الزبيدي: "الإِغْرَابُ: التَّزَوُّجُ بالعَرُوبِ، كَصَبُورٍ: اسمٌ للمرأة المُتَحَبِّبَةِ إِلَى زَوْجِهَا المُطِيعَةِ له، وهي العَرُوبَةُ أيضًا،

والعَرُوبَةُ - أيضًا - كالعَرُوبِ: العاصية له الخائنة بقرجها، الفاسدة في نفسها... (ج عَرُبٌ) (بضمّ فسكون وبضمّتين)... فأما العَرُبُ، فجمع عَرُوبٍ، وهي: المرأة الحسناء المتحبة إلى زوجها، وقيل العَرُبُ: العَنَجَات، وقيل: الْمُعْتَلِمَات، وقيل: العَوَاشِق، وقيل: هُنَّ الشَّكِلَاتُ بُلُغَةُ أَهْلِ مَكَّةَ، وَالْمَغْنُوجَاتُ بُلُغَةُ أَهْلِ المَدِينَةِ" (٣٩). وعلى ذلك تكون هذه الكلمة من الأضداد، ويكون المعنى الثاني مشتقًا من (العَرَب) وهو الفساد، يقول ابن فارس: "والأصل الثالث قولهم: (عَرِبَتْ) معدته، إذا فسدت، تَعَرَبَ عَرَبًا. ويقال من ذلك: امرأة عَرُوبٌ؛ أي: فاسدة" (٤٠).

٢٨- الماء الكثير الصافي: يقول المرتضى الزبيدي: "العَرَبُ: الماءُ الكَثِيرُ الصَّافِي، وَيُكْسَر رَاؤُهُ، وهو الأَكْثَرُ" (٤١).

٢٩- المنع: جاء في المحيط: "وعرّبته عنه: مَنَعْتَهُ" (٤٢).

٣٠- من يتكلّم العربيّة من غير العرب: جاء في المعجم الوسيط: "العَرَبَانِيّ: من يتكلّم بالعربيّة وليس عربيًّا" (٤٣).

٣١- النشاط: يقول الزبيدي: "والعَرُبُ (بفتح فسكون):... النَّشَاطُ والأَرْنُ، وَعَرِبَ عَرَابَةً: نَشِطَ" (٤٤).

٣٢- النَّفْسُ: جاء في تاج العروس: "العَرَبَةُ أيضًا: النَّفْسُ" (٤٥).

٣٣- النكاح أو التعريض به: قال ابن سيده: "والعَرَابَةُ والإِغْرَابُ: النِّكَاحُ، وقيل: التعريض به" (٤٦).

٣٤- النهر الجاري بشدّة: يقول المرتضى

الزبيدي: "والعَرَبَةُ (مُحَرَّكَةً)... النَّهْرُ الشَّدِيدُ الْجَرِي" (٤٧).

٣- التعريب: وهو من المصطلحات المشهورة في (فقه اللغة)، يقول الجوهري في تعريف هذا المصطلح: "وتعريب الاسم الأعجمي: أن تتقوّ به العرب على منهاجها، تقول: عربته العرب وأعربته أيضًا" (٥٧)، وجاء في المعجم الوسيط "التعريب: صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية" (٥٨). وفي المصباح المنير: "والتعريب: حمل الاسم الأعجمي على نظائره من الأوزان العربية" (٥٩).

٤- العرب والعُربَات: مصطلحان مشهوران في علمي (الموسيقا والغناء)، وهما يمثلان مشتقين مختلفين من الجذر (ع ر ب)، ولكنهما مترادفان من حيث الدلالة، وفي سياق الحديث عن (النغمات والمقامات) في علم الموسيقى يذكر أحد المتخصصين (٦٠) أنّ عدد المقامات الموسيقية ثمانية وعشرون مقامًا، منها سبعة مقامات أصول واحد وعشرون مقامًا فرعياً، والعُربَات هي من المقامات الفرعية في علم الموسيقى، ونستنبط من كلامه تعريفاً للعُربة (مفرد العُربَات)، هو: "العُربة: منتصف المسافة التي يقطعها المغني بين كلِّ مقامين أصليين ويقف عندها في أثناء رفعه الصوت مبتدئاً بالمقام الأول ولا يجاوزها ليصل إلى المقام التالي" (٦١). فإنَّ قَطَعَ المغني ربع العُربة ووقف، سُميت نقطة الوقوف (نيم العُربة)، وإن وقف على ثلاثة أرباع العُربة، سُميت نقطة الوقوف (تيك العُربة) (٦٢).

فالعُربَات أو العُربُ - إذن - ضربٌ من التتميق أو الزينة التي يُدخلها المغني على اللحن الغنائي خارج المقامات الصوتية لاستعراض

٣٥- يبيس البُهمي (٤٨)، أو يبيس كُلُّ بَقْلٍ جاء في تاج العروس: "العُزْبُ (بالكسر) يبيسُ البُهمي) خاصّة، وقيل: يبيسُ كُلُّ بَقْلٍ، الواحدة عُزْبَةٌ" (٤٩).

٣٦- يوم الجمعة: يقول المرتضى الزبيدي: "وَعَرُوبَةٌ (بلا لامٍ وبِاللام)، كَلْتَاهُمَا: يَوْمُ الْجُمُعَةِ... يقال يَوْمُ عَرُوبَةٍ وَيَوْمُ الْعَرُوبَةِ، وَالْأَفْصَحُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْأَلِفُ وَاللَّامُ... وهو اسمُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ اتِّفَاقًا" (٥٠)، جاء في أقرب الموارد: "وهو تعريب أربا النبطية أو عَرُوبَنَا السُّرْيَانِيَّة" (٥١).

***المطلب الثاني: في اصطلاحات العلوم: رصدت الدراسة جملةً من اصطلاحات العلوم (٥٢) المشتقة من الجذر (ع ر ب)، هي:

١- الإعراب: من مصطلحات (علم النحو)، يقول العكبري (ت ٦١٦ هـ) في بيان دلالة هذا المصطلح النحوي: "الإعراب عند النحويين هو اختلاف آخر الكلمة لاختلاف العامل فيها لفظاً أو تقديرًا" (٥٣)، ويعرفه ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) بقوله: "الإعراب: أثّر ظاهر أو مُقدّر يجلبه العامل في آخر الكلمة" (٥٤).

٢- أعرابي: من اصطلاحات (علم النبات)، جاء عند دوزي: "أعرابي: أحد صنفَي (البشنيين)، وهو نباتٌ اسمه العلمي Nymphaealutis، والصنف الآخر يُسمّى الخنزيري" (٥٥). وجاء في تعريف (البشنيين): "نباتٌ مائيٌّ من الفصيلة النيلوفرية، ينبت عادةً في الأنهار والمناقع، وقد

إمكانياته الصوتية ومهاراته الغنائية، ومما يقارب هذا المعنى في المصطلحات الموسيقية الغربية المصطلح الإيطالي (fioritura/تنميق)، وهو "مصطلح يُطلق على ما كان يرتجله مغني الأوبرا من تنميق وزخرفة يضيفها على الألحان المؤلفة التي يُغنيها؛ لإظهار مهاراته الأدائية وإمكانياته الصوتية" (٦٣).

وقد يكون هذا التنميق في الأداء الموسيقي أيضاً، ويكون مقصوداً من قبل الملحن، ويُطلق عليه بالإنجليزية مصطلح (ornaments/زخارف نغمية)، وهي: "تنميق يُضاف إلى النغمات الأساسية للألحان، يُكتب على هيئة إشارات ورموز متعارف عليها، أو يُكتب على هيئة نوتات صغيرة لصيقة بالنوتات الأصلية" (٦٤).

ويشير أحد الباحثين إلى نوعي الزخرفة الغنائية والموسيقية (العربات) تحت مصطلح (ornaments/الزخارف)، فيقول: "تضاف الزخرفة إلى العمل الأساسي في الموسيقى من أجل التزيين والتجميل... ونجدها في أكثر أشكالها تلقائية لدى الفلاحين عند مختلف الشعوب عندما يؤدّون الأغاني التقليدية فيضيفون عليها نغماتٍ للزخرفة... ويقومون بإضافة هذه الزخرفة فطرياً وبطريقة ارتجالية، أما في الموسيقى المكتوبة، يقوم [هكذا، والصواب: فيقوم] المؤلف بوضع الإضافات الزخرفية بطريقة واعية ومقصودة" (٦٥).

٥- (عرب سات/ARABSAT): من مصطلحات (تكنولوجيا الفضاء)، وهو مصطلح يُطلق على منظمة الاتصالات الفضائية العربية بالرياض، وهي سلسلة من الأقمار الصناعية للاتصالات

والبث التي تمتلكها جامعة الدول العربية" (٦٦).

٦- العربون (arrhes): هذا المصطلح مشترك بين علمي: الاقتصاد والقانون، ورد في بعض المعاجم القانونية في تعريفه: "تقدمة يقدمها أحد المتعاقدين دلالة على تمام العقد، أو ثمنًا لخيار العدول" (٦٧).

٧- العربيين: من مصطلحات (علم الأحياء)، جاء في المعجم الوسيط: "(العربيين) (في مادة الأحياء): مادة تستخرج من الصمغ العربي" (٦٨).

٨- العربيان: من مصطلحات (علم القراءات القرآنية)، جاء في (معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية): "العربيان: هما أبو عمرو البصري وابن عامر الشامي، وهما العربيان الصريحان من القراء السبعة، وباقيهم ليسوا كذلك" (٦٩).

٩- العروبة: يشيع هذا المصطلح في (العلوم السياسية)، وهو مصطلح "يُطلق على القومية العربية أو على الرابطة التي تجمع بين الدول والشعوب العربية، وهي المصدر المُشع للفضائل والتقاليد والقيم العربية الأصيلة، والتي تجمعها اللغة العربية والإسلام والأصل الواحد والتاريخ المشترك والامتداد الجغرافي والمصير المشترك" (٧٠).

المطلب الثالث: الأعلام (٧١) المشتقة من هذا الجذر في تراث الفصحى:

الدلالة العامة لصيغ الأعلام التي سنذكرها هنا هي دلالة (العلمية)؛ أي: الدلالة على المسمى بها، والحقيقة أن هذه الأعلام كثيرة كثيرة مفترقة؛ لذلك حاولت الدراسة استقصاء الصيغ

التي جاءت عليها هذه الأعلام دون الحاجة إلى ذكر كل الأعلام التي تنتمي إلى الصيغة الواحدة مكتفية بذكر بعض الأعلام للتمثيل لا للحصر، وقد ابتدأت بأعلام الأمكنة ثم أعلام القبائل ثم أعلام الأشخاص ثم أعلام الحيوان ثم أعلام الأشياء الأخرى، وهذا الترتيب قائم على الابتداء بالأعرف فالأقل معرفة، جاء في حاشية الصبان على شرح الأشموني عن (العلم): "وأعرفه علم المكان ثم علم آدمي ثم علم غيره من الحيوانات" (٧٢).

١- أعلام الأمكنة:

من الصيغ التي وردت مشتقة من الجذر (ع ر ب) علمًا على المكان ما يأتي (مرتبة على حروف المعجم):

١- عَرَابَة: علم على بلدة بساحل الشام، جاء في (معجم البلدان): "عَرَابَة (بفتح أوله وتشديد ثانيه)، عَرَابَة طَبِي: من أعمال عكا بالساحل الشامي" (٧٣).

٢- العَرَابَة: موضع، قال ياقوت: "العَرَابَة: موضع، قال الهذلي (٧٤):

تَذَكَّرْتُ بَيْتًا بِالْعَرَابَةِ ثَاوِيًا

فَمَا كَادَ لَيْلِي بَعْدَمَا طَالَ يَنْفَذُ (٧٥)

وقد أورد ياقوت الكلمة في موضع آخر بالغين المعجمة، فقال: "الغَرَابَة (بالفتح بعد الألف باءً موحدة): وهو الشيء الغريب فيما أحسب موضع في قول الشاعر: تَذَكَّرْتُ مَيْتًا بِالْغَرَابَةِ ثَاوِيًا" (٧٦).

٣- العَرَابَة المدفونة: علم على أطلال مدينة دارسة بصعيد مصر، جاء في بعض المعاجم الجغرافية "العَرَابَة المدفونة: انظر أبيدوس" (٧٧)،

وجاء في ترجمة (أبيدوس) المُحال عليها في النص السابق: "أبيدوس: اسم يوناني لمدينة دارسة بصعيد مصر بجوار البَلْينا، وتُعرف أطلالها اليوم بالعَرَابَة المدفونة" (٧٨).

٤- عَرَب: ناحية قُرب المدينة. قال ياقوت: "عَرَب (بفتح أوله وكسر ثانيه وآخره باء موحدة)... وهي ناحية قُرب المدينة أقطعها عبد الملك بن مروان كثيرًا الشاعر" (٧٩)، وذكرها الزبيدي (بفتح الراء وباللام)، فقال: "العَرَب: نَاحِيَة بِالْمَدِينَة" (٨٠).

٥- عُرَب: جبل في نجد، قال المرتضى الزبيدي إن كلمة (قُبلى): "كُحْبَلَى: (ع) بين عُرَبٍ والرَّيَّان... وهو جبل نَجْدِيٍّ من ديارِ كِلَابٍ، والرَّيَّان: وادٍ بحِمَى ضَرِيَّة، من أرضِ كِلَابٍ" (٨١).

٦- عَرَبَة: علم على قرية في بقاع شتّى، قال ياقوت: "عَرَبَة: قرية في أول وادي نخلة من جهة مكة. عربة (بالتحريك): هي في الأصل اسم لبلاد العرب... وعَرَبَة أيضًا: موضع في أرض فلسطين بها أوقع أبو أمامة الباهلي بالروم لما بعثه يزيد بن أبي سفيان" (٨٢).

و(عَرَبَة) علم على بلاد اليمن، جاء عند (دوزي): "عَرَبَة: اسم بلاد اليمن، ففي الإدريسي... ومكة قطب ومقصّد لأهل جزيرة عَرَبَة وهي بلاد اليمن" (٨٣). ووردت كلمة (عربة) غير مضبوطة بالشكل في (الروض المعطار)، قال عنها المؤلف: "مدينة كبيرة في فرضة الهند تتاخم مدينة (كابل)، وهي كبيرة حصينة عليها سور تراپ وخذق، وهي كثيرة الأعمال أهلة، بها أسواق قائمة وجبايات" (٨٤).

٧-العربة: علّم على مدينة جزائريّة، جاء في (الموسوعة الجغرافيّة): "العربة: مدينة جزائريّة، تقع في منطقة تيجة بولاية الجزائر، تُشتهر بزراعة الكرّمة والتّبغ والحمضيّات، يبلغ عدد سكّانها ٤٠ ألف نسمة" (٨٥).

٨-عربان: علّم على بلد، قال عنها ياقوت: "عربان... (بفتح أوله وثانيه وآخره نون) وهي بليدة بالخاور من أرض الجزيرة يُنسب إليها من المتأخّرين سالم بن منصور بن عبد الحميد أبو الغنائم المقرئ الفقيه" (٨٦). والخاور على نهر دجلة بالعراق كما هو معروف.

٩-دَيْرُ باعربا: علّم على ديرٍ للنصارى في العراق، جاء في (الخَزَل والدَّال): "دَيْرُ باعربا (بالقصر وقد يُمدّ): ديرٌ كبيرٌ فيه رهبانٌ كثيرون، بين الموصل والحديثة، على شاطئ دجلة... وله حائطٌ مرتفعٌ نحو مائة ذراعٍ في السماء، وله مزارع وفلاحون يعملون بها، ويتبعه بيتٌ كبيرٌ للضيافة" (٨٧). وجاء في (مسالك الأبصار): "دير باعربا: وهو بين الموصل والحديثة، على شاطئ دجلة، من الجانب الغربيّ بإزاء جزائر كثيرة الشجر، فلما خلت من سُبُع، وهو جليل عند النصارى، وفيه قبور يعظمونها وبناء عجيب. وارتفاع حائط هيكله نحو المائة ذراع، وما حوله بناء يسنده، وله مزارع، وفيه بيت ضيافة ينزله من يجتاز عليه" (٨٨).

١٠-عربّات: علّم على بلاد العرب، وعلى طريق، قال ياقوت: "عربّات (بالتحريك): جمعُ عربّة، وهي بلاد العرب...وعربّات: طريقٌ في جبلٍ بطريق مصر" (٨٩).

١١-عربايا: موضعٌ. قال عنه ياقوت: "عربايا

(بفتح أوله وثانيه ثم باء موحّدة وبعد الألف ياء مثناة من تحت): موضعٌ" (٩٠)، وذكرها ياقوت أيضًا في كتابه (الخَزَل والدَّال) بسكون الراء، فقال: "دور عربايا: مدينةٌ معروفةٌ بين سامرا وتكريت، قريبةٌ من دور تكريت، من نواحي بغداد" (٩١).

١٢-عَرَبْسُوس: بلدٌ، قال ياقوت: "عَرَبْسُوس (بفتح أوله وسكون ثانيه ثم باءٌ موحّدة وتكرير السين المهملة): بلدٌ من نواحي الثغور قُرب المصيصة، غزاه سيف الدولة بن حمدان" (٩٢)، ويقول البكري: "عَرَبْسُوس (بفتح أوله وإسكان ثانيه، بعدها باءٌ معجمةٌ بواحدةٍ مفتوحةٍ، وسينٌ مهملةٌ بعدها واو، ثم سينٌ أخرى): من ثغور الشّام الجزريّة، تلقاء الحَدَث" (٩٣).

١٣-عَرُوباء وعَرَبِيّاء: اسم السماء السابعة، قال المرتضى الزبيدي: "وعَرُوباء...: اسمُ السّماء السابعة...والذي في الأغلام للسّهليّ أنّه عَرَبِيّاء كما أنّ (جَرَبِيّاء) اسمٌ للأرض السّابعة" (٩٤).

١٤-عَرِيْب: حيٌّ باليمن، جاء عند الجيّاني ما نصّه: "وعَرِيْب: حيٌّ من اليمن" (٩٥).

١٥-معرب: من ديارات عدوان في تهامة اليمن، جاء عند الهمداني: "تهامة اليمن...أرض عدوان: من السراة يُصاع والسوار وبطن قوت والنجار وبقران...والبيداء ومُرهب وصعر ومعرب" (٩٦).

٢-أعلام القبائل:

رصدت الدراسة من أعلام القبائل العربيّة المشتقة من هذا الجذر، ما يأتي:

١-عُراب: "في قيس: عُراب (بعينٍ مهملة)

ابن ظالم بن فزارة بن ذبيان بن بغيض. وفي طيء (بعين مهملة)، وقيل: (بغين معجمة): ابن جذيمة بن ود بن معن بن عتود بن غنين^(٩٧).

٢-عرب: هي "فرقة تعرف بأبي عرب، من عشيرة البقارة المقيمة بدير الزور إحدى محافظات الجمهورية السورية"^(٩٨).

٣-العرب: "بطن من كفيفان، من الغرير، من شمر طوقة، يتفرع إلى الفروع الآتية: العوض، البو مطر، بيت سيف، والبو خليف"^(٩٩). وهي من قبائل العراق، كما في إحالة المؤلف إلى كتاب (عشائر العراق)^(١٠٠).

٤-عربان: "بطن من الخرسة، من الفدعان، عنزة"^(١٠١)، وجاء في (موسوعات القبائل): "العربان (ضنا عربان): فخذ من الخرصة من ضنا ماجد، من الفدعان، وكبيرهم ابن عربان"^(١٠٢).

٥-العربيّات: "من عشائر الصلت، يُقال: أصلها من قبيلة شمر النازلة في شمالي نجد، استوطن جدها الصلت منذ ٢٦٤هـ سنة"^(١٠٣). وهي من قبائل الأردن، كما في إحالة المؤلف -في الصفحة ذاتها -إلى كتاب (تاريخ شرقي الأردن).

٦-بنو عريب: جاء في (نهاية الأرب): "بنو عريب: بطن من حمير، من القحطانية... (بنو عريب) أيضًا: بطن من قضاة، من القحطانية... (بنو عريب) أيضًا: بطن من كهلان، من القحطانية"^(١٠٤)، وفي (القصد والأمم): "وفي حمير بطون وأفخاذ كثيرة، منهم... ومنهم بنو عريب"^(١٠٥).

٧-يعرب بن عبد مناف: "بطن من هلال بن عامر بن قيس بن عيلان. وهم بنو يعمر بن عبد مناف... من العدنانية"^(١٠٦).

٣-أعلام الأشخاص:

مما ورد من أعلام الأشخاص المشتقة من هذا الجذر في التراث العربي، ما يأتي: (مرتبة على حروف المعجم):

١-عَرَابَة الأوسيّ: قال عنه الزركلي: "عَرَابَة الأوسيّ (٠٠٠ - نحو ٦٠ هـ = ٠٠٠ - نحو ٦٨٠ م): عَرَابَة بن أوس بن قَيْطِيّ الأوسيّ الحارثي الأنصاري: من سادات المدينة الأجواد المشهورين. أدرك حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم صغيرًا. وفد الشام في أيام معاوية، وله أخبار معه. وتوفي بالمدينة"^(١٠٧).

٢-عَرَابِيّ: قال عنه ابن ماكولا: "وأما عَرَابِيّ فتح العين [هكذا، والصواب: بفتح العين]، فهو محمد بن الحسين بن المبارك، لقبه عَرَابِيّ، يروي عن يونس المؤدب وعمرو بن حماد بن طلحة وأبي غسان وغيرهم"^(١٠٨).

٣-عُرَابِيّ بن معاوية: قال عنه الذهبي: "عُرَابِيّ بن معاوية الحضرمي يُكنى: أبا زمعة. روى عن أبي قبيل المعافري، وعبد الله بن هبيرة. وعنه جماعة من أهل مصر. مات في ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائة"^(١٠٩)، وجاء في (توضيح المشتبه): "وعُرَابِيّ (بالضم والتخفيف) أيضًا: عُرَابِيّ بن معاوية الحضرمي، كنيته أبو زمعة، سمع عمه سليمان بن زياد الحضرمي البصري، روى عنه يحيى بن بكير وغيره"^(١١٠).

٤-الحكيم عَرَب: جاء في ترجمته: "الحكيم عرب الطبيب المشهور، حصل علم الطب في بلاد العرب ثم ارتحل إلى بلاد الروم...وكان حاذقاً في الطب كريم النفس جواداً مراعيًا للفقراء والمساكين"^(١١١).

٥-عَرَب زَادَه: قال عنه الزركلي: "عرب زاده (٩١٩-٩٦٩ هـ = ١٥١٣-١٥٦٢ م) محمد بن محمد، الشهير بعرب زاده: فقيه حنفي رومي، له نظم وتأليف بالعربية...عُيِّن قاضيًا في القاهرة، وركب البحر، فلما اجتاز (رودس)، غرق بعض ركاب السفينة، وكان منهم له حواشٍ على عدة كتب، منها: (حاشية على الهداية -خ) في الفقه، بمكتبة عاشر، و(حاشية على أنوار التنزيل -خ) ببغداد ٣٥٣ ورقة"^(١١٢).

٦-عربا ابنة عزازيل: ورد ذكرها عند ابن الأثير في ترجمة (إدريس) عليه السلام، يقول ابن الأثير عن (متوشلخ) ولد إدريس عليه السلام: "ثم نكح متوشلخ عربا ابنة عزازيل بن أنوشيل بن خنوخ..."^(١١٣).

٧-عَرَب فقيه (ت بعد ٩٤٠ هـ): جاء في ترجمته: "أحمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان الجيزاني، شهاب الدين: مؤرخ، له: تحفة الزمان، يُسمّى (فتوح الحبشة)...وله نظم ضعيفُ أورد في كتابه أبياتاً منه، لُقّب بعَرَب فقيه"^(١١٤).

٨-عَرِيب: علمٌ على أشخاص كثيرين، جاء في كتاب (القصد والأَمَم): "أول من تكلم بالعربية عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، وكان اسمه عربياً، وكانت العرب تقول في أمثالها: من يُطع عربياً يُمس غريباً؛ لأنه أخرجهم من بابل حين تكلموا بالعربية"^(١١٥)، ومنهم: عَرِيبُ بن حُمَيْد،

قال عنه الخزرجي: "عَرِيبُ بن حميد الهمداني الدُهْنِي (بضم الدال) أبو عمار الكوفي...مات سنة ست وعشرين ومائتين...له صحبة"^(١١٦)، وعَرِيبُ بْنُ سَعْد، قال عنه شمس الدين القيسي: "عَرِيبُ بن سعد روى عنه عمرو بن أبي شمر الكاتب ومرثد بن عبد الله اليزني قاله ابن يونس في تاريخه"^(١١٧)، وعَرِيبُ بْنُ كُلَيْبِ الحَصْرَمِيِّ، قال عنه الدار قطني (ت ٣٨٥ هـ): "عَرِيبُ بن كليب، تابعي يروي عن أبي أيوب"^(١١٨).

وترجم الزركلي لكثير اسمهم عَرِيب، فقال: "١-عَرِيبُ بن جشم بن حاشد، من بني همدان، من قحطان: جدُّ جاهليّ يمانيّ، بنوه عدة بطون، منها حجور بن أسلم بن عريب، قال الهمداني: بطن عظيم باليمن والشام والعراق يقارب نصف حاشد، ٢-عَرِيبُ بن حيدن (أو حدان) بن عمرو، من قضاة، من القحطانية: جدُّ جاهليّ. أغفل أصحاب الأنساب ذكر عقبه. ٣-عَرِيبُ بن زهير بن أبين (أو أيمن) بن الهميسع، من حمير، من القحطانية: جدُّ جاهليّ، من نسله صنهاجة وجنادة وزناتة، القبائل المعروفة في المغرب. ٤-عَرِيبُ بن زيد بن كهلان، من القحطانية: جدُّ جاهليّ. من نسله لخم وجذام وكندة وعاملة وطيء والأشعريون ومذحج ومُرّة"^(١١٩).

٩-عَرِيبُ المأمونية: ترجم لها الزركلي، فقال: "عَرِيبُ المأمونية (١٨١- ٢٧٧ هـ = ٧٩٧-٨٩٠ م) عَرِيبُ المأمونية: شاعرة، مغنية، أديبة، من أعلام العارفات بصنعة الغناء والضرب على العود. قيل: هي بنت جعفر بن يحيى البرمكي. وُلِدَتْ ببغداد ونشأت في قصور الخلفاء من بني العباس"^(١٢٠).

١٠-يَعْرُبُ بن قحطان: قال عنه الزركلي: "يَعْرُبُ بن قحطان (...=...-...) يَعْرُبُ بن قحطان بن عابر: أحد ملوك العرب في جاهليتهم الأولى، يوصف بأنه من خطبائهم وحكمائهم وشجعانهم، وهو أبو قبائل اليمن كلها" (١٢١).

٤-أَعْلَامُ الحيوان:

لم تقف الدراسة إلّا على أربعة أعلام من أعلام الحيوان المشتقة من هذا الجذر، وهي (وفق ترتيب حروف المعجم):

١-الأُعْرَابِيّ (عَلِمَ على فرس): قال المرتضى الزبيدي: " والأُعْرَابِيّ: فرسُ عَبَادِ بْنِ زِيَادِ ابْنِ أَبِيهِ، وَكَانَ مُقْتَضِبًا لَا يُعْرَفُ لَهُ أَبٌ، وَكَانَ مِنْ خِيُولِ أَهْلِ الْعَالِيَةِ، نَقَلَهُ الصَّاعَنَانِي " (١٢٢).

٢-العِرْبُ (عَلِمَ على ضرب من الإبل): جاء في معجم الحيوان "العِرْبُ(بكسر العين وإسكان الراء): الإبل الكريمة النّجبية؛ نسبةً إلى الأعراب وتنويعها بكونها ليست من إبل أهل الحضر الذين يُذَلّلونها بالركوب وحمل الأثقال فتكون ثقيلةً في الجري" (١٢٣).

٣-العربيّ: وهو عَلِمَ على نوع من أنواع السمك معروف في اليمن.

٤-عَرِيبُ (عَلِمَ على فرسٍ أيضًا): جاء في تاج العروس: "وعَرِيبٌ (كعَرِيبٍ): اسم (رَجُلٍ وَفَرَسٍ)...وأما الفَرَسُ فهي لثَغْلَبَةِ بْنِ أُمِّ حَزْنَةَ الْعَبْدِيِّ، كما نَقَلَهُ الصَّاعَنَانِي " (١٢٤).

٥-أَعْلَامُ الأشياء:

من أعلام الأشياء التي وقفت عليها الدراسة مشتقةً من هذا الجذر ما يأتي (مرتبةً على حروف المعجم):

١-العَرَبِيَّةُ (عَلِمَ على لغة العرب لغة القرآن الكريم): قال الجوهري: "والعربية: هي هذه اللغة" (١٢٥).

٢-العَرَبَاتُ (عَلِمَ على سُفْنٍ مخصوصة): قال الزبيدي: "العَرَبَاتُ: سُفْنٌ رَوَاكِذُ كَانَتْ فِي دِجْلَةِ النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ، وَاحِدَتُهَا عَرَبَةٌ" (١٢٦). ويقول القزويني: "وأهل الموصل انتفعوا بدجلة انتفاعًا كثيرًا، مثل: شقّ القناة منها، ونصب النواير على الماء يديرها الماء بنفسه، ونصب العَرَبَاتِ، وهي الطواحين التي يديرها الماء في وسط دجلة في سفينة، وتنقل من موضع إلى موضع" (١٢٧).

والعربات جمع (عَرَبَة) وهي عَلِمَ على مركبة من مراكب البرّ، جاء في بعض المعاجم: "عَرَبَة: عَرَبَانَةٌ، مركبةٌ من مراكب البرّ، وتُجمع على عَرَبَاتٍ وَعَرَبٍ" (١٢٨).

٣-عَرَبَانَةٌ: عَلِمَ على مركبة من مراكب البرّ، وعلى صندوقٍ لحمل الطعام: جاء عند (دوزي): "عَرَبَانَةٌ: عَرَبَةٌ، عجلة، مركبة من مراكب البرّ، عجلة ذات دولابين...عَرَبَانَةٌ: صندوق ذو دوليب لحمل الطّعام والقوت والعتاد" (١٢٩).

٤-العَرَبِيّ (عَلِمَ على نوع من الشعير): يقول ابن سيده: "والعربيّ: شعيرٌ أبيضٌ وسنبلُهُ حرفان عريضٌ وحُبُّه كَبَارٌ أكبر من شعير العراق، وهو أجود الشعير" (١٣٠).

٥-العَرَبَرِبُ (عَلِمَ على شجرة)، قال الزبيدي: "والعَرَبَرِبُ: السَّمَّاقُ قد ذكره غَيْرُ وَاحِدٍ هنا" (١٣١)، والسَّمَّاق: "شجر من الفصيلة البطمية تستعمل أوراقه دباغًا وبذوره تابلًا وينبت في المرتفعات والجبال" (١٣٢).

المطلب الرابع: دلالات الجذر (ع ر ب) في القرآن الكريم:

استعمل القرآن الكريم الجذر (ع ر ب) بثلاث دلالات، وهي (مرتبة على حروف المعجم):

١- سُكَّانُ البادية من العرب خاصة دون سُكَّانِ القرى والمدن: وقد وردت هذه الدلالة في عشرة مواضع من القرآن الكريم^(١٣٣)، منها قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٠] قال ابن عاشور (ت ١٩٧٣م): "وصيغة (الأعراب) من صيغ الجموع ولكنه لم يكن جمعاً؛ لأنه لا واحد له من لفظ جمعه؛ فلذلك جعل اسم جمع، وهم سُكَّانُ البادية"^(١٣٤).

٢- المنسوب إلى لغة العرب: وردت هذه الدلالة في القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً^(١٣٥)، منها قوله تعالى: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]. والذي ينبغي التنبيه عليه هنا أنَّ هذه الدلالة وردت في القرآن في وصف القرآن الكريم وبخاصة في المواضع لأحدى عشر المشار إليها، فهو عربيٌّ من جهة أنَّه نزل بلغة العرب، خلافاً (للمنسوب إلى العرب) من الأشخاص والأشياء.

٣- النساء العواشق لأزواجهنَّ المتحبيبات إليهم: وقد وردت هذه الدلالة في موضع واحد من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿عَرَبًا آتَرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٧]. قال القرطبي (ت ٦٧١هـ): "عَرَبًا: جمع عَرَوْب. قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: العَرَبُ العواشق لأزواجهن... وعن عكرمة أيضاً وقتادة: العرب المتحبيبات إلى أزواجهن، واشتقاقه

من أعرب إذا بَيَّن، فالعروب تبين محبتها لزوجها بِشَكْلٍ وغنج وحسن كلام. وقيل: إنها الحسنة التَّبَعْلُ لتكون أَلَذَّ استمتاعاً"^(١٣٦).

المطلب الخامس: دلالات الجذر (ع ر ب) في الحديث النبوي الشريف:

ورد الجذر (ع ر ب) في الحديث النبوي الصحيح بالدلالات الآتية (مرتبة على حروف المعجم):

١-إشباه العرب في الشمائل والصفات: وشاهدها الحديث الذي رواه البخاري (ت ٢٥٦هـ) من قول أبي بكر في قريش: "هم أوسط العرب داراً وأعربهم أحساباً"^(١٣٧). قال السندي (ت ١١٣٨هـ): "وأعربهم أحساباً؛ أي: أشبههم شمائل وأفعالاً بالعرب. والحسب مأخوذ من الحساب، يعني: إذا حسبوا مناقبهم، فمن كان يُعَدُّ لنفسه ولأبيه مناقب أكثر كان أحسب"^(١٣٨).

٢-الإفصاح والإبانة: كما في قول النبي صلي الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "كُلُّ مولودٍ يُولد على الفطرة حتى يُعَرَّبَ عنه لسانه، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"^(١٣٩)، ومنها حديث: "تُحْشَرُونَ هَاهُنَا خُفَاءً غُرَاءً مُشَاءَةً وَرُكْبَانًا وَعَلَى وَجُوهِكُمْ، تُعْرَضُونَ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى أَفْوَاهِكُمُ الْفِدَامِ، وَإِنْ أَوَّلَ مَا يُعَرَّبُ عَنْ أَحَدِكُمْ فَخْذُهُ"^(١٤٠)، ومنها الحديث: "(النَّبِيُّ تُعَرَّبُ عَنْ نَفْسِهَا وَالْبِكْرُ رِضَاهَا صَمْتُهَا)... قال الشيخ الألباني: صحيح"^(١٤١).

٣-أهل البادية من العرب: وشاهدها حديث مسلم (ت ٢٦١هـ) الذي يرويه موقوفاً عن عُمر حين شكَا أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص أنَّه لا يحسن الصلاة بهم، فقال له سعد: "تُعَلِّمَنِي

الأعرابُ بالصلاة" (١٤٢).

٤- طيب النَّفْس واشتهاء اللعب والحرص عليه: كما في حديث عائشة الصديقة: "فاقدروا قدر الجارية العربية حديثه السن" (١٤٣). جاء في كشف المشكل: "العربية: الطيبة النفس الحريصة على الله" (١٤٤).

٥- العودة إلى البادية والإقامة فيها بعد الهجرة: ومنه حديث "أَنَّ شَهَابَ بْنَ مُذَلِّجٍ نَزَلَ الْبَادِيَةَ فَسَابَّ ابْنَهُ رَجُلًا فَقَالَ يَا ابْنَ الَّذِي تَعَرَّبَ بِهَذِهِ الْهَجْرَةِ..." (١٤٥)، جاء في تاج العروس: "وتعرَّب بعد هجرته أي صارَ أَعْرَابِيًّا... وهو أن يَعود إلى البادية ويُقيم مع الأعراب بعد أن كَانَ مُهَاجِرًا. وَكَانَ مَنْ رَجَعَ بعد الْهَجْرَةِ إلى مَوْضِعِهِ من غَيْرِ غُدرٍ يَعُدُّونه كَالْمُرْتَدِّ" (١٤٦). جاء في السلسلة الصحيحة: "اجتنبوا الكبائر السبع فسكت الناس فلم يتكلم أحد فقال: ألا تسألوني عنهن؟ الشرك بالله وقتل النفس والفرار من الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وقذف المحصنة والتعرب بعد الهجرة" (١٤٧).

٦- فساد البطن والمعدة: جاء في الحديث: "أن رجلاً أتى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال: إن أخي عَرَبَ بطنه؟ فقال: اسقِه عسلاً...". أخرجه البخاري ومسلم" (١٤٨). قال النووي (ت ٦٧٦ هـ) في شرح هذا الحديث: "(إن أخي عَرَبَ بطنه) هو (بفتح العين وكسر الراء)، معناه: فسدت" (١٤٩).

٧- المنسوب إلى بلاد العرب: ومنها حديث: "في عرق النساء يأخذ إلية كبش عربي ليست بأعظمها ولا أصغرها فينقطعها صغاراً ثم يذبيها فيجيد إذابتها ويجعلها ثلاثة أجزاء فيشرب كل يوم جزءاً على ريق النفس" (١٥٠).

المبحث الثاني: دلالات الجذر (ع ر ب) في تراث العربية الجنوبية (اليمانية القديمة):

المطلب الأول: الدلالات المعجمية للجذر (ع ر ب) في نقوش العربية الجنوبية:

تولدت من الجذر (ع ر ب) في العربية الجنوبية (نقوش المسند) دلالات متنوعة رصدتها الدراسة على النحو الآتي: (مرتبة على حروف المعجم):

١- الاستيراد (جلب البضاعة): (s'rb/ س ر ب): "س ع ر ب (فعل): استورد، جلب بضاعة" (١٥١). وصيغة الفعل هذه معينة، والسين في بدايتها زائدة للتعدية، كالهاء في بداية الصيغة السبئية، يقول (بيستون): "المقابل لوزن (hfl) في السبئية هو وزن (sfl) في المعينية، ما خلا أمثلة قليلة ترد فيها الصيغة السبئية (hqny)" (١٥٢).

٢- الأحجار المربعة: (m'rb/ معرب): "Squared stones" (١٥٣).

٣- الأعراب، المرتزقة، البدو: ورد هذا المعنى بصيغ كثيرة رصدت (بيللا) منها: (rb/عرب)، (rbn/عربن)، (rb/أعرب)، وكلها بمعنى: (١٥٤) nomads, beduis: بدو، كما وردت صيغة (rb/أعرب) في (المعجم السبئي) بمعنى: أعراب، أعراب مرتزقة أو متطوعة (١٥٥)، ووردت صيغة التعريف (rbn/أعربن): الأعراب (١٥٦). ويندرج ضمن هذه الدلالة المنسوب إلى الأعراب، (rbn/أعربن): بمعنى: الأعرابية، وصفاً لقبيلة الأبناء (١٥٧).

٤- البناء بحجارة مسواة منحوتة: (rb/عرب): بنى بحجارة مسواة منحوتة (١٥٨).

٥- البناء المربع: (m'rb/معرب): "Squared masonry" (١٥٩).

٦- الجانب والناحية: ورد هذا المعنى بصيغة الاسم (rb/عرب)، جاء عند بافقيه وزملائه: "ع ر ب: اللفظ هنا مقلوب من ع ب ر: جانب، ناحية" (١٦٠)، فالدلالة في الأصل هي للجزر (ع ب ر)، لكنّ الجزر (ع ر ب) أصبح يحمل هذه الدلالة أيضًا بفعل ظاهرة القلب المكاني التي تصوّرُها بافقيه وزملاؤه، وهي ظاهرة شائعة في العربيّة الفصحى كما في (يئس؛ أيس).

٧- الجِماع: ذكر مطهر الإيراني أنّ هذه الدلالة الجنسيّة للجزر (ع ر ب) ومشتقاته في تراث العربيّة الجنوبيّة قد جاءت "على لسان الهمداني، وعند البحر النعماني في قصيدة المشهور [هكذا: والصواب: الشهور] الحميريّة" (١٦١).

٨- الحجر المسوّى المنحوت: (m'rbt/معربت): حجر مسوّى منحوت (١٦٢). وأورد الأغبريّ صيغتي: (m'rbtm/معربتم، m'rbtbn/معربتن) بمعنى: حجر مهندم متداخل (ذكر وأنثى) (٧٧/٥٤٠C (١٦٣)، كما أورد صيغة الجمع (m'rb/معارب): أحجار مهندمة متداخلة (ذكر وأنثى) (٧/٢٦٨٧R (١٦٤).

وقد أشار الأغبريّ إلى أنّ صيغة الجمع (معارب) أوردتها الهمدانيّ (ت٣٣٦هـ) في (الإكليل)، وهي عنده "جمعُ معرب، على الرغم من تصحيف النسخ لها إلى معارب ومعرب أينما وردت" (١٦٥)، وقد عدت إلى نصّ الهمدانيّ في الإكليل فوجدتها بالزاي كما ذكر الأغبريّ، ولعلّ ممّا يؤكّد ما ذهب إليه الأغبريّ من أنّ كتابتها بالزاي هو من تصحيف النسخ، ما

ذكره محرّر (الإكليل) في الهامش من أنّ الكلمة هي بالراء في نسخة (برنستن/ب) من نسخ الإكليل (١٦٦).

ويُفهمُ الأغبريّ من كلام الهمدانيّ عن هذه المعارب أنّها: "أحجارٌ ضخمةٌ منتظمةٌ يُبنى بها جدران القصور والأسوار والسدود، ويتراوح طولها ما بين سبعة أذرعٍ كما في قصر ذي لعوة في ناعط وخمسة عشر ذراعًا في قصر خمر" (١٦٧).

والدلالة ذات القيمة فيما أورده الأغبريّ هي دلالة التداخل بين هذا النوع من أحجار البناء بحيث يمثّل أحد الحجرين عنصرًا ذكريًا والآخر عنصرًا أنثويًا، ويحدث هذا التداخل بأن يُصنع بروزٌ أو نتوءٌ في الحجر الذكر وفجوةٌ أو ثقبٌ في الحجر الأنثى ثمّ يدخل البروز في الفجوة، يقول الأغبريّ عن هذه العمليّة إنّ بعض الأحجار: "لها بروزٌ في الطرف، وهذا طبيعيٌّ؛ لأنّ طريقة البناء بهذه الأحجار تكون بشكل متعاشق (ذكر وأنثى)، بحيث يدخل ذلك البروز في حفرة بنفس حجمه في الحجر المجاور له، كما في سور مدينة براقش" (١٦٨). ويُسمّى الهمداني البروزات التي توجد في هذه المعارب بـ(الكعاب)، ويُعلّل لتسمية قصر (ذي لعوة) بالمكعب بقوله: "وذلك لكعاب خارجة في معارب [معارب] حجارته على هيئة الدّرق الصغار" (١٦٩).

وعملية الإدخال هذه تمثّل تقنيّة رائدة من تقنيّات البناء لدى اليمنيّ القديم؛ إذ تمنح هذه العمليّة البناء قوّة وتماسكًا فضلًا عن القيمة الجماليّة الإضافيّة.

٩- الدخول: (y'rbn/يعرين): يدخل (١٧٠)، وإذا

كان الأغرَبِيّ أغفل الفعل (يعربن/y'rbn)؛ لأنّه ورد في سياقٍ دينيّ، ومجال دراسته هو (الألفاظ المعماريّة) فقط^(١٧١)، فما ينبغي لنا أن نغفله؛ لأهمّيته لدراستنا هذه؛ من حيث كونه يمثّل مشتركاً سامياً على مستوى الجذر والدلالة كما سيُتّضح لنا لاحقاً. كما وردت هذه الدلالة بصيغة اسم المكان عند (بيللا): (m'rbby/معربي/مدخل) (m'rbby mšr'y...mḥw (the 2 entrances of " (the double doors of the incircling wall)^(١٧٢).

١٠ - الرهن والموثق وإعطاؤهما (التراهن)، الكفالة: (تعرّب/t'rb): أعطى رهناً، أعطى موثيق^(١٧٣)، (تعرّب/t'rb): رهنٌ، موثقٌ، تعهّدٌ (بحسن تصرّفٍ)^(١٧٤)، (عَرَبَ/araba'): تكفّل^(١٧٥)، (تعرّب/t'rb) "على وزن تفاعل: تكفّل، تراهن بعضهم لبعضٍ"^(١٧٦)، (عرب/rb'): "give a pledge"^(١٧٧).

١١ - الغرب أو المغرب (اسم الجهة المعروفة المقابلة لجهة الشرق): (m'rbyt/معربيت، m'rbw/معرب): غرب، مغرب^(١٧٨)، (m'rbw tnn nsr mšrqn) غربيّ^(١٧٩)، (wnsr m'rbn): "the boundary stones toward the east and toward the west"^(١٨٠)، (m'rb) مغارب/معارب، وهي بمعنى: مغارب^(١٨١).

وصيغة الجمع هذه وردت في المسند رقم (١٢) من مجموعة الإريانيّ مضافةً إلى كلمة (حاشد)، وقد قال عنها الإريانيّ: "مغارب حاشد: هي المناطق الحاشديّة المشرفة على تهامة اليمن، ولا يزال يُعبّر عنها بكلمة (المغارب)"^(١٨٢)، وقبل (الإريانيّ) كانت (بيللا) قد أشارت إلى

هذا الجمع: (bm'rb H/بمعرب ح): "on the west of H"^(١٨٣).

١٢ - غروب الشمس: (عَرَبَ/araba'): ذكرت (بيللا) هذه الصيغة تحت الدلالة العامّة (sunset/غروب الشمس)، ثم أوردت في شرح معناها: "go down , set"^(١٨٤).

١٣ - الغلبة والقهر من قبل المنتصر والخضوع والرضوخ من قبل المهزوم: (wt'rbn/وتعربن): وخضعوا^(١٨٥). يقول مطهرّ الإريانيّ: "نجد لهذه المادة ذكرًا في نقوش المسند اليمنيّ القديم، ولها عدّة دلالاتٍ، ومنها...دلالة: الغلبة والقهر التي يحققها المنتصر، ودلالة الخضوع والرضوخ عند المنهزم بصيغة: تعرّب له"^(١٨٦).

١٤ - القُربان والتقدمة: (h'rb/هعرب، rb'/عرب): قدّم، قرّب^(١٨٧)، (m'rby/معربت، rb'/عرب): قُربان، تقدمة، قربانٌ عن خطيئة^(١٨٨)، (rbu'/عربو، y'rb/يعرب، y'rbn/يعربن، rbn): "offer a sacrifice (as a pledge' (of future conduct)^(١٨٩).

١٥ - مبنى، بُرج: (rbm'/عربم)، جاء عند بافقيه وزملائه: "ع ر ب م: مبنى، برج"^(١٩٠).

١٦ - المغلّقة، قفل الباب: (m'rbby/معربي): مغلّقة، قفل الباب^(١٩١).

١٧ - من أجل: (b-'rb/بعرب) مكوّنة من الاسم (rb') + حرف الجر (b): من أجل^(١٩٢).

المطلب الثاني: أسماء الأعلام المشتقة من الجذر (ع ر ب) في نقوش العربيّة الجنوبيّة:

لم تقف الدراسة من أسماء الأعلام المشتقة من الجذر (ع ر ب) سوى على علمٍ واحدٍ من

أعلام الأشخاص هو (rbm' عربم)، فقد ورد في السطر الأول من النقش رقم (٤٢) من (مختارات) بافقيه وزملائه ما نصّه بالحروف اللاتينية: "rbm' | w'h yhw | 'šw' | yšbh" (١٩٣)، وقراءته بالعربية:

ي ص ب ح | أش و ع | وأ خ ي ه و | ع ر ب م. فالنصّ يتحدّث عن (أشوع) وأخيه (عربم).

المبحث الثالث: دلالات الجذر (ع ر ب) في اليمنية الحديثة:

المطلب الأول: في المحكيّة اليمنية:

ورد الجذر (ع ر ب) في اللهجة المحكيّة اليمنية بثلاث دلالات، هي: (مرتبة على حروف المعجم):

١- الجزء الذي يدفعه المشتري للبائع من ثمن السلعة ضماناً لإتمام البيع: والمصطلح المستعمل في المحكيّة لإنجاز هذه الدلالة هو مصطلح: العُرْبُون (بضمّ العين)، وهو لغة في (العربون)، يقول ابن سيده: "(العُرْبُون) وزان عصفور لغة فيه" (١٩٤).

٢- الجِماع: تكاد تكون هذه الدلالة هي الدلالة المهيمنة للجذر (ع ر ب) في المحكيّات اليمنية، مع وجود جذور أخرى تحيل على هذه الدلالة ذاتها، غير أنّ دلالة الجذر (ع ر ب) هي الطاغية المهيمنة كما ذكرنا، ويُعبّر عن هذه الدلالة بصيغ مختلفة (١٩٥).

٣- الغلبة والتفوق في الحرب ونحوها: وهذه الدلالة مشابهة للدلالة التي أشرنا إليها عند حديثنا عن دلالات مشتقات هذا الجذر في العربية الجنوبيّة آنفاً، يقول مطهر الإرياني عن

هذا الاستعمال الثاني لمشتقات الجذر (ع ر ب) في المحكيّة اليمنية: "والثاني مشابهة أو مقارب لما جاء في النقوش المسندية؛ أي: في الغلبة في حرب ونحوها، والتفوق في أيّ سجال أو مجال... فقد تسمع أحدهم يقول: تحاربنا أو تنافسنا أو تبارينا مع بني فلان فعربناهم؛ أي: غلبناهم أو تفوقنا عليهم" (١٩٦).

المطلب الثاني: الأعلام المشتقة من الجذر (ع ر ب) في المحكيّة اليمنية:

وقفت الدراسة -في المحكيّة اليمنية- على علمين فقط من الأعلام المشتقة من الجذر (ع ر ب) هما:

١- علم المكان (العربة)، وهو: علم على قرية من قرى مديرية التعزية تقع في الشمال من مدينة محافظة تعز بالقرب من مطار تعز الدولي من جهة الجنوب، جاء ذكرها في (العقود الولويّة) في باب (ذكر أخبار الدولة المجاهديّة)، يقول الخزرجي (ت ٨١٢هـ): "فحاربهم أهل الجند حرباً شديداً، فعادوا خائبين إلى قرية (العربة)، فأقاموا بها" (١٩٧).

٢- علم على نبتة (العُرب)، جاء عند أحد الباحثين: "العُرب (sumac)، أو عترب كما يُسمّيه العرب كما ضبطه القاموس المحيط، وهو الشَّمّاق كما يُسمّيه العرب المشاركة" (١٩٨). والذي يظهر لنا أنّ أصل هذا الاسم: عُرب (بتضعيف الراء)، ثمّ فكّ التضعيف وأبدلت الراء الأولى ثاءً، ويشهد لصحة التّصوّر الأوّل ورود كلمة (العَرْبَرَب) في معاجم الفصحى بالمعنى ذاته، وهي هناك من مضعّف الرباعي (بتضعيف الراء) وهُنا من الثلاثيّ المزيد (بتضعيف الراء) أيضاً.

ويشهد لصحة التصور الثاني (فك التضعيف وإبدال الراء الأولى ثاءً) شيوع ظاهرة فك التضعيف والإبدال في العربية الفصحى والمحكية العربية واللغات السامية، بل ولغات الأسر اللغوية الأخرى، وتفسر هذه الظاهرة في ضوء قانون المخالفة الصوتية (Dissimilation)^(١٩٩)، ومن شواهدا في الفصحى: قيراط (أصلها: قِرَاط)، بدليل: قراريط، ودينار (أصلها: دِنَار)، بدليل: دنانير. ومن شواهدا في المحكيات القديمة: إنجاص في (إنجاص)، وأترنج في (أترج)، وفي المحكيات الحديثة: خرشم في (خمّش) مع القلب المكاني، وقزبيط في (قنبيط)، وفي اللغات السامية نجد في السريانية كلمة (nbā/أنبا) بمعنى: الأب الروحي، وأصلها (bbā). ويشهد لصحته أيضاً ورود الكلمة في معاجم الفصحى بإبدال الراء الأولى ثاءً (عترب) كما ورد في النص الأول محالاً على القاموس المحيط، بل وفي غير القاموس.

المطلب الثالث: الدلالات المتولدة من الجذر (ع ر ب) في الأمثال الشعبية اليمنية:

تولدت من الجذر (ع ر ب) في كثير من الأمثال الشعبية اليمنية دالتان: دلالة غالبية هي الدلالة الجنسية (الجماع)، ولن نسجل -ههنا- الأمثال التي تضمنت هذه الدلالة الجنسية مراعاة للذوق العام وتحاشياً لما يخذش الحياء^(٢٠٠)، فضلاً عن الدلالة الجنسية الغالبة في الأمثال اليمنية، وردت فيها دلالة نادرة هي الدلالة على جنس العرب المقابل للعجم في المثل اليمني القائل: (العرب ما يموتوا إلا مُتَوَافِينَ). يُضرب

هذا المثل في مقام التهديد بحتمية تحقق الانتقام والأخذ بالثأر، ومعناه الحرفي: أن من طبيعة العربي أن يأخذ بثأره وأن يستوفي حقه من غريمه قبل موته.

القسم الثاني: دلالات الجذر (ع ر ب) في اللغات السامية:

المبحث الأول: في الحبشية:

تولدت من الجذر (ع ر ب) في المعجم الحبشي الدلالات الآتية: (مرتبة على حروف المعجم):

١- الجمعة، عشية السبت: (arb'/عرب):
eve of Sabbath, Fryday, the sixth day"
'arb 'əlat)، (arb 'əlat)، (عرب علّت)، (بفتحة مماله)
arb/علّت عرب: (Friday)^(٢٠١) (بفتحة مماله)
نحو الكسرة بعد العين في كلمة (علّت) في
الموضعين)^(٢٠٢).

٢- العربي (المنسوب إلى بلاد العرب):
(arabi'/عرب): (Arabian , Arabic)^(٢٠٣)،
(arabāwi'/عرباوي): (Arabian)^(٢٠٤).

٣- العربية (مصطلح جغرافي): المنطقة
العربية، جزيرة العرب: (arab'/عرب):
(Arabia)^(٢٠٥).

٤- العربون (المصطلح التجاري المعروف):
(arabon'/عربون): (pladge, security)^(٢٠٦).

٥- العرب (الجهة المقابلة للشرق): (arab'/عرب)،
(mā' rāb/مغرب): (west)^(٢٠٧)،
(بفتحة مماله) نحو الكسرة بعد الميم في كلمة:
مغرب).

٦- الغربي (الشخص المقيم في بلاد غربية):

صيغة ('arabi/عَرَبِ)، ('arabāwi/عَرَبَاوِ):
(western) (٢٠٩).

٧-المسبَّب، السببي: (a' raba/أَعَرَبَ):
(causative) (٢١٠).

٨-: مغيب الشمس، أفول الشمس والأجسام
السماوية: ('arba/عَرَبَ)، ('araba/عَرَبَا)،
(yə'rab/يَغْرِبُ) (بفتحة مُمالَةٍ نحو الكسرة
بعد الياء)، (yə'rəb/يَغْرِبُ) (بفتحتين مماليتين
نحو الكسرة بعد الياء والراء): (set (sun,"
'arab (heavenly bodyes/عَرَبَ):
(erbat (، (sunset/عَرَبَتْ) (بفتحة مُمالَةٍ
نحو الكسرة بعد العين): (setting of the)
(mərāb (، (sun/مُعْرَبُ) (بفتحة ممالَةٍ
نحو الكسرة بعد الميم): (setting of the)
(sun) (٢١٤).

المبحث الثاني: الدلالات المتولدة من الجذر
(ع ر ب) في العبرية:

تولدت من الجذر (ع ر ب) في المعجم
العبري الدلالات الآتية (مرتبة على حروف
المُعجم):

١-اختلال النظام: (nit'arbēb/نِتْعَرِبِبْ):
اختلَّ النظام (٢١٥).

٢-أسراب من الوحوش: (arōb/عَارُوبُ):
أسراب من الوحوش (٢١٦).

٣-الخلط والمزج: ورد هذا المعنى بصيغ
كثيرة، منها: ('ērab/عَيْرُوبُ): خلط، مزج،
(me'orāb/مَعْرَابُ): مُخَلَّط، ممزوج،
(hit'arēb/هِتْعَارِبُ): اختلط، امتزج، ذاب،
(ēreb/عَيْرِبُ): خلط، مزيج، (erebrab/

عَيْرُوبُ): دهماء، غوغاء، خليط متناثر من
الناس، ('irbūb/عِرْبُوبُ): خلط، مزج (٢١٧).

٤-سهل (أرض منخفضة): ('ārābā/عَرَابَا)
(بفتحة مخطوفة بعد العين): سهل (٢١٨).

٥-شجرة الصفصاف: ('ārābā/عَرَابَا)
(بفتحة مخطوفة بعد العين): شجرة
الصفصاف (٢١٩).

٦-صحراء، برية: ('ārābā/عَرَابَا) (بفتحة
مخطوفة بعد العين): صحراء، برية (٢٢٠).

٧-صلاة المغرب: ('arbī/عَرِبِيْتُ): صلاة
المغرب (٢٢١).

٨-ضربة الطاعون التي أنزلها الله بفرعون
مصر: ('ārōb/عَارُوبُ): الضربة الرابعة
التي أنزلها الله بفرعون مصر، وهي ضربة
الطاعون (٢٢٢).

٩-العربي (المنسوب إلى العرب): ('arb/عَرَبِيّ):
عربي: عَرَبِيّ (٢٢٣).

١٠-الغروب، الإظلام، المساء: ('ārab/عَارَبُ):
عَارَبُ: حان وقت الغروب، أظلم، ('ēreb/عَيْرِبُ):
عَيْرِبُ: مساء، عشية (٢٢٤).

١١-فتوى يهودية مخصوصة: ('ērūb/عَيْرُوبُ):
عَيْرُوبُ: فتوى الحاخامين بإباحة بعض
المحرّمات الخاصة بيوم السبت (٢٢٥).

١٢-الكفالة والضمانة والرهن والعربون:
(arab/عَارَبُ): كفل، ضمن، ('ārūb/عَرُوبُ)
(بفتحة مخطوفة بعد العين): ضمان، كفالة،
(arēbūt/عَرِبُوتُ) (بفتحة مخطوفة بعد
العين): كفالة، ضمان، (hit'arēb/هِتْعَارِبُ)
(بالكسرة الطويلة الممالاة بعد الراء): تراهن،

ومن هذا المعنى: الرهينة: (ärubā'/عرُبا) (بفتحة مخطوفة بعد العين): رهينة، (ērābōn'/عيراقون): رهن. عربون. ضمان^(٢٢٦).

١٣- اللذة، الطيب، العذوبة، الحلاوة: (ārab'/عارف): لذّ، طاب، عذّب^(٢٢٧)، (āreb'/عاربف): حلّو، عذّب، شهّي، لطيف^(٢٢٨).

١٤- لحمة النسيج: (ēreb'/عيرف): لحمة النسيج^(٢٢٩).

١٥- اللغة العربيّة: (arbī'/عربيّ): اللغة العربيّة^(٢٣٠).

١٦- المتاجرة: ورد هذا المعنى بصيغة الماضي: (ārab'/عارف): تاجر^(٢٣١).

المبحث الثالث: دلالات الجذر (ع ر ب) في الأرامية:

المطلب الأول: في السريانية:

في السريانية تولدت من الجذر (ع ر ب) الدلالات الآتية: (مرتبة على حروف المعجم):

١- البعوض: (aruwbā'/عرُوبا): البعوض^(٢٣٢).

٢- بهارة (شجرة): (arbat'/عرِبط): بهارة، شجرة مريم^(٢٣٣).

٣- الجمعة (رُوقتا): (ruwbā'/عرُوقتا): جمعة^(٢٣٤).

٤- الجَمَص (نبته): (rbt'/عربت): الحمص، الذي يُقال له الخَبَاش^(٢٣٥). وهو في العربيّة (جَمَص وجَمَص)، جمع مفرد جَمَصَة وجَمَصَة^(٢٣٦)؛ لذلك وضعت العلامة الدالة على الجمع في السريانية -وهي النقطتان الأفقيتان- فوق الكلمة.

٥- الخَلَط: (rab'/عرَف)، (areb'/عرِف)،

(a'reb'/أعرِف): خَلَطَ^(٢٣٧)، (m'arbuwtā'/معرُوتا): اختلاط^(٢٣٨).

٦- الرهائن: (ruwbā'/عرُوبا): رهائن^(٢٣٩).

٧- "الشخص الذي يختاره الوالدان للاهتمام بتربية الطفل" (٢٤٠): (arrāb'/عرّاف): العرّاب (الذكر)، والعرّابة (الأنثى)^(٢٤١).

٨- الشخص الذي يُكَلَّف من الكنيسة بتربية الطفل تربيةً دينيّةً من غير الوالدين فيما يُعرف بالمعمودية: (arrāb'/عرّاف): العرّاب، والأنثى: العرّابة^(٢٤٢)، جاء في أقرب الموارد: "العرّاب: ... عند النصارى كفيّل المعتمد والكفيلة عرّابة (سريانيّة)"^(٢٤٣)، وجاء في (اللباب) بصيغة التعريف: (arrābā'/عرّابا): العرّاب "أي: الكفيل، والمراد به إبليس، وإنّما سمّاه به؛ لأنّه أغرى حواء بأكل الثمرة المحرّمة، ثمّ كفّلها بأنّه إذا أكلتها تصير إلهاً"^(٢٤٤).

٩- الصفصاف (شجرة): (arbtā'/عربتا): صفصاف^(٢٤٥). ويُسمّى -أيضاً- عند العرب (الخلاف والسّوَجَر)، جاء في اللسان: "والخلاف الصّفصاف وهو بأرض العرب كثير ويسمى السّوَجَر وهو شجر عظام وأصنافه كثيرة وكلها حَوَارٌ خَفِيفٌ"^(٢٤٦).

١٠- العَرَب، المَغْرِب: (marbā'/معرِبا): غرب، مغرب^(٢٤٧).

١١- العَرَبَلَة: (rab'/عرَف): عَرَبَل^(٢٤٨)، (arbālāt'/عربالات): الغربال^(٢٤٩).

١٢- غروب الشمس: (rab'/عرَف): غروب غربت الشمس^(٢٥٠)، (rābā'/عرافا): غروب الشمس^(٢٥١).

١٣- الغيب: (/a'reb/أُغْرِف): غَيْب^(٢٥٢).

١٤- فَوَاخَتْ (ضَرْبٌ مِنَ الْحَمَامِ): (/i/erbārt/عربارت) بكسرة قصيرة خالصة أو مُمَالَةٍ بَعْدَ الْعَيْنِ^(٢٥٣): فَوَاخَتْ. والفواخت جمع (فاختة)، جَاءَ فِي الْمَعْجَمِ الْوَسِيطِ: "الفاختة: ضَرْبٌ مِنَ الْحَمَامِ الْمَطْوَّقِ، إِذَا مَشَى، تَوَسَّعَ فِي مَشْيِهِ وَبَاعَدَ بَيْنَ جَنَاحَيْهِ وَإِبْطِيهِ وَتَمَائِيلِ، (ج) فَوَاخَتْ"^(٢٥٤).

١٥- الكفالة والضمانة والرهن: (/rab/عَرَفَ): كَفَّلَ بـ، (/orb/عرب): يَضْمَنُ وَيَكْفُلُ^(٢٥٥)، (/arābwṭt/عربوطت): الضمان، الكفالة^(٢٥٦)، (/arābūtā/عراقًا): كَفِيلٌ، عَرَّابٌ، (/arābūtā/عراقوتا): رَهْنٌ، كَفَالَةٌ^(٢٥٧).

١٦- اللفيف، الجماعة: (/aruwbā/عَرُوقًا): لَفِيفٌ، جَمَاعَةٌ^(٢٥٨).

١٧- المَزَج (وهو مرادف الخلط): (/rubā/عُرُقًا): مَزِيجٌ، (/urābā/عُرَابًا)^(٢٥٩).

١٨- معصرة الزيت: (/rbt/عربت): مَعْصَرَةُ الزَّيْتِ، إِنَاءُ الزَّيْتِ^(٢٦٠).

١٩- المَعْلَف (مكان العلف): (/arbā/عَرَفًا): مَعْلَفٌ^(٢٦١).

٢٠- النقيير: (/i/erbēt/عربيت) (بكسرة قصيرة خالصة أو مُمَالَةٍ بَعْدَ الْعَيْنِ): النقيير من خشبٍ يُعْجَنُ فِيهِ، وَالْجَفْنَةُ^(٢٦٢).

*** المطلب الثاني: في النبطية:

لم تقف الدراسة في اللغة النبطية على غير دلالة واحدة للجذر (ع ر ب) هي دلالة (الضمانة والكفالة، (عربت/ rbt): ضَمِنْتُ، كَفَلْتُ، (عرب/ rb): مضمون، مكفول^(٢٦٣).

المبحث الرابع: الدلالات المتولدة من الجذر

(ع ر ب) في الكنعانية:

وقفت الدراسة في الكنعانية على دالتين متولدتين من الجذر (ع ر ب)، هما:

١- الكفالة والضمانة: (/rb/عرب): كَفَالَةٌ، ضَمَانَةٌ (عربون)^(٢٦٤).

٢- العُرْفَةُ، الرُّوْاقُ، المَدْخَلُ: (/rpt/عريت): غُرْفَةٌ، رَوَاقٌ، مَدْخَلٌ^(٢٦٥). ودلالة (المَدْخَل) هذه من الدخول؛ أي: المكان الذي يُبْتَدَأُ مِنْهُ الدَّخُولُ، وَقَدْ وَرَدَتْ دَلَالَةُ الدَّخُولِ هَذِهِ -أَيْضًا- فِي نَقْشِ أَوْجَارِيْتِي^(٢٦٦) بصيغة الماضي، جَاءَ فِي أَحَدِ الدِّرَاسَاتِ: "عرب: فَعْلٌ مَاضٍ مُسْنَدٌ إِلَى الْغَائِبَاتِ كَثْرَةً، مِنَ الْجَذْرِ (ع ر ب) عَلَى وَزْنِ (فَعَلْ)، بِمَعْنَى: دَخَلَ"^(٢٦٧).

المبحث الخامس: دراسة مقارنة لدلالات الجذر (ع ر ب) في اللغات السامية:

بمقارنة الدلالات المتولدة من الجذر (ع ر ب) التي رصدتها الدراسة في اللغات السامية حقل الدراسة يتبين أنه يمكن تقسيم هذه الدلالات قسمين رئيسيين، هما:

أ- الدلالات المشتركة:

ونقصد بها الدلالات المشتركة بين لغتين - على الأقل - من اللغات السامية المستهدفة، وهي على النحو الآتي:

١- الضمانة والكفالة: امتلكت هذه الدلالة حضورًا طاغيًا على كُُلِّ الدلالات الأخرى في كُُلِّ اللغات السامية حقل الدراسة؛ إذ لم تخل منها لغةٌ من هذه اللغات، سواءً بلفظ الضمانة والكفالة صراحةً عُبِّرَ عَنْ هَذِهِ الدَّلَالَةِ أَمْ بِالْفَافِ مُرَادِفَةٌ

تؤدي الدلالة ذاتها.

ففي العربية الجنوبية والعبرية والسريانية والنبطية والكنعانية نقف على هذه الدلالة بلفظ الضمانة والكفالة الصريحة، وفي العربية الفصحى سجلت هذه الدلالة حضورها من خلال المصطلح (العربون) الذي يمثل نوعاً من الضمانة يقدمها المشتري للبائع لإتمام البيع، وفي العربية الجنوبية تبرز دلالة (الرهن والموثق والتعهد) رديفة للضمانة والكفالة، كما يشيع مصطلح (العربون) كذلك في المحكية اليمنية والحبشية والكنعانية.

وتستعمل السريانية مصطلح (عروفا) بمعنى: رهائن، كما يشيع فيها مصطلح ('arrāb/عَرَّاف): العَرَّاب، وهو الشخص الذي يتكفل بتربية الأبناء إما تربيةً دينيةً بتكليف من الكنيسة أو تربيةً اجتماعيةً بتكليف واختيار من الأبوين. وفي العبرية نقف على المصطلح ('ārāb/عَارَف): تاجر، وهو مصطلح تجاري لعله مأخوذاً من مصطلح (العربون) ('ērābōn/عيرأفون)؛ لأن أغلب المعاملات التجارية تقوم على دفع (العربون) لضمان إتمام الصفقات التجارية، ويحتمل أن يكون العكس هو الصحيح؛ أي: أن يكون مصطلح (العربون) مأخوذاً من الفعل (تاجر).

إن شيوخ هذا الجذر بهذه الدلالة الصريحة أو المرادفة في اللغات السامية المستهدفة جميعها يمثل صورة من صور (المشترك السامي) على مستوى الجذر والدلالة معاً، ولعل هذا الشيوخ يسوغ لنا أن نقول مطمئنين: إن هذا المشترك السامي مما ورثته هذه اللغات عن اللغة السامية

الأُم؛ لاستحالة أن تكون كل لغة من هذه اللغات قد ولدت هذه الدلالة بمعزل عن بقية اللغات ثم ظهر اتفاقها فيها عن غير قصد.

٢-الدخول: هذه الدلالة هي ثاني أكثر دلالات الجذر (ع ر ب) شيوعاً في اللغات السامية المستهدفة، وقد عبّر عنها بلفظ الدخول صراحةً في بعض اللغات السامية المستهدفة، وبألفاظ أخرى تؤول إلى دلالة الدخول أو تتفرع منها، ومن المصطلحات الصريحة في الدلالة على معنى الدخول مصطلح (يعربن): يدخل، ومصطلح (معربي): مدخل في العربية الجنوبية (نقوش المسند)، ومصطلح (عريت): مدخل في الكنعانية، ومصطلح (عرب): دخّل في الأوجاريتية.

أما الدلالات الفرعية التي تؤول إلى دلالة (الدخول) ويمكن ردّها إليها دون تكلف، فهي:

٢-١ دلالة الجماع: تشيع هذه الدلالة في العربية الفصحى وعربية النقوش الجنوبية والمحكية والأمثال اليمنية بصيغ مختلفة، والعلاقة جد واضحة بين الدالتين، فحاصل دلالة الجماع (دخول) العضو الذكري في العضو الأنثوي؛ لذلك كثيراً ما يُكنّى عن الجماع بمصطلح (الدخول والإدخال)، ومن هذه الكنايات ما أوردته كتب التراث العربي عند الحديث عن ظاهرة (الكشكشة) – وهي إبدال كاف المخاطبة شيئاً في الوقف – من قول الراجز: "(هل لك فيما قُلْتُ لي وقُلْتُ لَش...فَتُدْخِلُنِ اللَّذَّ مَعِي بِاللَّذ مَعَش...في وافرٍ يَدْخُلُ فِيهِ الْقَنْفَرُش...)"(٢٦٨). وفي رواية العقد الفريد: "هل لك أن تنتفعي وأنفعش...فَتُدْخِلُنِ اللَّذَّ مَعِي فِي اللَّذَّ مَعَش..."(٢٦٩).

وهذه الكناية شائعة في المحكيّة اليمنية.

ومن الدلالات التي تُفسي إلى دلالة الجماع ابتداءً ثم إلى دلالة الدخول بالمقتضى، الدلالة على (المرأة المتحبة إلى زوجها والعاصية الخائنة كذلك)، فإن من مقتضيات التحبب إلى الزوج استثارته وتشهيته وهو -أي: التحبب في غالب أحواله -تعريض من المرأة للرجل بالجماع. أما الخيانة للزوج، فهي أوضح ما تكون في جماع غيره، ومنها أيضًا الدلالة على (النكاح/ الزواج)؛ لأن من مقتضيات النكاح الجماع، ومن مقتضيات الجماع الإدخال كما بيّنّا سابقًا، ومنها أيضًا دلالة (الخصاء/عربنا التيس)، وهذا المعنى يرجع إلى معنى الجماع، والتضعيف في الفعل وظيفته (السلب والإزالة)، فتعريب التيس؛ أي: إخصاؤه، هو سلبه القدرة على الجماع.

٢-٢ الحجارة المهندمة المتداخلة (ذكر وأنثى): تشيع هذه الدلالة في نقوش العربيّة الجنوبيّة (اليمنيّة القديمة) بصيغ مختلفة وتكاد تكون حصرية عليها؛ إذ لم يقف الباحث على هذه الدلالة في المظانّ المتاح للغات الساميّة الأخرى المستهدفة، وقد وردت هذه الدلالة فيها بصيغ مختلفة منها صيغة (معارب).

وقد أشرنا عند حديثنا عن هذه الصيغة في موضعه من البحث إلى أنّ التداخل بين هذا النوع من الحجارة يحدث بأن يُصنع في أحد الحجرين بروز وفي الآخر فجوة ثم يترابط الحجران بـ(إدخال) بروز الأول في فجوة الآخر، ويوصف الحجر ذو البروز بأنّه ذكر والحجر ذو الفجوة بأنّه أنثى؛ تشبيهاً لهما بالذكر والأنثى في علاقة الجماع في المجتمع الحيواني.

ومما يتصل بهذه الدلالة دلالتا (الأحجار المربعة، والبناء المربع)، فإن صفة التربع هذه قد تكون من خصائص الحجارة المستعملة في البناء في اليمن القديم، لكن اشتقاق اسمها من الجذر (ع ر ب) لم يأت من كونها مربعة، بل من كونها متداخلة (يدخل بعضها في بعض).

٢-٣ المعلقة، قفل الباب: هذه الدلالة -أيضًا- تكاد تكون (معلقة) على لغة النقوش العربيّة الجنوبيّة؛ إذ لم أقف عليها في اللغات الساميّة الأخرى حقل الدراسة، وقد عبّر عنها بصيغة اسم الآلة (معربي)، وبدون كدّ ذهن يستطيع المتأمل أن يدرك دلالة الدخول التي تفسي إليها هذه الدلالة؛ لأن فكرة عمل قفل الباب قائمة في أساسها على إدخال الجزء المتحرك (الذكر) منه في الجزء الثابت (الأنثى).

٢-٤ العُرب، المَعُرب: هذه الدلالة تحيل على اسم الجهة المعروفة المقابلة لجهة (الشرق، المشرق)، لكنها تُفسي إلى دلالة الدخول، فالعرب أو المغرب: هو اسم للجهة أو المكان الذي تدخل فيه الشمس ليحلّ الظلام على أجزاء من الأرض، ويؤكد ذلك ورود مصطلحي (الشرق والمشرق) للدلالة على الجهة أو المكان المقابل الذي تخرج منه الشمس ليحلّ النور على أجزاء من الأرض. ومن المصطلحات التي تحيل على هذه الدلالة في اللغات الساميّة حقل الدراسة (m'rbyt/معربييت، m'rb/معرب)، (m'rb/معربي)، (m'rb/معرب/معارب) في العربيّة الجنوبيّة، و(ʿarab/عَرَب)، (māʿrāb/مَعْرَاب) (ʿarabiʾ/عَرَبِيّ)، (ʿarabāwiʾ/عَرَبَاوِيّ) في الحبشيّة، و(maʿrba/مَعْرَبًا) في السريانيّة.

التوليد
الدلالي من
الجذر (ع ر ب)
ب)
في اللغات
الساميّة،
دراسة
مقارنة

ونستطيع أن نحمل على دلالة الدخول هذه كُلَّ المشتقات الأخرى من الجذر (ع ر ب) التي تدور في فلك دلالة (الغرب والمغرب) في اللغات السامية التي وردت فيها، كدلالة الغروب والأفول والإظلام والمساء: ك (araba' / عَرَبَ) في العربية الجنوبية، و (arba' / عَرَبَ)، (araba' / عَرَبَا)، (yā'rab / يَغْرِبُ)، (yā'rab / يَغْرِبُ)، (arab' / عَرَبَ)، (arbat' / عَرَبَتْ)، (mā'rāb / مَغْرَابٌ) في الحبشية، و (arab' / عَارَفَ)، (ēreb' / عَيْرَفَ) في العبرية، و (rab' / عَرَفَ)، (rābā' / عَرَاقًا) في السريانية؛ لأنَّ الغروب مصدرٌ دالٌّ على حدث (دخول) الشمس في مكان غروبها. ويؤكد أحد الباحثين فكرة اشتقاق المصدر (غروب الشمس) من (الدخول) في الأكديّة، بقوله: "إربو: erbu(m): غروب الشمس، مشتقة من (إريبو: يدخل)" (٢٧٠).

كما يمكن أن نحمل على دلالة الدخول هذه - أيضًا - دلالة (صلاة المغرب): (arbit' / عَرَبِيْتُ) في العبريّة؛ من جهة أنّها الصلاة التي تُقام وقت دخول الشمس في مكان غيابها. ويمكن - أيضًا - أن يُحمل على هذه الدلالة - مع بعض التجوُّز - دلالة الغيب: (a'reb' / أَعْرِفَ) في السريانية؛ لأنَّ غياب الشيء الذي هو عدم إدراكه بالحواس ينتج في بعض أحواله عن دخول هذا الشيء في شيء آخر، ويؤكد صحّة ذلك مجيء مصطلح (الغياب) مرادفًا لمصطلح (الغروب/الدخول) في اللسان العربيّ: غروب الشمس = غيابها/مغيبها، جاء في المحكم: "وغربت الشمس تغرب غروبًا: غابت في المغرب" (٢٧١).

ويُحمل على دلالة الدخول أيضًا دلالة مصطلح (معارب) حاشد على المناطق الغربية من حاشد،

من جهة أنّها المناطق الواقعة في الجهة التي تغرب فيها الشمس؛ أي: تدخل فيها عند غروبها. والذي ينبغي التنبيه عليه هنا أنّ أصل الجذر اللغويّ لدلالة الدخول هذه في اللغة السامية الأمّ هو بالغين (غ ر ب) لا بالعين، ومن المعلوم في الدرس الصوتيّ المقارن أنّ صوت الغين في السامية الأمّ احتفظت به اللغة الأوجاريّة والعربية الفصحى والعربية الجنوبية، في حين تطوّر هذا الصوت في الأكديّة إلى صوت الهمزة، وفي الحبشية والعبريّة والسريانية وفي لهجة (دثينا) في محافظة (أبين) اليمنية تطوّر إلى صوت العين (٢٧٢).

ويمثّل أحدُ الباحثين لتحوّل صوت الغين في الأكديّة إلى صوت الهمزة بالجذر (grub / غُرِبَ) الذي تحوّل في الأكديّة إلى (ērub / إِيرِبَ) (٢٧٣). أمّا (موسكاتي)، فيمثّل لتحوّل الغين في السامية الأمّ إلى نظائرها في اللغات السامية المتفرّعة منها بالجذر (غ ر ب / grb)، على النحو الآتي: "الأكديّة: ع ر ب rb'، ومعناها: دخول. العبريّة والسريانية والأثيوبيّة: ع ر ب rb'. العربية والعربية الجنوبية القديمة: غرب grb" (٢٧٤).

ولا إشكال فيما أورده (موسكاتي) من النصّ على دلالة الجذر (ع ر ب) في الأكديّة على الدخول (من ضمن دلالاته الأخرى)، فقد أشار (بروكلمان) إلى دلالة مصدر هذا الجذر في الآشوريّة (أحد فرعي الأكديّة) على الدخول أيضًا، فقال: "في الآشورية... erēbu: دخول" (٢٧٥). ويقول أحد الباحثين عن هذا الجذر وهذه الدلالة: "إربو: erbu(m): غروب الشمس، مشتقة من (إريبو: يدخل)" (٢٧٦)، ويقول أيضًا:

"إريبو: erēbu: يدخل، يغيب" (٢٧٧). وجاء في القاموس الأكدي: "الدخل، المداخل: ...erbu، الغروب (الشمس)، الغرب: ...erebu:، يغرب، يدخل... يقتحم... يخرق... يدخل شخصاً أو شيئاً في بيت: erēbu:، المدخل: ...ēribtu:، الشخص المسموح له بالدخول: ...ēribu: (٢٧٨).

كما أنه لا إشكال في نصّه على دلالة الجذر (ع ر ب) في العبريّة والسريانيّة والإثيوبيّة على الدخول، فقد رصدت الدراسة فيما مضى نماذج من الصيغ المشتقة من الجذر (ع ر ب) في هذه اللغات مستعملةً بدلالة الدخول.

لكنّ الإشكال الحقيقي الذي يقتضي وقفةً متأنيةً هو نصّ (موسكاتي) على أنّ دلالة الدخول هذه في العبريّة الفصحى والعبريّة الجنوبيّة يحملها الجذر (ع ر ب) وليس الجذر (ع ر ب) على وفق ما رصدته هذه الدراسة!!

وبالعودة إلى معاجم العبريّة الفصحى لا نكاد نقف على صيغة مشتقة من الجذر (ع ر ب) دلالةً على الدخول دلالةً صريحةً، وكلّ الذي نجده صيغ تحيل على هذه الدلالة بضرب من التأويل، ونعني بها الصيغ التي تدور حول دلالة الغياب والاستتار التي هي من لازم دلالة الدخول في الشيء، من مثل قول صاحب (العين): "والغرب: المغرب، والغروب: غيبوبة الشمس" (٢٧٩). وقول المرتضى الزبيدي: "وقال الأزهرّي: وكلّ ما وارك واسترك فهو مغرب... وكُنُس الوحش: مغاربها؛ لاستتارها بها" (٢٨٠).

أمّا معاجم العبريّة الجنوبيّة القديمة فلا تسعفنا بصيغة مشتقة من الجذر (ع ر ب) صريحة ولا محتملة لدلالة الدخول هذه.

والسؤال الذي يُلحّ ههنا هو: إذا كان من المسلّم به في الدراسات الساميّة أنّ العبريّة الفصحى والعبريّة الجنوبيّة من اللغات التي احتفظت بصوت الغين، وإذا كانت دلالة الدخول (في العبريّة الفصحى والجنوبيّة) يحيل عليها الجذر (ع ر ب) كما قرّر (موسكاتي)، فكيف انتقلت وظيفة حمل هذه الدلالة من الجذر (ع ر ب) إلى الجذر (ع ر ب) في هاتين اللغتين؟

والذي يظهر لنا في هذه المسألة أنّ الجذر (ع ر ب) الذي يحمل دلالة (الدخول) أصيلٌ في العبريّة الفصحى؛ بدليل بقاء آثار من إحياءات هذه الدلالة في هذا الجذر، ورُبّما كان هذا الجذر بهذه الدلالة أصيلاً في العبريّة الجنوبيّة أيضاً كما أشار إلى ذلك موسكاتي ثمّ اختفى منها أو أنّه ما زال موجوداً لكنّ الدراسة لم تقف على شاهد له فيها. أمّا دلالة (الدخول) التي يتضمّنهما الجذر (ع ر ب) في الفصحى والعبريّة الجنوبيّة كذلك، فلعلّها جاءت من تأثير اللغات التي تحوّل فيها الجذر (ع ر ب) إلى الجذر (ع ر ب) ونعني بها: الحبشيّة والعبريّة والسريانيّة والكنعانيّة.

ولعلّ ممّا يؤكّد وقوع هذا التأثير في العبريّة الفصحى والعبريّة الجنوبيّة وقوعه – أيضاً – في الأوجاريتيّة، فقد وجدنا (موسكاتي) يقرّر أنّ الأوجاريتيّة من اللغات التي احتفظت بصوت الغين (٢٨١)، ومع ذلك نجد أنّ دلالة (الدخول) في الأوجاريتيّة يحملها الجذر (ع ر ب) لا الجذر (ع ر ب)، يقول أحد الباحثين: "إريبو: erēbu: يدخل، يغيب، يغرب، بالأوجاريتيّة والفينيقيّة: عرب، وبالعبريّة: عرب، وبالسريانيّة: عرب" (٢٨٢)، ولا نستطيع أن نفّسر ذلك إلا بظاهرة تأثر الأوجاريتيّة باللغات التي تحوّل فيها صوت الغين

إلى صوت العين.

ومن المرجح أنّ دلالة الدخول هذه أصيلة في اللغة السامية الأمّ، وأنها كانت تؤدّي فيها بالجزر (ع ر ب)، ثمّ حدث تطوّر لصوت الغين في هذا الجزر في اللغات المتفرّعة من اللغة الأمّ على النحو الذي بيّناه في العرض السابق مع الاحتفاظ بدلالة الدخول هذه.

٣-العَرَب (خلاف العجم): لا شك أنّ الدلالة على جنس العرب دلالة عامّة في كلّ اللغات من حيث كونهم شعباً من الشعوب المعروفة عند سائر الشعوب والأمم وعند الشعوب السامية على وجه الخصوص، لكنّ الذي يُهمّنا رصد الجزر اللغويّ (ع ر ب) الدالّ على جنس العرب في اللغات السامية.

ففي العربية الفصحى مصطلحان أساسيان يحملان هذه الدلالة هما: العُرب والعَرَب، ويلحق بهذه الدلالة دلالة (النسبة إلى بلاد العرب)، وقد وردت هذه الدلالة في العربية الفصحى بصيغتين (عربيّ، العربيّ)، ووردت في الحبشيّة بالصيغتين: (arabiّ/عَرَب، arabāwiّ/عَرَباو)، وفي العبريّة وردت هذه الدلالة بصيغة (arbiّ/عَرَبِيّ).

كما يلحق بها دلالة (اللغة العربيّة، لغة العرب)، وقد وقفت الدراسة في العربية الفصحى على صيغتين تعبّران عن هذه الدلالة، هما: (العربيّة، اللغة العربيّة)، وفي العبريّة على صيغة (arbiّ/عَرَبِيّ)، ويلحق بها كذلك دلالة (بدو العرب)، وقد وردت في العربية الفصحى بصيغة (أعراب)، وفي العربية الجنوبية وردت هذا الدلالة بصيغة النكرة (rbّ/أعراب/أعراب)،

وبصيغة المعرفة (rbnّ/أعربن/الأعراب)، وبصيغة المنسوب إلى الأعراب (rbnّ/أعربن/الأعرابيّة).

كما يلحق بها دلالة (المتكلّم بالعربيّة من غير العرب)، وقد وردت هذه الدلالة في العربية بصيغة (عَرَبانيّ)، ويلحق بها كذلك دلالة (المنسوب إلى لغة العرب) في وصف القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً من القرآن الكريم، ويلحق بها أيضاً دلالة (إشباه العرب في الشّمائل والصفات) وهي من الدلالات المستعملة في الحديث النبويّ، ويلحق بها كذلك دلالة (العودة إلى البادية والإقامة فيها بعد الهجرة) وهي مستعملة في الحديث النبويّ.

ويلحق بهذه الدلالة أيضاً دلالة (العربيّة) على المنطقة الجغرافيّة التي يقطنها العرب (جزيرة العرب)، وقد وردت هذه الدلالة في الحبشيّة بصيغة (arabّ/عَرَب): (Arabia).

وترجّح الدراسة كون هذه الدلالة أصيلة في اللغة السامية الأمّ؛ بدليل وجود الجزر (ع ر ب) في أكثر اللغات السامية حقل الدراسة وهي: العربية الفصحى والعربية الجنوبيّة والحبشيّة والعبريّة.

٤-يوم الجمعة: وردت هذه الدلالة في العربية الفصحى بصيغة (عروبة/العروبة)، وفي اللغة الحبشيّة بصيغة (arbّ/عَرَب)، وفي السريانيّة بصيغة (ruwbṭaّ/عروقتنا). إنّ ورود الجزر (ع ر ب) بهذه الدلالة في هذه اللغات الثلاث يمثّل ظاهرة المشترك على مستوى الجزر والدلالة معاً. ولا نستطيع أن نجزم بأصالة هذا الجزر بهذه الدلالة في اللغة السامية الأمّ؛ إذ يُحتمل

أن يكون الأمر كذلك ثم احتفظت بهذه الظاهرة هذه اللغات الثلاث فقط وفقدت من بقية اللغات السامية الأخرى، والاحتمال الآخر أن تكون هذه الدلالة من الدلالات التي ولدتها إحدى هذه اللغات من هذا الجذر ثم تأثرت اللغتان الأخريان بها.

٥- شجرة الصفصاف: وردت هذه الدلالة في اللغتين العبرية والسريانية، وقد وقفت الدراسة على هذه الدلالة في العبرية بصيغة (/ārah/ عراقا)، وفي السريانية بصيغة (/arbtā/ عربتا). وهي تمثل نموذجاً من نماذج المشترك السامي بين هاتين اللغتين على مستوى الجذر والدلالة معاً.

إن احتمال كون هذه الدلالة من هذا الجذر أصيلةً في اللغة السامية الأم هو احتمال ضعيف؛ لانحصارها في لغتين اثنتين فقط وغيابها عن أغلب اللغات السامية المستهدفة، والاحتمال الأرجح أن تكون هذه الدلالة من التوليدات الدلالية الخاصة بإحدى اللغتين ثم انتقلت إلى اللغة الأخرى في ضوء ظاهرة (التأثير والتأثر) بين اللغات.

٦- الخلط والمزج: لم تقف الدراسة على هذه الدلالة إلا في لغتين اثنتين فقط من اللغات السامية هما: العبرية والسريانية، وقد وردت هذه الدلالة في العبرية بصيغ كثيرة، منها: (/erab/ عيرَف): خَلَطَ، مَزَجَ، (/me'orab/ معراف): مُخْتَلَطٌ، ممزوج، (/hit'arēb/ هِتْعَارِبُ): اختلط، امتزج، ذاب، (/ēreb/ عيرِف): خليط، مزيج، (/ērebab/ عيرِفَرَف): دهما، غوغاء، خليط متنافر من الناس، (/irbūb/ عربُوف): خَلَطَ، مَزَجَ. أما اللغة السريانية، فقد وقفت الدراسة

فيها على الصيغ الآتية: (/rab/ عَرَفَ)، (/areb/ عَرَفَ)، (/a'reb/ أَعَرَفَ): خَلَطَ، و (/m'arbuwtā/ مَعَرَبُوتَا): اختلاط.

والاحتمال الأرجح - هنا - أن تكون هذه الدلالة من التوليدات الخاصة بإحدى اللغتين تأثرت بها اللغة الأخرى.

٧- الغلبة والقهر: لا وجود لهذه الدلالة - بحسب ما تيسر للدراسة من المظان المتاحة - إلا في العربية الجنوبية والمحكية اليمنية، وقد وقفت الدراسة في نقوش العربية الجنوبية على صيغة (/wt'rbn/ وتعربن) بمعنى: وخضعوا، أما في المحكية اليمنية، فشواهدا الحية المسموعة لا تكاد تُحصى كثرةً.

ونكاد نجزم أن هذه الدلالة هي من التوليدات الدلالية الخاصة بالعربية الجنوبية، وقد انتقلت منها إلى المحكية اليمنية التي تُعدّ امتداداً للعربية الجنوبية، فالعربية الجنوبية ما هي إلا اليمنية القديمة والمحكية اليمنية ما هي إلا اليمنية الحديثة.

٨- السببية: رصدت الدراسة هذه الدلالة في لغتين اثنتين من اللغات السامية المستهدفة، هما: العربية الجنوبية والحبشية، ففي الأولى وردت هذه الدلالة بصيغة شبه الجملة (الجار والمجرور) (/b-rb/ بعرب): من أجل، وفي الثانية وردت بصيغة (/a'raba/ أَعَرَبَ): (causative): المسبب، السببي. وترجح الدراسة كونها من توليد إحدى اللغتين ثم أخذتها عنها اللغة الأخرى.

٩- الفساد: وردت هذه الدلالة في لغتين اثنتين، هما:

التوليد
الدلالي من
الجذر (ع ر ب)
في اللغات
السامية،
دراسة
مقارنة

أ-العربيّة الفصحى: والفساد في العربيّة الفصحى على نوعين: الفساد الحسيّ (فساد البطن/المعدة، فساد الجرح، التّخمة)، والفساد المعنويّ المنقول عن الفساد الحسيّ، ومنه: (الإفساد بين الناس)، (الغرق في الدنيا والانشغال بها)، (المرأة الفاسدة).

ب-العبريّة: وقفت الدراسة على هذه الدلالة في العبريّة تحت مصطلح: (nit'arbēb/ننْعَرْبِبْ): اختلّ النظام. واختلال النظام هو فساده.

وترجّح الدراسة كون دلالة الفساد هذه من توليدات إحدى اللغتين ثمّ انتقلت منها إلى اللغة الأخرى، والأرجح أنّ توليد هذه الدلالة وقع في العربيّة الفصحى ابتداءً، والذي يُسوِّغ هذا الترجيح غزارة الدلالات الفرعيّة للفساد بنوعيه الحسيّ والمعنوي التي تعود إلى دلالة الفساد العامّة في العربيّة الفصحى، وقد أخذت العبريّة عن العربيّة دلالة الفساد وخصّصته بفساد النظام.

١٠-العلميّة: ونقصد بها دلالة الأعلام المشتقّة من الجذر (ع ر ب) في اللغات الساميّة حقل الدراسة، وقد وردت هذه الدلالة في: العربيّة الفصحى والعربيّة الجنوبيّة والمحكيّة اليمينيّة بنسبٍ متفاوتة: فقد شاعت في العربيّة الفصحى أعلامٌ كثيرةٌ مشتقّةٌ من هذا الجذر بأنواعها المختلفة: أعلام الأمكنة وأعلام القبائل وأعلام الأشخاص وأعلام الحيوان وأعلام الأشياء، أمّا في العربيّة الجنوبيّة، فقد شاع علمٌ واحدٌ فقط من أعلام الأشخاص هو (عريم)، وأمّا المحكيّة اليمينيّة، فقد شاع فيها علمان، الأوّل: علم المكان (العربيّة)، والثاني علمٌ على نبتة(العُثْرُب/ السَّمَق).

ب-الدلالات الخاصّة:

ونقصد بها الدلالات التي ولّدها كلّ لغةٍ من اللغات الساميّة حقل الدراسة من الجذر (ع ر ب) واختصّت بها دون غيرها من سائر اللغات المستهدفة، ومن المسلّم به أنّ التوليد الدلاليّ في اللغة هو مظهرٌ من مظاهر الثراء اللغويّ ومؤشّرٌ إيجابيّ على ما تكتنزه اللغة من طاقات كامنة وعلى قدرتها على استيعاب المستجدّات ومواكبة التغيرات الحياتيّة، ولا شكّ أنّ اللغات الإنسانيّة ليست على مستوى واحدٍ من حيث القدرة على التوليد الدلاليّ.

وبمقارنة الدلالات العامّة المتولّدة من الجذر (ع ر ب) في اللغات الساميّة المستهدفة التي رصدتها الدراسة في المباحث السابقة، يتبيّن الآتي:

اختصّت اللغة العربيّة الفصحى دون غيرها من اللغات الساميّة المستهدفة بتوليد أربع وعشرين دلالةً، هي: ١-الاستصلاح، ٢-الإبانة والإفصاح عن الشيء، ٣-إجراء الفرس وإحضاره، ٤-الأحذية، معنى (أحد) في سياق النفي، ٥-أخذ اللحم من فوق الضلع، ٦-الأكل (المصدر)، ٧-الإنكار، ٨-أن يكون سقيّ القوم مرّةً غبّاً ومرّةً خمساً ثم يقوم على وجهٍ واحدٍ، ٩-بقاء أثر الجرح بعد البرء، ١٠-الجرب واشتداده، ١١-حمل الخزم (ثمره)، ١٢-الدعوة في الختان، ١٣-شملة الضرع المستعملة للغنم، ١٤-طبيب النفس، ١٥-الغريب من الحيوان، ١٦-قطع سَعَف النّخل، ١٧-كَيْ الدابة على أشاعرها لتشتدّ، ١٨-المتهلّل الوجه، ١٩-الماء الكثير الصافي، ٢٠-المَنع، ٢١-النّشاط،

٢٢- النفس، ٢٣- النهر الشديد الجري، ٢٤- يبيس
البُهمى (نبته) أو يبيس كُل بقل.

كما اختصّت العربيّة الفصحى باشتقاق مصطلحاتٍ علميّةٍ من مصطلحات العلوم من هذا الجذر رصدت منها الدراسة تسعة مصطلحاتٍ بتسع دلالاتٍ اصطلاحية، هي: ١- (الإعراب) في علم النحو، ٢- (أعرابي) في علم النبات، ٣- (التعريب) في فقه اللغة، ٤- (العُرب أو العُربات) في علمي الموسيقى والغناء، ٥- (عرب سات) في تكنولوجيا الفضاء، ٦- (العربون) في علمي الاقتصاد والقانون، ٧- (العربين) في علم الأحياء، ٨- (العربيّان) في علم القراءات القرآنية، ٩- (العُروبة) في العلوم السياسية.

أما العربيّة الجنوبيّة، فقد اختصّت عن اللغات السامية الأخرى بأربع دلالاتٍ، هي: ١- الاستيراد وجلب البضاعة، ٢- الجانب والناحية، ٣- القربان والتقدمة، ٤- المبنى (البرج).

وفي اللغة العبريّة نقف على توليداتٍ دلالية خاصة، رصدت الدراسة منها سبع دلالاتٍ، هي:

١- أسراب الوحوش: (arōb/عاروف)،
٢- سهّل (أرض منخفضة): (ārābā/عراقا)،
٣- صحراء، برية: (ārābā/عراقا)، ٤- ضربة الطاعون التي أنزلها الله بفرعون مصر: (ārōb/عاروف)،
٥- فتوى اليهود الحاخامين بإباحة بعض المحرّمات الخاصة بيوم السبت: (ārāb/عارف)،
٦- اللذة، الطيب، العذوبة، الحلاوة: (ārāb/عارف)،
٧- لحمة النسيج: (ēreb/عيرف).

واختصّت السريانية بتوليد ثمان دلالاتٍ من الجذر (ع ر ب)، هي:

١- البعوض: (aruwbā/عروفا)، ٢- البهارة (شجرة): (arbat/عربط)، ٣- الحمص (نبته): (rbt/عربت)، ٤- الغزبة: (rab/عارف)،
٥- الفواخت (ضرب من الحمام): (i/erbārt)،
٦- معصرة الزيت: (rbt/عربت)،
٧- المغلف (مكان العلف): (arbā/عارفا)،
٨- النفير: من خشب يُعجن فيه، والجفنة: (i/erbēt/عربيّت).

أما المحكيّة اليمنيّة والأمثال اليمنيّة والحبيّة والنبطيّة والكنعانيّة والأوجاريتيّة، فلم تختص أيّ منهما بدلالة خاصة بها، وكلّ ما ورد فيها من دلالاتٍ هو من الدلالات المشتركة.

(الخاتمة)

من أهمّ النتائج التي توصّلت إليها الدراسة، ما يأتي:

١- تولّدت من الجذر (ع ر ب) في معاجم العربيّة الفصحى ستّ وثلاثون دلالة، منها: الإبانة والإفصاح، إجراء الفرس وإحضاره، أخذ اللحم من فوق الضلع، إعطاء العربون، الإفساد بين الناس، بقاء أثر الجرح، التّخمة، الجرب، جنس من الناس خلاف العجم، والجماع... إلخ.

٢- لم تقتصر وظيفة الجذر (ع ر ب) على حمل الدلالة اللغويّة فحسب، بل كان لها وظيفة أخرى هي حمل الدلالة الاصطلاحية، وقد رصدت الدراسة من مشتقات هذا الجذر في اصطلاحات العلوم تسعة مصطلحاتٍ بتسع دلالاتٍ اصطلاحية سبق ذكرها.

٣- اشتقّ من الجذر (ع ر ب) كثير من أسماء الأعلام التي احتفظت بها كُتب التراث

العربي، وقد رصدتها الدراسة وقسمتها على خمسة أقسام: أعلام الأماكن، وأعلام القبائل، وأعلام الأشخاص، وأعلام الحيوان، وأعلام الأشياء، على وفق معيار الأعراف فالأقل معرفة.

٤- استعمل القرآن الكريم من دلالات الجذر (ع ر ب) ثلاث دلالات لا غير، هي: النساء المتحبات إلى أزواجهن، والمنسوب إلى لغة العرب (وهو القرآن الكريم)، وسكان البادية من العرب خاصة. في حين استعمل منها الحديث النبوي الصحيح سبع دلالات، هي: إشباه العرب في الشمائل والصفات، الإفصاح والإبانة، أهل البادية من العرب، طيب النفس واشتهاء اللعب، العودة إلى البادية والإقامة فيها بعد الهجرة، فساد البطن، المنسوب إلى بلاد العرب.

٥- في نقوش العربية الجنوبية تولدت من الجذر (ع ر ب) سبع عشرة دلالة، منها: الأحجار المربعة، الأعراب، الدخول، الرهن والموثق، الغرب، الغلبة والقهر والخضوع، القربان، مغلقة الباب، والجانب والناحية... إلخ. أما على مستوى الأعلام الواردة في نقوش العربية الجنوبية مشتقة من هذا الجذر، فلم تقف الدراسة سوى على علم واحد من أعلام الأشخاص هو (عربم).

٦- في اليمنية الحديثة ورد الجذر (ع ر ب) في اللهجة المحكية بثلاث دلالات لا غير، هي: الجماع، والجزء الذي يدفعه المشتري للبائع لضمان إتمام البيع، والغلبة والتفوق في الحرب ونحوها. أما الأعلام المشتقة من هذا الجذر في المحكية اليمنية فلم تقف الدراسة إلا على علمين اثنين فقط، هما: (العربة) علم على قرية في محافظة تعز، و(العرب) علم على نبتة(السماق).

وأما على مستوى الأمثال الشعبية اليمنية، فقد وردت مشتقات هذا الجذر فيها بداليتين اثنتين فقط، هما: دلالة (الجماع)، وقد أحالت الدراسة على بعض مظان هذه الأمثال، ودلالة (جنس العرب خلاف العجم)، وقد رصدت الدراسة من أمثالها مثلاً واحداً فقط.

٧- في المعجم (الحبشي) ورد الجذر (ع ر ب) بثمان دلالات، منها: الجمعة، المنسوب إلى بلاد العرب، العربون، العزب، المسبب... إلخ.

٨- تولدت من الجذر (ع ر ب) في المعجم العبري ست عشرة دلالة، منها: اختلال النظام، أسراب من الوحوش، الخلط والمزج، الرهان، شجرة الصفصاف، الصحراء، ضربة الطاعون التي أنزلها الله بفرعون، العربون... إلخ.

١٠- في نطاق الآرامية ولهجاتها، ورد الجذر (ع ر ب) في المعجم السرياني بعشرين دلالة، منها: البعوض، والجمعة، الخلط، الرهائن، الصفصاف، الغيب، المغلف (مكان العلف)... إلخ. أما في النبطية، فلم تقف الدراسة إلا على دلالة واحدة لمشتقات هذا الجذر هي دلالة الضمانة والكفالة.

١١- في الكنعانية وقفت الدراسة على داليتين متولدتين من هذا الجذر، هما: الكفالة والضمانة، والغرفة أو الرواق أو المدخل، أما اللغة الأوجاريتية - وهي إحدى اللغات الكنعانية على وفق بعض النظريات - فقد وقفت الدراسة فيها على دلالة واحدة فقط هي دلالة الدخول.

١٢- الدلالات المشتركة في اللغات السامية حقل الدراسة عشر دلالات - على تفاوت في عدد اللغات المشتركة في كل دلالة منها - هي:

- الضمانة والكفالة، الدخول، العرب خلاف العجم،
يوم الجمعة، شجرة الصفصاف، الخلط والمزج،
الغلبة والقهر، السببية، الفساد، العلمية.
- ١٣- اختصت بعض اللغات السامية بتوليد
بعض الدلالات الخاصة بها من الجذر (ع ر ب)
دون سائر اللغات السامية المدروسة، وقد جاءت
اللغة العربية الفصحى في الصدارة؛ إذ اختصت
بتوليد أربع وعشرين دلالة لا نجدها في اللغات
الأخرى، فضلاً عن تسع دلالاتٍ اصطلاحية في
اصطلاحات العلوم، ثم جاءت اللغة السريانية
ثانيةً بثمان دلالاتٍ خاصة بها، وجاءت العبرية
في الرتبة الثالثة بسبع دلالاتٍ خاصة، وفي الرتبة
الرابعة تأتي العربية الجنوبية بأربع دلالاتٍ،
أمّا المحكية اليمنية والأمثال اليمنية والحبشية
والنبطية والكنعانية والأوجاريتية، فلم تختص
أيُّ منها بدلالاتٍ خاصة، وكلُّ ما ورد فيها من
دلالاتٍ هو من المشترك السامي اللفظي الدلالي.
- الحواشي**
١. فقه اللغات السامية: ٤٩.
 ٢. قاموس اللغة الأكديّة - العربية: ١١.
 ٣. المحيط في اللغة: ٣٣/٢.
 ٤. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل:
٢٨٤/٦.
 ٥. تاج العروس من جواهر القاموس: ٣٣٥/٣.
 ٦. تاج العروس: ٣٣٥/٣.
 ٧. إكمال الأعلام بتتليث الكلام: ٤١٧/٢.
 ٨. المصدر السابق: ٤١٧/٢ هـ.
 ٩. تاج العروس: ٣٣٦/٣.
 ١٠. المصدر السابق: ٣٣٦/٣.
 ١١. المصدر السابق: ٣٥٠، ٣٥١.
 ١٢. المحيط في اللغة: ٣٣/٢.
 ١٣. تاج العروس: ٣٤٣/٣.
 ١٤. المحيط في اللغة: ٣٣/٢.
 ١٥. تاج اللغة وصحاح العربية: ١٧٩/٣.
 ١٦. تاج العروس: ٣٣٩/٣.
 ١٧. المعجم الوسيط: ٥٩١.
 ١٨. المحيط في اللغة: ٣٣/٢.
 ١٩. المصدر السابق: ٣٣/٢.
 ٢٠. تاج العروس: ٣٣٦/٣، ٣٣٧.
 ٢١. لسان العرب: ٥٨٦/١.
 ٢٢. تاج اللغة وصحاح العربية: ١٧٨/٣.
 ٢٣. لسان العرب: ٥٨٦/١.
 ٢٤. المعجم الوسيط: ٥٩١.
 ٢٥. لسان العرب: ٥٨٦/١.
 ٢٦. المحكم والمحيط الأعظم: ١٢٦/٢.
 ٢٧. تاج العروس: ٣٥٣/٣.
 ٢٨. المحيط في اللغة: ٣٢/٢.
 ٢٩. المصدر السابق: ٣٢/٢.
 ٣٠. تاج العروس: ٣٤٣/٣.
 ٣١. المحيط في اللغة: ٣٢/٢.
 ٣٢. تهذيب اللغة: ٣٦٧/٢.
 ٣٣. تهذيب اللغة: ٣٦٧/٢.
 ٣٤. تاج العروس: ٣٣٩/٣.
 ٣٥. تاج اللغة وصحاح العربية: ١٧٩/٣.
 ٣٦. المحيط في اللغة: ٣٣/٢.
 ٣٧. المحكم والمحيط الأعظم: ١٢٧/٢.
 ٣٨. المصدر السابق: ٣٢/٢.
 ٣٩. تاج العروس: ٣٣٧/٣، ٣٣٨.
 ٤٠. مقاييس اللغة: ٢٤٤/٤.
 ٤١. تاج العروس: ٣٣٩/٣.
 ٤٢. المحيط في اللغة: ٣٣/٢.
 ٤٣. المعجم الوسيط: ٥٩١.
 ٤٤. تاج العروس: ٣٣٨/٣.

٤٥. المصدر السابق: ٣/٣٤٣.
٤٦. المحكم والمحيط الأعظم: ١٢٨/٢.
٤٧. تاج العروس: ٣/٣٤٣.
٤٨. البُهمي: نبت له شوْكٌ. يُنظر: الاشتقاق: ٧٣.
٤٩. تاج العروس: ٣/٢٣٨، ٢٣٩.
٥٠. المصدر السابق: ٣/٣٤١، ٣٤٢.
٥١. أقرب الموارد في فُصَح العربية والشوارد: ٧٥٩/٢.
٥٢. ههنا صُنِّفَت الدراسة المصطلحات لا الدلالات، فابتدأت بذكر المصطلح ثم أعقبته بذكر الدلالة خلافاً لما سبق؛ لأنَّ الدلالات هنا اصطلاحية (دلالة مفهوم/تعريف) قد تكون سطرًا أو سطرين، فيصعب حينئذٍ تصنيفها وترتيبها على وفق النظام السابق، بخلاف المصطلحات التي تكون ألفاظًا مفردةً يسهل تصنيفها وترتيبها هجائيًا.
٥٣. اللباب في علل البناء والإعراب: ١/٥٢.
٥٤. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ١/٣٩.
٥٥. تكملة المعاجم العربية: ٧/١٦٨.
٥٦. المعجم الوسيط: ٥٩.
٥٧. تاج اللغة وصحاح العربية: ٣/١٧٩.
٥٨. المعجم الوسيط: ٥٩١.
٥٩. المصباح المنير: ١٧٩.
٦٠. ينظر: كتاب الموسيقى الشرقية: ٢٨-٣٠.
٦١. هذا التعريف بنصّه من وضع الباحث، لكنّه مستنبط من كلام المؤلف، ينظر: المصدر السابق: ٣٠.
٦٢. ينظر: كتاب الموسيقى الشرقية: ٣٠.
٦٣. معجم الموسيقى: ٥٤.
٦٤. المصدر السابق: ١٠٨.
٦٥. مدخلٌ إلى الموسيقى: ٢٦.
٦٦. موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تاريخ الولوج: ٢٠١٧/٧/٢١، س: ١٠ صباحًا.
٦٧. معجم القانون: ١١٣.
٦٨. المعجم الوسيط: ٥٩١.
٦٩. معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية: ٢٥٢.
٧٠. معجم مصطلحات عصر العولمة: ٣٢٠، ومعجم مصطلحات حقوق الإنسان: ٣٣٠.
٧١. ههنا أيضًا صُنِّفنا الأعلام ورتبناها ترتيبًا هجائيًا ولم نصنّف الدلالات؛ لسببين: الأوّل: أنّ هذه الأعلام كلّها بمختلف أنواعها تجمعها دلالة واحدة هي دلالة العلميّة، وقد أشرنا إلى ذلك في المتن، والثاني: أنّ ما أورده كتب التراث العربي عن هذه الأعلام من دلالاتٍ هو من قبيل التراجم والتعريفات الاصطلاحية التي يصعب تصنيفها وترتيبها هجائيًا؛ لأنّها ليست ألفاظًا مفردةً.
٧٢. حاشية الصبّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ١/١٥٩.
٧٣. معجم البلدان: ٤/٩٢.
٧٤. البيت منسوبٌ لمساعدة بن جويّة، يُنظر: معجم ما استعجم: ٣/٩٩٢، ولسان العرب: ١/٦٣٧.
٧٥. معجم البلدان: ٤/٩٢.
٧٦. المصدر السابق: ٤/١٩٠.
٧٧. قاموس الجغرافية القديمة: ٥٧.
٧٨. المصدر السابق: ٦.
٧٩. معجم البلدان: ٤/٩٦.
٨٠. تاج العروس: ٣/٣٤٩.
٨١. تاج العروس: ٣٠/٢٢٢.
٨٢. معجم البلدان: ٤/٩٦.
٨٣. تكملة المعاجم العربيّة: ٧/١٦٧.
٨٤. الروض المعطار في خبر الأقطار: ٤١٠.
٨٥. الموسوعة الجغرافية للوطن العربي: ٣٧٣.
٨٦. معجم البلدان: ٤/٩٦.
٨٧. الخَزَل والدَّال: ١/٢٨٢.
٨٨. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ١/٣٤٢.
٨٩. معجم البلدان: ٤/٩٦.
٩٠. المصدر السابق: ٤/٩٦.
٩١. الخَزَل والدَّال: ١٤٢.
٩٢. معجم البلدان: ٤/٩٦.
٩٣. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: ٩٢٩/٣.

٩٤. تاج العروس: ٣/٣٥٤.
٩٥. إكمال الأعلام بتثليث الكلام: ٢/٤١٧.
٩٦. صفة جزيرة العرب: ٢٣١-٢٣٥.
٩٧. مختلف القبائل ومؤلفها: ٨٦.
٩٨. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ٢/٧٧٠.
٩٩. المصدر السابق: ٢/٧٧٠.
١٠٠. المصدر السابق: ٢/٧٧٠.
١٠١. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ٢/٧٧٠.
١٠٢. موسوعة القبائل العربية، بحوث ميدانية وتاريخية: ٣٧٣/٢.
١٠٣. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ٢/٧٧٠.
١٠٤. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: ٣٦٠.
١٠٥. القصد والأئم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم: ١٢٠.
١٠٦. جامع أنساب قبائل العرب: ١٧٠.
١٠٧. الأعلام: ٤/٢٢٢.
١٠٨. الإكمال في رفع الارتياح عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى: ٦/١٩٧.
١٠٩. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ١٢/٢٩٤.
١١٠. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم: ٦/١١٦.
١١١. معجم الأطباء، ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة: ٢٩٠.
١١٢. الأعلام: ٧/٥٩.
١١٣. الكامل في التاريخ: ١/٥٢.
١١٤. معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي: ٢١٨.
١١٥. القصد والأئم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم: ١٢.
١١٦. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٣٠٥.
١١٧. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم: ٦/١٣٥.
١١٨. المؤلف والمختلف: ٤/١٧٦٧.
١١٩. الأعلام: ٤/٢٢٧.
١٢٠. المصدر السابق: ٤/٢٢٧.
١٢١. المصدر السابق: ٨/١٩٢.
١٢٢. تاج العروس: ٣/٣٥٦.
١٢٣. معجم الحيوان عند العامة: ٢/٦١١.
١٢٤. تاج العروس: ٣/٣٥٤.
١٢٥. تاج اللغة وصحاح العربية: ٣/١٧٩.
١٢٦. تاج العروس: ٣/٣٥٠.
١٢٧. آثار البلاد وأخبار العباد: ٤٦١، ٤٦٢.
١٢٨. تكملة المعاجم العربية: ٧/١٦٧.
١٢٩. المصدر السابق: ٧/١٦٧.
١٣٠. المحكم والمحيط الأعظم: ٢/١٢٩.
١٣١. تاج العروس: ٣/٣٥٤.
١٣٢. المعجم الوسيط: ٤٥٠.
١٣٣. هي على النحو الآتي: التوبة/٩٠، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٢٠، الأحزاب/٢٠، الفتح/١١، ١٦، الحجرات/١٤.
١٣٤. التحرير والتنوير: ١٠/٢٩٣.
١٣٥. هي على النحو الآتي: النحل/١٠٣، الشعراء/١٩٥، فصلت/٤٤، يوسف/٢، الرعد/٣٧، طه/١١٣، الزمر/٢٨، فصلت/٣، الشورى/٧، الزخرف/٣، الأحقاف/١٢.
١٣٦. الجامع لأحكام القرآن: ١٧/٢١١.
١٣٧. صحيح البخاري: ٣/١٣٤١.
١٣٨. حاشية السند على صحيح البخاري: ٢/١١٨.
١٣٩. صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، الحديث رقم (٤٥٥٩): ٢/٨٣٧.
١٤٠. المستدرك على الصحيحين: ٤/٦٠٩.
١٤١. سنن ابن ماجه: ١/٦٠٢.
١٤٢. صحيح مسلم: ١/٢١١.
١٤٣. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٦/١٨٥.
١٤٤. كشف المشكل من أحاديث الصحيحين: ١/١١٦٨.
١٤٥. مسند الإمام أحمد: ١٦/٤٤٦.

١٤٦. تاج العروس: ٣/٣٥٤.
١٤٧. السلسلة الصحيحة: ٥/٢٩٣.
١٤٨. جامع الأصول في أحاديث الرسول: ٥١٧/٧.
١٤٩. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٢٠٣/١٤.
١٥٠. المستدرک على الصحيحين: ٣٠٢/٢.
١٥١. مختارات من النقوش اليمنية القديمة: ٣٨٨.
١٥٢. قواعد النقوش العربية الجنوبية: ١٠٧.
- 153- Biella, J, P: 383.
- 154- Biella, J, P: 383.
١٥٥. المعجم السبئي: ١٩.
١٥٦. يُنظر: نقوش مسندية وتعليقات: ١٠٢.
١٥٧. يُنظر: المصدر السابق: ١٠٢.
١٥٨. المعجم السبئي: ١٩.
- 159- Biella, J, P: 383.
١٦٠. مختارات من النقوش اليمنية القديمة: ٢٩٣.
١٦١. المعجم اليمني في اللغة والتراث: ٦١٣.
١٦٢. المعجم السبئي: ١٩.
١٦٣. معجم الألفاظ المعمارية: ١٣٦.
١٦٤. المصدر السابق: ١٣٦.
١٦٥. المصدر السابق: ١٣٧.
١٦٦. يُنظر: كتاب الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير: ٣٤/٨، الهامش رقم (١٢).
١٦٧. معجم الألفاظ المعمارية: ١٣٧.
١٦٨. معجم الألفاظ المعمارية: ١٣٧.
١٦٩. كتاب الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير: ٣٤/٨.
١٧٠. معجم الألفاظ المعمارية: ١٣٦.
١٧١. المصدر السابق: ١٣٦.
- 172- Biella, J, P: 383.
١٧٣. المعجم السبئي: ١٨.
١٧٤. المصدر السابق: ١٩.
١٧٥. المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة: ٣٤.
١٧٦. المصدر السابق: ٣٤.
- 177- Biella, J, P: 381.
١٧٨. المعجم السبئي: ١٨.
١٧٩. المصدر السابق: ١٨.
- 180- Biella, J, P: 382.
١٨١. يُنظر: نقوش مسندية وتعليقات: ١٠٤.
١٨٢. نقوش مسندية وتعليقات: ١٠٧.
- 183- Biella, J, P: 382.
- 184- Biella, J, P: 382.
١٨٥. يُنظر: نقوش مسندية وتعليقات: ٢٠١، ٢٠٢.
١٨٦. المعجم اليمني في اللغة والتراث: ٦١٣.
١٨٧. المعجم السبئي: ١٨.
١٨٨. المصدر السابق: ١٩.
- 189- Biella, J, P: 381.
١٩٠. مختارات من النقوش اليمنية القديمة: ٤٤٢.
١٩١. معجم الألفاظ المعمارية: ١٣٦.
١٩٢. المعجم السبئي: ١٩.
١٩٣. مختارات من النقوش اليمنية القديمة: ١٩٣.
١٩٤. المحكم والمحيط الأعظم: ٤٠١/٢.
١٩٥. للاستزادة من هذا الموضوع يُنظر: المعجم اليمني في اللغة والتراث: ٦١٣ وما بعدها.
١٩٦. المعجم اليمني في اللغة والتراث: ٦١٤.
١٩٧. العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية: ١٣/٢.
١٩٨. أسماء النباتات في اليمن: ٧٦.
١٩٩. يُنظر: التطور اللغوي: ٥٧ وما بعدها.
٢٠٠. للاستزادة من هذا الموضوع، يُنظر على سبيل المثال: المعجم اليمني في اللغة والتراث: ٦١٥.
- 201- Leslau, W, P: 172.
- 202- Leslau, W, P: 172.
٢٠٣. هذه الفتحة لا وجود لها في العربية على حدّ تعبير (موسكاتي)، يُنظر: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن: ٩٤.
- 204- Leslau, W, P: 171.
- 205- Leslau, W, P: 171.
- 206- Leslau, W, P: 171.
- 207- Leslau, W, P: 172.

٢٤٠. يُنظر: موقع (ويكيبيديا الموسوعة الحرة)، تاريخ
الولوج ١٣/٦/٢٠١٧م، س. ١٠ صباحًا.
٢٤١. يُنظر: موقع (ويكيبيديا الموسوعة الحرة)، تاريخ
الولوج ١٣/٦/٢٠١٧م، س. ١٠ صباحًا.
٢٤٢. يُنظر: موقع (ويكيبيديا الموسوعة الحرة)، تاريخ
الولوج ١٣/٦/٢٠١٧م، س. ١٠ صباحًا.
٢٤٣. أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد:
٧٥٩/٢.
٢٤٤. اللُّباب: ٦٧٦/٢.
- 245- Costaz, p:263.
- 246- لسان العرب: 9/82.
- 247- Costaz, p:263.
- 248- Costaz, p:263.
- 249- ALI, p:230.
- 250- Costaz, p:263.
- 251- Costaz, p:263.
- 252- Costaz, p:263.
- 253- ALI, p:230.
٢٥٤. المعجم الوسيط: ٦٧٦.
- 255- ALI, p:229.
- 256- ALI, p:230.
- 257- Costaz, p:263.
- 258- Costaz, p:263.
- 259- Costaz, p:263.
- 260- ALI, p:230.
- 261- Costaz, p:263.
- 262- ALI, p:230.
٢٦٣. المعجم النبطي، دراسة تحليلية مقارنة للمفردات
ولألفاظ النبطية: ٢٠٢.
٢٦٤. يُنظر: اللغة الكنعانية، دراسة صوتية صرفية
دلالية مقارنة في ضوء اللغات السامية: ٤٤٠.
٢٦٥. يُنظر: اللغة الكنعانية، دراسة صوتية صرفية
دلالية مقارنة في ضوء اللغات السامية: ١٢٧.
٢٦٦. اللغة الأوجاريتية على وفق إحدى النظريات لغة
كنعانية، يُنظر: علم اللغة العربية، مدخل تاريخي
مقارن في ضوء التراث واللغات السامية: ١٥٧،

- 208- Leslau, W, P; 172.
- 209- Leslau, W, P; 172.
- 210- Leslau, W, P; 172.
- 211- Leslau, W, P; 172.
- 212- Leslau, W, P; 172.
- 213- Leslau, W, P; 172.
- 214- Leslau, W, P; 172.
٢١٥. يُنظر: المعجم الحديث (عبري - عربي): ٣٥٧.
٢١٦. يُنظر: المصدر السابق: ٣٥٧.
٢١٧. يُنظر في هذه الصيغ جميعًا وغيرها: المصدر
السابق: ٣٥٦، ٣٥٧.
٢١٨. يُنظر: المصدر السابق: ٣٥٧.
٢١٩. يُنظر: المصدر السابق: ٣٥٧.
٢٢٠. يُنظر: المصدر السابق: ٣٥٧.
٢٢١. يُنظر: المصدر السابق: ٣٥٧.
٢٢٢. يُنظر: المعجم الحديث (عبري - عربي): ٣٥٧.
٢٢٣. يُنظر: المصدر السابق: ٣٥٧.
٢٢٤. يُنظر: المصدر السابق: ٣٥٦.
٢٢٥. يُنظر: المصدر السابق: ٣٥٧.
٢٢٦. يُنظر: المصدر السابق: ٣٥٦، ٣٥٧.
٢٢٧. يُنظر: المصدر السابق: ٣٥٧.
٢٢٨. يُنظر: المصدر السابق: ٣٥٧.
٢٢٩. يُنظر: المعجم الحديث (عبري - عربي): ٣٥٧.
٢٣٠. يُنظر: المصدر السابق: ٣٥٧.
٢٣١. قاموس الأفعال العبرية (عبري-عربي) مع مسرد
بالأفعال العربية: ٤٨.
- 232- Costaz, p:263.
- 233- ALI, p:230.
- 234- Costaz, p:263.
- 235- ALI, p:230.
٢٣٦. يُنظر: المحكم والمحيط الأعظم: ١٧٠/٣.
- 237- Costaz, p:263.
- 238- Costaz, p:263.
- 239- Costaz, p:263.

- ٥- الأعلام: خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م.
- ٦- أقرب الموارد في فُصح العربية والشوارد: سعيد الخوري الشرتوني، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم، إيران، ١٤٠٣هـ.
- ٧- إكمال الأعلام بتبليث الكلام: محمد بن عبد الله بن مالك الجياني (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤هـ.
- ٨- الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى: علي بن هبة الله بن مأكولا (ت ٤٧٥هـ أو ٤٧٩هـ أو ٤٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١: ١٤١١هـ.
- ٩- أوجاريتيات، دراسات في تاريخ أوجاريت وديانتها وأدبها: تأليف وتعليق: منال حمدان، مهدي الزعبي، زياد الشerman، محمد سمير عيابة، إشراف وتحرير: عمر الغول، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، إربد، ١٩٩٧م.
- ١٠- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.
- ١١- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة محققين، مطبعة حكومة الكويت، ط ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٢- تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ١٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٤- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.
- واللغة الكنعانية، دراسة صوتية صرفية دلالية مقارنة في ضوء اللغات السامية: ٢٥.
٢٦٧. أوجاريتيات، دراسات في تاريخ أوجاريت وديانتها وأدبها: ١٥٣.
٢٦٨. كتاب (العين): ٢٦٦/٥.
٢٦٩. العقد الفريد: ٤٧٧/٢.
٢٧٠. اللسان الأكادي: ١٥٠.
٢٧١. المحكم والمحيط الأعظم: ٥٠٦/٥.
٢٧٢. مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن: ٤٨، ٤٩.
٢٧٣. قاموس اللغة الأكديّة - العربية: ١١.
٢٧٤. مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن: ٧٤.
٢٧٥. فقه اللغات السامية: ٢١.
٢٧٦. اللسان الأكادي: ١٥٠.
٢٧٧. اللسان الأكادي: ١٥٠.
٢٧٨. قاموس اللغة الأكديّة - العربية: ١٣٧، ١٣٨.
٢٧٩. كتاب (العين): ٤١٠/٤.
٢٨٠. تاج العروس: ٤٨١/٣.
٢٨١. يُنظر: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن: ٧٣، وفقه اللغات السامية: ٤٨، ٤٩.
٢٨٢. اللسان الأكادي: ١٥٠.

المصادر والمراجع

(المكتبة العربية)

- ١- الاشتقاق: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٢- آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٦٨٢هـ)، بيروت، لبنان، بدون تاريخ وبدون طبعة.
- ٣- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٩٩٩م)، المكتبة الإسلامية، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٤- أسماء النباتات في اليمن: محمد عبد الله حسن الجدسي، مجلة الإكليل، العدد ٢٣، ١٩٩٥م.

دار البشائر، حلب، سوريا، وبيروت، لبنان، ١٤١٦هـ.

٢٦- الروض المعطار في خبر الأقطار: محمد بن عبد المنعم الحميري (ت ٩٠٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٤م.

٢٧- السلسلة الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٢٨- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق محمد فواد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ وبدون طبعة.

٢٩- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير واليامة، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٣٠- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٩٩٩م)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣١- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، اعتنى به: أبو قتيبة نظر محمد الفارياي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣٢- صفة جزيرة العرب: الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت ٣٣٤هـ)، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، ط ١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٣٣- العقد الفريد: ابن عبد ربّه (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، القاهرة، مصر، ١٩٥٣م.

٣٤- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية: علي بن الحسن الخزرجي (ت ٨١٢هـ)، تصحيح وتنقيح: محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال بالفضالة، مصر، ١٣٢٩هـ-١٩١١م.

٣٥- علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات السامية: محمود فهمي حجازي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣م.

٣٦- فقه اللغات السامية: كارل بروكلمان، ترجمة:

١٥- التطور اللغوي مظهره وعمله وقوانينه: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٦- تكملة المعاجم العربية: رينهارت دوزي، نقله إلى العربية وعلّق عليه: محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، ١٩٨٠م.

١٧- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرّي (ت ٣٧٠هـ)، دار القومية العربية للطباعة، القاهرة، مصر، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

١٨- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم: شمس الدين محمد بن عبد الله القيسي (ت ٨٤٢هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٩٣م.

١٩- جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرئوط، مطبعة الملاح، دمشق، سوريا، ط ١، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

٢٠- جامع أنساب قبائل العرب: سلطان طريخم المذهن السرخاني (أغفل الناشر بيانات الكتاب).

٢١- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٢٢- حاشية السندّي على صحيح البخاري: محمد بن عبد الهادي السندّي (ت ١١٣٨هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٢٣- حاشية الصبّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: محمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٤- الخزل والدال بين الدور والدارات والدائرة: ياقوت الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: يحيى زكريا عبّارة ومحمد أديب جمران، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ١٩٩٨م.

٢٥- خلاصة تذهيب تذهيب الكمال في أسماء الرجال: صفّي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي اليميني (ت ٩٢٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة،

- الرحمن ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين اليوّاب، دار الوطن، الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ٤٧- اللّباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء محبّ الدين العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٥م.
- ٤٨- اللّباب (وهو كتاب في اللغة الأراميّة السّريانيّة الكلدانيّة): القسّ جبرائيل القرداحي (ت ١٣٠٤هـ)، المطبعة الكاثوليكيّة للأباء اليسوعيّين، بيروت، لبنان، ١٨٩١م.
- ٤٩- اللسان الأكادي، موجز في تاريخ اللغة الأكاديّة وقواعدها: عيد مرعي، منشورات الهيئة العامّة السوريّة للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ٢٠١٢م.
- ٥٠- لسان العرب: محمد بن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ وبدون طبعة.
- ٥١- اللغة الكنعانية، دراسة صوتيّة صرفيّة دلاليّة مقارنة في ضوء اللغات الساميّة: يحيى عبابنة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ٥٢- المؤتلف والمختلف: الدار قطني (ت ٣٨٥هـ)، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٥٣- المحيط في اللغة: الصاحب إسماعيل بن عبّاد (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ٥٤- المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.
- ٥٥- مختارات من النقوش اليمنيّة القديمة: محمد عبد القادر بافقيه، الفريد بيستون، كريستيان رويان، محمود الغول، مطبعة المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، تونس، ١٩٨٥م.
- ٥٦- المختصر في علم اللغة العربيّة الجنوبيّة القديمة: اغناطيوس غويدي (ت ١٣٥٤هـ)، مطبعة السناطور يوحنا بردي، منشورات كلّية الآداب بالجامعة
- رمضان عبد التّوّاب، مطبوعات جامعة الرياض، ١٩٦٢م.
- ٣٧- قاموس الأفعال العبريّة (عبري-عربي) مع مسرد بالأفعال العربيّة: م ضباعي [الاسم هكذا]، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٧٥م.
- ٣٨- قاموس الجغرافية القديمة بالعربي والفرنساوي: أحمد زكي بك (ت ١٣٥٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميريّة، القاهرة، مصر، ط١، ١٣١٧هـ-١٨٩٩م.
- ٣٩- قاموس اللغة الأكديّة - العربيّة: علي ياسين الجبوري، دار الكتب الوطنيّة، هيئة أبي ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، الإمارات العربيّة المتّحدة، ٢٠٠٨م.
- ٤٠- القصد والألم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن أوّل من تكلم بالعربيّة من الأمم: أبو عمرو يوسف بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، الناشر: مكتبة القدسي، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، ١٣٥٠هـ.
- ٤١- قواعد النقوش العربيّة الجنوبيّة (كتابات المسند): ألفرد بيستون، ترجمة: رفعت هُزيم، مؤسسة حمادة للخدمات الجامعيّة، إربد، الأردن، ١٩٩٥م.
- ٤٢- الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٤٣- كتاب الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير: الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت ٣٣٤هـ)، تحرير وتعليق: نبيه أمين فارس، دار الكلمة، صنعاء، اليمن - دار العودة، بيروت، لبنان، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- ٤٤- كتاب (العين): الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، مصر، بدون تاريخ وبدون طبعة.
- ٤٥- كتاب الموسيقى الشرقيّة: الموسيقار محمد كامل الخلعي (ت ١٣٥٧هـ)، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط٢، ٢٠٠٠م.
- ٤٦- كشف المشكل من أحاديث الصحيحين: عبد

الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٦٨- المعجم الحديث (عبري - عربي): ربحي كمال، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٩٢م.

٦٩- معجم الحيوان عند العامة: محمد بن ناصر العبودي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٧٠- المعجم السبني (بالإنجليزية والفرنسية والعربية): بيستون وآخرون، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.

٧١- معجم القانون: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٧٢- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٨، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٧٣- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ)، تحقيق: مصطفى السقاء، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٠٣هـ. ٧٤- معجم مصطلحات حقوق الإنسان: إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي وزكريا القاضي، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦م.

٧٥- معجم مصطلحات عصر العولمة (مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وإعلامية): إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، المنوفية، مصر، ٢٠٠٣م.

٧٦- معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية: عبد العلي المسئول، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط ١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٧٧- معجم الموسيقى: مجمع اللغة العربية (لجنة ألفاظ الحضارة)، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مركز الحاسب الآلي، القاهرة، مصر، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٧٨- المعجم النبطي، دراسة تحليلية مقارنة للمفردات ولألفاظ النبطية: سليمان بن عبد الرحمن الذيب، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

المصرية، القاهرة، مصر، ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م.

٥٧- مختلف القبائل ومؤلفها: أبو جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، مطبعة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة، مصر، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٥٨- مدخل إلى الموسيقى: أوتو كاروبي، ترجمة: ثائر صالح، دار نون للنشر، عمان الأردن، ط ١، ٢٠١٥م.

٩٧- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن: سباتينو موسكاتي وآخرون، ترجمة: مهدي المخزومي وعبد الجبار المطليبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٦٠- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٠م.

٦١- المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ ن ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٦٢- مسند الإمام أحمد: أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٦٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧هـ)، تحقيق: خضر الجواد، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

٦٤- معجم الأطباء، ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة: أحمد عيسى بك (ت ١٣٦٥هـ)، مطبعة فتح الله إلياس نوري، القاهرة، مصر، ط ١، ١٣٦١هـ-١٩٤٢م.

٦٥- معجم الألفاظ المعمارية في نقوش المسند: فهمي علي الأغبري، إصدارات وزارة الثقافة بالجمهورية اليمنية، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٦٦- معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي: فؤاد صالح السيد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٠م.

٦٧- معجم البلدان: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله

- ٧٩- المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ٨٠- المعجم اليمني في اللغة والتراث، حول مفردات خاصة من اللهجات اليمنية: مطهر علي الإيراني، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ٨١- مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس ابن زكريا (ت٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ٨٢- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- ٨٣- الموسوعة الجغرافية للوطن العربي: كمال موريس شربل، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- ٨٤- موسوعة القبائل العربية، بحوث ميدانية وتاريخية: محمد سليمان الطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ٨٥- موقع (ويكيبيديا الموسوعة الحرة) على الشبكة العنكبوتية.
- ٨٦- نقوش مسندية وتعليقات: مطهر علي الإيراني (ت١٤٣٧ هـ)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، اليمن، ط٢، ١٩٩٠م.
- ٨٧- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: أبو العباس أحمد القلقشندي (ت٨٢١ هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

(المكتبة الأجنبية)

- 1-ALI, I, B. THE Syriac-Arabic Glosses, edited by Richard J. H. Gottheil , Roma , 1908.
- 2-Biella, J. Dictionary of Old South Arabic – Sabaeen Dialect. U.S.A, Scholars press, 1982.
- 3-Costazm, L. Dictionarie Syrique – Francais, Syriac-English Dictionary, Beirut: Imprimerie Catholique, 1963.
- 4-Leslau, W. Concise Dictionary of Ge'ez-Classical Ethiopic, Otto Harrassowitz, Wiesbaden, 1989.



شعر أبي الشَّبل البرُّجمي

(نحو سنة ٥٠هـ)

جمع وتحقيق

د. إبراهيم بن سعد الحقيـل

جامعة الملك سعود - السعودية

مقدمة

تقدم المجاميع الشعرية للباحثين والنقاد في الأدب العربي القديم مادة تكون معترك نظراتهم النقدية، ودراساتهم التطبيقية؛ لذا فإن تلك المجاميع شريكة في تلك الأعمال النقدية، إذ كانت مصدرًا من مصادر الباحث. ويعد العصر العباسي الأول من أهم عصور الأدب العربي؛ ذلك أن حركة التغيير كانت كبيرة في مسارات الأدب، ومن شعراء ذلك العصر أبو الشبل البرجمي، الذي كان في صلب حركة التغيير التي طرأت على الشعر العباسي، من خلال طرقه للثرء الساخر^(١)، الذي بقي لنا مما قاله قصيدتان وقطعة واحدة، رثى فيها جاره المتطرب، وقنديله المكسور، وملزمة ورقه المسروق؛ وهو ماتتبه له أحد الباحثين^(٢)، فساق قصيدتين من قصائده أنموذجًا للثرء الساخر. إن ما وصل إلينا من شعره في هذا المسلك ينم عن تجاوبه مع ذلك التطور الذي دب في أوصال الشعر، ففتح أبوابًا جديدة وطرائق مستحدثة، كان من روادها.

الخلفاء ونال جوائزهم، كما كان ناقدًا^(٤) وراويًا؛ يدل على هذا عدة روايات، نجد نماذج منها في المصادر المتقدمة^(٥). فهو قمن بأن يُعرّف به، ويُجمع شعره، وهذا ما يهدف إليه هذا البحث، متبعا في هذا الجمع المنهج الآتي:

١- جمع ما تفرق من شعر أبي الشبل من المصادر التراثية، معتمدا في ذلك على المصادر الأصلية.

إن هذا الشاعر غُفِّل عنه؛ فلم يجمع شعره، رغم أن مابقي منه جدير بالجمع؛ لما فيه من إضافة لمجاميع الشعر العباسي؛ سواء التي وصلت إلينا، أو تلك التي تم جمعها حديثًا من المصادر التراثية؛ كما أن شعره يعطينا صورة لشعراء الطبقة المتوسطة من الشعراء الذين أخلهم حضور أبي تمام الطائي ثم تلميذه البحتري^(٣). لكن أبا الشبل لم يكن في عصره مغمورًا خاملًا بل كان شاعرًا مجيدًا، مدح

شعر أبي
الشَّبل
البرُّجمي
(نحو سنة
٥٠هـ)
جمع
وتحقيق

٢- جاء المجموع في قسمين: ما صحت نسبته له، وما نسب له ولغيره.

٣- ترقيم كل قصيدة أو قطعة أو نتفة أو بيت يتيم رقمًا تسلسليًا في قسمي المجموع.

٤- قُدمت رواية المصدر الأقدم الذي نسب الشعر لأبي الشبل، فهو الأقرب من زمن الشاعر، مالم يلحقها تحريف أو تصحيف ظاهر، مع ذكر اختلاف الروايات الأخرى.

٥- ألحق بكل شعر ورد خلاف في نسبته لغير أبي الشبل - ولو وهما - ترجيح، من خلال النص والمصادر الوارد فيها الشعر، موضحًا صحة نسبته لأبي الشبل من عَدَمِهِ.

٦- ضُبط الشعر بالشكل. وشرح ما غمض من ألفاظ الشعر، وتم التعريف ببعض الأعلام الوارد ذكرهم.

حياته:

اسمه ونسبه:

تُجمع جميع المصادر التي تناولت اسمه على أنه أبو الشبل، بل صرح بهذا في شعره قائلًا^(٦):

فَأَعْرَضَنَ وَقَدْ كُنَّ

إِذَا قِيلَ أَبُو الشَّبْلِ

أما اسمه فجاء في المصادر على اختلاف، فهو في بعضها عُصْم^(٧)، وجاء في مصادر أخرى عاصم^(٨)، وسماء الزجاجي^(٩) بالتصغير «عُصَيْم»، أما ابن الشجري^(١٠) فسماه عُصْمَة، ولعله اختلط عليه اسمه باسم جده؛ أما صلاح الدين الصفدي فقد كان مضطربًا في أمره، فترجم له أولاً باسم ضمضم^(١١)، ولم يكن

هذا تصحيفًا أو تحريفًا، فقد جاء في موضعه من حيث ترتيب الترجمة الهجائي، وتبعه ابن شاعر الكندي^(١٢)، وعاد الصفدي^(١٣) مرة أخرى فترجم له باسم عُصْم مرة أخرى. والراجح أن اسمه عُصْم بن وهب، يؤكد هذا قول أبي عون أحمد ابن أبي النجم^(١٤):

لَيْسَ عَلَى خُبْزِ امْرِئٍ ضَيْعَةٌ

أَكِيلُهُ عُصْمُ^(١٥) أَبُو شَبْلِ

إذا فهو: عُصْم بن وهب بن أبي إبراهيم عُصْمَة الْبُرْجُمِيِّ التَّمِيمِي^(١٦). وقد تأتي كنيته بدون ال التعريف "أبوشبل"^(١٧) كما في البيت السابق، وهو بكنيته أشهر وأسير ذكرًا. وقد وصفه بعضهم بالأعرابي^(١٨)؛ وهو وهم قادم إليه نسبته لقبيلة عربية. فشاعرنا عربي ولكنه ليس أعرابيًا.

وأبو الشبل عربي صليبة، فهو ينتمي إلى فخذ الْبَرَاجم من قبيلة تميم. والبراجم: عمرو، والظَّاليم، وقيس، وكُلْفَة وغالب، أبناء حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم؛ تحالفوا دون إخوتهم، وقالوا: لنكن مثل بَرَاجم^(١٩) اليد؛ فسموا بِالْبَرَاجم^(٢٠). وللبراجم شهرة وغناء في الجاهلية والإسلام؛ وكان منهم عدة شعراء، لعل أقدمهم عبدقيس بن خفاف، من شعراء الجاهلية، وضابي ابن الحارث شاعر مخضرم، والمغيرة بن حَبْنَاء، شاعر أموي، ومثله أبوخزابة وغيرهم.

مولده:

ولد أبو الشبل في الكوفة^(٢١)، ولم نجد من ذكر تاريخ مولده؛ ويمكن للباحث استظهار تاريخ تقريبي لمولده، من خلال بعض أخباره.

فقد ورد في أخباره أنه أدرك أبا نواس، ورافقه في خُرْجَة خراجها معًا إلى دير قريب من بغداد^(٢٢). وأبو نواس توفي على خلاف بين عامي ١٩٥-١٩٨ هـ^(٢٣) ويظهر أن أبا الشبل قد أصبح من رفقاءه بعد أن تجاوز العشرين فإذا كان أبو نواس توفي عام ١٩٨ هـ ولقيه أبو الشبل قبل وفاته بخمس سنين فيكون مولد أبي الشبل ما بين عامي ١٦٠-١٧٠ هـ، ويؤكد هذا أنه كان من خلصاء محمود الوراق، وكانا يتطرحان في الأديرة ومواضع اللهو^(٢٤)، ومحمود الوراق كان في شبابه من أصحاب اللهو، ثم نسك بعد ذلك، ومولده على وجه التقريب كان في عام ١٥٠ هـ^(٢٥)، وهذا يؤكد مذكرناه من أن مولد أبي الشبل كان بين عامي ١٦٠-١٦٥ هـ.

حياته

التفاصيل عن حياة أبي الشبل قليلة، ولا تمكن الأخبار التي ذكرت الباحث من الإلمام بتفاصيلها، وإنما تمنحنا إشارات تضيء بعض ملامح حياة شاعرنا. وعندما نسبر مراحل حياة أبي الشبل نجدها تنقسم إلى أربع فترات زمنية:

الفترة الأولى: الكوفية

وهي مرحلة من حياته كانت قصيرة؛ فقد ولد بها، وعاش فيها شطرًا من طفولته، ولهذا ينسب إلى الكوفة^(٢٦)، فقد كانت مسقط رأسه، ومكان إقامة أسرته، ولكنه لم يلبث بها إلا يسيرًا فقد خرج أهله منها قاصدين البصرة.

الفترة الثانية: البصرية

قدمها أهله وهو صغير السن^(٢٧)، ولعل أباه كان هو المنتقل، فقد نقل المرزباني خبرًا يدل

على أن أباه لقي يونس بن حبيب^(٢٨)، لقاء العارف، وأنشده شعرًا لم يرق ليونس.

شبَّ أبو الشبل في البصرة وتأدب فيها^(٢٩)، ولقي أهل العلم بها ولذا نجد كثيرًا من مرويَّاته بصرية: عن بشار بن برد، ومحمد بن يسير الرياشي، والحسين بن الضحاك، وعبدالصمد بن المعذل^(٣٠). وفي البصرة بدأ يعاني قرض الشعر، الذي كانت بدايته معه غير موفقة؛ حيث عرض أول أشعاره على أبي عثمان المازني الذي أغضبه الشعر، وكان رديئًا ولا شك^(٣١).

وكان أبوه من أهل الأدب والشعر؛ فقد كان يجالس الأدباء والرواة، ويروي عنهم، فقد كان يجالس يونس بن حبيب وأبا محمد التيمي^(٣٢). شبَّ أبو الشبل محبًا للأدب ومجالسه، فاختلط بعلماء البصرة ورواتها، وقد ظهر أثر هذا في مسيرته الأدبية، فقلَّ عنه آراء نقدية، وروايات شعرية. وكان يغشى مجالس كبار أهل البصرة كالأمير قثم بن جعفر بن سليمان^(٣٣). وفيه كان يلتقي بشعراء البصرة كمحمد بن يسير الرياشي. وكان أثناء إقامته بالبصرة ينتجع أمراء النواحي، فممن ورد ذكرهم مالك بن طوق وكان قد ولي الأهواز، ولم أجد ما يعين على تحديد تاريخ هذه القدمة؛ لأن المصادر لم تذكر ولاية مالك للأهواز. ولكن بحكم قربها من البصرة فيعتقد أن ذلك كان وأبو الشبل في البصرة. ولعل أبا الشبل أقام جل شبابه في البصرة، فقد قدمها وهو صغير السن حتى خرج منها إلى بغداد.

الفترة الثالثة: البغدادية:

قدم أبو الشبل بغداد، وأول خبر يواجها له في بغداد خروجه مع أبي نواس إلى دير من الأديرة،

ولعل ذلك كان أواخر حياة أبي نواس قريباً من سنة ١٩٥ هـ. وبهذا نستطيع أن نحدد قدومه لبغداد أنه قبل سنة ١٩٧ هـ. ثم اختص بمحمود الوراق^(٣٤) الشاعر البغدادي، فكان ملازماً له، يتطرحان في الحانات والأديرة^(٣٥)، وأظن ذلك كان قبل المئتين من الهجرة، فقد استقام محمود الوراق على طريقة حسنة وترك ما كان يصنعه من اللهو والعبث. وفي هذه الفترة من حياته اتصل بالمأمون ومدحه، ولم يصل إلينا شيء من هذا المدح، وكان في أثناء ذلك منشغلاً بالتطرح في الحانات والأديرة؛ وأفل عهد المأمون وجاء المعتصم فلم نسمع له بخبر معه، لكنه اتصل بوزير الفضل بن مروان^(٣٦) الذي لم يرض الشاعرُ عنه فهجاه. وكان في عهد المعتصم يعتاد جوارى النخاسين، ومن تلك الجوارى جارتان شاعرتان، لقيهما بعد فتح عمورية على يد المعتصم^(٣٧).

ويظهر أن الشاعر لم يقيم في سامراء التي أصبحت دار الخلافة، في عهد المعتصم وابنه الواثق، يدل على هذا أنه عندما قدمها في عهد المتوكل نزل على حاتم بن الفرّج^(٣٨) فلم يكن له منزل يأوي إليه، بل كان يتردد عليها؛ لأنه فيما يظهر لم يحصل على القبول في قصر الخليفة ووزيره.

الفترة الرابعة: السامرائية

لا نعلم على اليقين متى أقام أبو الشبل في سامراء، لكن المؤكد أنه قديمها مراراً قبل خلافة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧ هـ)، وأقام فيها بعد تولي المتوكل الخلافة، كما نص على هذا أبو الفرّج^(٣٩). وكان المتوكل مؤثراً للهو والدعابة والعبث؛

فاجتمع عنده جمع من أهل اللهو والعبث^(٤٠)، كان منهم أبو الشبل، الذي كان ولا شك سينفق عند المتوكل، لكثرة نواتره ومضحكاته. قال أبو الفرّج^(٤١): " فنفق عند المتوكل بإيثاره العبث؛ وخدمه، وخص به فأثرى وأفاد. " وقد أكرمه المتوكل غاية الإكرام، فعندما مدحه بقصيدته التي مطلعها:

أَقْبَلِيْ فَالْخَيْرُ مُقْبِلٌ

وَأَتْرُكِيْ قَوْلَ الْمُعَلِّلِ

راقت للمتوكل، فأمر بأن تُعدَّ أبياتها، ويُعطى عن كل بيت ألف درهم، وكانت ثلاثين بيتاً، فخرج منه أبو الشبل بثلاثين ألف درهم^(٤٢). واختص أبو الشبل بوزير المتوكل عبيدالله بن خاقان، فكان يمدحه ويغشى مجالسه، وكان الوزير محسناً إليه^(٤٣). وكان على اتصال تجارية المتوكل فضل، يغشى مجالسها، ويميل إليها، حتى أنه أعانها على هجاء خنساء^(٤٤) جارية هشام المكفوف. ولذا كانت حياته في سامراء في دعة وسكون، قضاهما بين الخليفة ووزيره، والجواري الشواعر. ويظهر أنه عاش جل خلافة المتوكل في سامراء.

وفاته:

حدد ابن شاکر^(٤٥) وفاة أبي الشبل في سنة ٢٣٥ هـ وهو وهم منه، وذلك لعدة أمور:

الأول: أن أبا الشبل أدرك وزارة عبيدالله بن يحيى بن خاقان، وقد كانت بداية اتصاله بالمتوكل في عام ٢٣٦ هـ كاتباً له ثم ولاه الوزارة بعد ذلك^(٤٦). وكان اتصال أبي الشبل بعبيدالله بعد تقلده الوزارة^(٤٧)، مما يقطع بأنه أدرك سنة ٢٣٦ هـ يقيناً.

الثاني: أن أبا الشبل طال عمره حتى امتنع عليه قول الشعر^(٤٨)، ونجده في عهد المتوكل شاعرًا مجيدًا، ولاهياً عابثًا، يمدح الخليفة، ويحضر مجالس الوزير، ويقصد الجواري يطارحن الشعر ويُعين بعضهنَّ على هجاء بعض^(٤٩)، ومن يكن شيخاً هرمًا أهتمَّ مُفحماً عن قول الشعر يعسرُّ عليه مدح الخلفاء، ومجالسة الوزراء، والدخول على الجواري؛ يمنعه من ذلك كبر السن، وتطول العمر، والإفحام عن الشعر، ويصعب عليه العبث واللهو.

الثالث: أنه انفراد من ابن شاعر الكتبي، وكثير من انفرادات ابن شاعر الكتبي لا يُعْتَدُّ بها، وقد وقع منه عدة أوهام في هذه الانفرادات^(٥٠).

ونخلص إذاً بأن ما ذكره ابن شاعر مجانبا للصواب، وأصوب منه أن أبا الشبل مات بعد المتوكل بسنوات؛ ذلك أن خلافة المتوكل لم تكن بالغة الطول، فقد كانت مدتها أربع عشرة سنة^(٥١)، قضاها أبو الشبل وهو قد شارف الستين، ثم جاوزها إلى السبعين، وبعد ذهاب المتوكل خبا صوته، وذهب أثره، فقد تكون وفاته بُعيد خلافة المتوكل مابين سنتي ٢٥٥-٢٦٠هـ؛ حيث قارب المئة؛ لأنه ولد كما ذكرنا بين عامي ١٦٠-١٧٠هـ، وقول المرزباني بأنه عُمُرُ عمرًا طويلاً يشي بأنه جاوز التسعين. أما مكان وفاته فلم نجد ما يمكن الاستئناس به.

أسرته:

لم تصل إلينا أخبار عن أسرته، فنحن نعرف والده، ونجهل ما بعد ذلك: أمه وإخوته، كما لا نجد ما يميظ اللثام عن أسرته الصغيرة، من زوجة وولد، سوى خبر مضطرب بين مصدرين

من أن له ولداً كان مولعاً بجواري الجيران، يتصيدهن ومن ثم يحبلن منه^(٥٢)، وفي مصدر آخر^(٥٣) بأنه ابن أحد معارفه. ولعل الصواب ما ذكره ابن المعتز، من أنه ليس ابنه، فهو أقرب عهداً له من أبي الفرج، كما أنه ساقها بسند متصل. وقد يكون أبو الشبل مستغنياً عن الزوجة بتلك الجواري السود ممن أولع بهن، نعرف منهن اثنتين: سكر وتبر.^(٥٤)

أخلاقه وخلقه

تحدث مترجموه عن بعض أخلاقه، ولعل أشهرها قدرته على صناعة النواذر المضحكة. قال^(٥٥) محمد بن المرزبان: " وكان إذا حضر أضحك التُّكلى بنواذره. " وجمع مع هذه القدرة مجوناً وتهتكاً، فقال الشابشتي^(٥٦): " وكان طباً^(٥٧) نادراً، كثير الغزل ماجناً. " فهو حاذق ماهر بطرائق المرح، حاضر النكتة، كثير الدعابة. وقد ترافق هذا مع مجون ظهر في محبته للخمر وتولعه بها. قال الشابشتي^(٥٨): " وكان منعكفاً على الشرب لا يفارقه ولا يوجد إلا سكران. وكان يتطرح في الديارات والحانات ومواطن اللهو، لا يرغبها ولا يتأخر عنها. " كما ظهر في شعره الهزلي ميله للهلز وفي هجائه ميل للإسفاف والتصريح بمواطن العورات".

وقد نستشف من قصة له تعجله وقلة ترويه؛ فقد مدح مالك بن طوق بقصيدة عجيبة وأمل بها ألف درهم، فأعطاه مائة دينار في صرة، فلم يفتحها وردها مع بيتين هجا فيهما مالكا، فلما سأله مالك قال: إني مدحتك بقصيدة أملت فيها ألف درهم فوصلتني بمائة. فقال مالك: افتح الصرة. ففتحها، فإذا فيها مائة دينار. فاستحيا،

وقال، أفلني أيها الأمير، قال: قد أفلتك^(٥٩).

وكان أبو الشبل في علاقته مع النساء يميل للشود من الجواري، حتى قيل فيه^(٦٠): " وكان مستهتراً بهن. " وقد جاء في أخباره أنه كان لديه جاريتان هما تبر وسكر، وكانت سكر شديدة السواد حتى قال فيها:

أَنَا فِي دَعْوَةِ سُكَّرٍ

وَالْهَوَى لَيْسَ بِمُنْكَرٍ

كَيْفَ صَبْرِي عَنْ غَزَالٍ

وَجْهُهُ دَلُّوْ مُقَيَّرٍ

ولما كان ميله هذا فيه غرابة عما ألف قال محتجاً:

مُشَبَّهَاتِ الشَّبَابِ وَالْمِسْكِ تَفْدِي

كُنْ نَفْسِي مِنْ نَائِبَاتِ الْخُطُوبِ

كَيْفَ يَهْوَى الْفَتَى الْأَدِيبُ وَصَالَ الدِّ

بِيضِ وَالْبِيضُ مُشَبَّهَاتُ الْمَشِيبِ

ديوانه

لم يصل إلينا ديوان شعره، ولم نجد له ذكراً في قوائم النديم في الفهرست أو غيره، فهل كان شعره غير مجموع؟ إن تلك القوائم التي أوردها النديم وغيره لم تشمل كل المجاميع والدواوين الشعرية، فقد يكون ديوانه مما ندّ عن النديم، وقد يكون شعر أبي الشبل لم يستهو جامعي الشعر، لما فيه من السخف والعبث والمجون، إضافة إلى أنه لم يكن الغاية في هذه الفنون كأبي نواس أو ابن الحجاج وغيرهما، فلم يعبأ به أحد. وهذا احتمال آخر.

وعندما يستظهر الباحث أخبار أبي الشبل

الواردة في كتاب الأغاني نجد كثيراً منها تدور روايتها على محمد بن القاسم ابن مَهْرَوَيْهِ^(٦١)، فعدد الأخبار التي ساقها أبو الفرج في ترجمته لأبي الشبل ثلاثة وعشرون خبراً، منها أربعة عشر خبراً من رواية ابن مَهْرَوَيْهِ^(٦٢)، أما المرويات عن أبي الشبل في أخبار وأشعار غيره من طريق ابن مَهْرَوَيْهِ فقد نقل منها أبو الفرج ثلاثة عشر خبراً^(٦٣)، كلها من طريق ابن مَهْرَوَيْهِ، مما يوحي بأن ابن مَهْرَوَيْهِ عني بأخبار أبي الشبل وأشعاره ومروياته؛ وبخاصة وأن ابن مَهْرَوَيْهِ كان مؤلفاً، نقل عن مؤلف له المرزبان^(٦٤)، لكنه لم يذكر اسمه. فقلعه جمع أخباراً وأشعاراً، لكن لم يصل إلينا شيء يمكننا من القطع بذلك.

إن ما وصل إلينا من شعر أبي الشبل نزر يسير، لشاعر عاش عمراً طويلاً، واتصل بالخلفاء والأمراء والرواة؛ فأين شعره الذي مدح به المأمون؟ وأين شعره في المتوكل الذي اختص به؟ لقد طوته يد النسيان فلم يبق من كل ذلك إلا أربعة أبيات من قصيدة تقع في ثلاثين بيتاً. إن في تلك النقول ما يشي بشعر كثير ضاع له. قال التنوخي^(٦٥): "من قصيدة له. " ثم أورد منها بيتين.

توثيق شعره

إن جل أشعار أبي الشبل التي وصلت إلينا رُويت في المصادر الأصيلة، وساقها المصنفون بأسانيدهم إليه، أو إلى رواة معاصرين له؛ لعل على رأسهم: محمد بن القاسم بن مَهْرَوَيْهِ؛ الذي روى بعض شعره مشافهة عنه؛ ومثله أبوهريرة النحوي^(٦٦)، ومثلهما علي بن الحسن الشيباني^(٦٧)،

وكلهم معاصر له، يروون عنه شعره وأخباره؛ فمجموع ما رُوي من شعره من فيهِ: مئة وسبعة وعشرون بيتاً؛ أي ما يَكُونُ نحوًا من ٦٧٪ من شعره، وهذا مما يزيد الثقة في ما أثبت في هذا المجموع من شعر أبي الشبل. وقد هيئ لشعر أبي الشبل أن يُثبت في المؤلفات المتقدمة، وعند استعراض تلك المصادر التي ورد فيها شعره نجدها على النحو الآتي:

القرن الثالث: أول من أورد له شعرًا هو معاصره أبو تمام (ت ٢٣٢هـ) حين أورد بيتين له، وذكر نسبتهما له مقاسمة مع شاعرين آخرين. ثم يطالعنا ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) وهو أول من ترجم له، فساق في هذه الترجمة بيتين، كان أول من أوردهما، وعنه نقلهما أبو الفرج في الأغاني بسنده إلى ابن المعتز. كما أورد ابن الجراح (ت ٢٩٦هـ) في كتابه الورقة بيتين هو أول من أوردهما له، رواهما عن شيخه أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ)، ونقلهما عنه من جاء بعده.

القرن الرابع: يطالعنا أبو بكر الصولي (ت ٣٣٥هـ) الذي أورد له ستة أبيات، انفرد ببيتين، نقل عنه أبو الفرج بإسناد إليه أربعة أبيات. تلاه أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، الذي حفظ الجزء الأكبر من أشعار أبي الشبل؛ وجل هذه الأشعار نقلها بأسانيد متصلة إلى الشاعر نفسه؛ وقد اعتمد ابن حمدون والنويري عليه فيما يظهر لي، دون أن يصرحا بذلك كما سيرد. ومجموع ما أورده أبو الفرج في الأغاني من شعر أبي الشبل مئة وأربعة أبيات. تلاه السري الرفاء (تقريبًا ٣٦٦هـ) حيث أورد له بيتين نقلهما عن سبقه. أما المرزباني (ت ٣٨٤هـ) فأورد له ستة أبيات، هو أول من أوردها، ونقلها عنه من أتى

بعده. وانفرد التنوخي (ت ٣٨٤هـ) في كتابه الفرج بعد الشدة ببيتين، ونقل بيتين آخرين عن أبي الفرج الأصفهاني، في كتابه الآخر نشوار المحاضرة. ثم يأتي في آخر هذا القرن الشابشتي (ت ٣٩٠هـ) فيورد ثمانية عشر بيتًا، نقل سبعة منها عن قبله، وانفرد بأحد عشر بيتًا، نقل ثمانية منها ياقوت بعد ذلك.

القرن الخامس: لم نجد في هذا القرن غير أبي سعد العميدي (ت ٤٣٣هـ)، الذي أورد بيتين لأبي الشبل، انفرد بهما.

القرن السادس: يطالعنا في مطلع الرأغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) في محاضراته، التي أورد فيها بيتين، هو أول من أوردهما لأبي الشبل، ولم يردا في مصدر آخر. تلاه ابن السِّدِّ البطليموسي (ت ٥٢١هـ) الذي ساق له ستة أبيات منفردًا بها؛ وتلاهما الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) الذي ساق له ستة أبيات سبق ورودها في مصادر متقدمة. أما ابن حمدون (ت ٥٦٢هـ) فقد ساق لأبي الشبل سبعة وأربعين بيتًا، لم ينفرد منها بشيء، وإنما سبقه الأصفهاني فأوردها بتمامها، أما ابن حمدون فقد انتقى من قصيدتيه الطويلتين، ولم يوردهما كاملتين كما أوردهما الأصفهاني.

القرن السابع: أورد ياقوت (ت ٦٢٦هـ) له في معجم الأدباء خمسة أبيات، هو أول من أوردها له، وساق بيتين في كتابه "الخلل والذل"، والبيتان وردا في مصدر سابق، هو الديارات للشابشتي؛ فيكون مجموع ما أورده ياقوت سبعة أبيات. تلاه ابن النجار (ت ٦٤٣هـ) الذي ترجم لأبي الشبل وساق أربعة أبيات سبق إليها. أما

الصغاني (ت ٦٥٠هـ) فأورد له أربعة أبيات استدرك نسبتها على الجوهري وساقها بتمامها.

القرن الثامن: لم يكن في هذا القرن أي إضافة لشعر أبي الشبل فقد أورد ابن منظور (ت ٧١١هـ) أربعة أبيات، لعله اتكأ في إيرادها على الصغاني؛ تلاه النويري (ت ٧٣٣هـ) الذي ساق من شعره ثلاثة عشر بيتاً، يظهر لي أنه اتكأ فيها على الأصفهاني؛ أما صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ) فترجم له ترجمتين كان مجموع ما أورده فيهما من الشعر أربعة عشر بيتاً، كلها سبق أن وردت في مصادر متقدمة.

القرن الحادي عشر: لم نجد غير الشهاب الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ) الذي أورد له أربعة أبيات وردت في مصادر متقدمة.

إن هذا العرض التوثيقي يبين لنا أن كثيراً من شعر أبي الشبل ورد في المصادر الأصيلة المتقدمة. فالقرن الرابع هو أثرى القرون في تدوين شعر أبي الشبل، فقد ورد في مصنفاته مئة وواحد وثلاثون بيتاً، كانت مصدراً لكثير من المؤلفين فيما بعد. يتلوه القرن السادس الذي ورد فيه واحد وستون بيتاً، منها ثمانية أبيات كانت ترد لأول مرة. أما القرن السابع فورد في مصنفاته خمسة عشر بيتاً، منها خمسة أبيات وردت لأول مرة.

شعره

ما صحت نسبته له

(١)

وقال في جاريته تبر التي كان مغرمًا بها: (المنسرح)

١- لَمْ تُنْصِفِي يَا سَمِيَّةَ الذَّهَبِ

تَتَلَفُ نَفْسِي وَأَنْتِ فِي لَعِبِ

٢- يَا بِنْتَ عَمِّ الْمِسْكِ الذَّكِيِّ وَمَنْ

لَوْلَاكَ لَمْ يُجْتَبْ وَلَمْ يَطْبِ

٣- نَاسَبَكَ الْمِسْكُ فِي السَّوَادِ وَفِي الطَّيْرِ

بِ فَأَكْرَمَ بِذَلِكَ مِنْ نَسَبِ

التخريج

الديارات ١-٣، ص ٩٤

(٢)

قال في الجواري السود وكان مُسْتَهْتَرًا بهن: (الخفيف)

١- مُشْبِهَاتِ الشَّبَابِ وَالْمِسْكِ تَقْدِي

حُنَّ نَفْسِي مِنْ نَائِبَاتِ الْخُطُوبِ

٢- كَيْفَ يَهْوَى الْفَتَى الْأَدِيبُ وَصَالَ

الْبَيْضَ وَالْبَيْضُ مُشْبِهَاتُ الْمَشِيبِ

التخريج

معجم الشعراء ١-٢، ص ١٥٩، ربيع الأبرار ٢-١، ٣: ٧٤٥

(٣)

رأى أبو الشبل إبراهيم بن العباس الصُولِي يكتب فأنشأ يقول: (البسيط)

١- يُنْظَمُ اللَّوْلُو الْمُنْثَوْرَ مَنْطِقَهُ

وَيَنْظَمُ الدُّرَّ بِالْأَقْلَامِ فِي الْكُتُبِ

التخريج

أدب الكتاب ص ٨٩، الأغاني ١٤: ١٩٨، الوافي بالوفيات ٢٠: ٢٠٢. وصحف أبو إلى ابن في أدب الكتاب.

(٤)

في الأغاني: هذا هبة.

٦- نهات: نهاق

وَشَغِفَ رَجُلٌ بَصِيًّا فَأَهْدَى إِلَيْهِ كَلْبًا، فَقَالَ أَبُو

الشبل: (السريع)

(٦)

وكان مولعًا بجارية سوداء له فقال مُجِيبًا من

لامه: (المنسرح)

١- وَمَا رَأَتْ عَيْنِي وَلَا قِيلَ لِي

إِنَّ فَتَى مُسْتَهْتَرًا صَبًّا

٢- لَمَّا دَنَا مِنْ وَصَلِ أَحْبَابِهِ

أَهْدَى إِلَى أَحْبَابِهِ كَلْبًا

التخريب

التحف والهدايا ١-٢، ص ٢٣٧، محاضرات

الأدباء ١-٢، ٢: ١١٥

(٥)

كانت له حاجة إلى هبة الله بن إبراهيم^(٦٨)، فلم

يقضها فقال يهجو: (الرمل)

١- صَلَفٌ تَنْدُقُ مِنْهُ الرَّقْبَةُ

وَمَخَازٍ لَمْ تُطِقْهَا الْكَتَبَةُ

٢- كُلَّمَا بَادَرَهُ بَذْرٌ بِمَا

يَشْتَهِيهِ مِنْهُ نَادَى يَا أَبَاهُ

٣- لَيْتَهُ كَانَ التَّوَى الْفَرْجُ بِهِ

لَمْ يَزِدْ فِي هَاشِمٍ هَذَا الْهَبَةُ

التخريب

أشعار أولاد الخلفاء ١-٣، ص ٥٢، الأغاني

٣-١، ١٤: ١٩٨

١- في الأغاني: ومساوٍ لم.... الصلف: قلة الخير.

٢- بدر : غلام لهبة الله وكان غالبًا على أمره،

ويظهر من مناداته له بأنه كان يتعهده مذ كان

صغيرًا.

٣- في أشعار أولاد الخلفاء: الفرح، وهو تحريف.

(٧)

قال أبو الشبل: حضرت مجلس عبيدالله بن

يحيى بن خاقان، وكان إليّ محسنًا وعليّ مفضلًا.

شعر أبي
الشبل
البرجمي
(نحو سنة
٢٥٠هـ)
جمع
وتحقيق

التخريب

الأغاني ١-٥، ١٤: ٢٠٢، الديارات ١-٥،

ص ٩٢

١- الدعج: سعة العين مع شدة سوادها.

٢- السيج: معدن شديد السواد، تصنع منه

المرايا وأميال الاكتحال. (٦٩)

٣- في الديارات: تطير أوبارها.

٥- في الديارات: ولست بالببيض.

فجرى ذكر البرامكة، فوصفهم الناس بالجود، وقالوا في كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثرُوا.

فقمت في وسط المجلس فقلت لعبيدالله: أيها الوزير، إني قد حكمت في هذا الخطب حكماً، نظمته في بيتي شعر، لا يقدر أحد أن يردّه عليّ، وإنما جعلته شعراً ليدور ويبقى. وقال: (الطويل)

١- رَأَيْتُ عُبيدَ اللَّهِ أَفْضَلَ سُودَدًا

وَأَكْرَمَ مَنْ فَضَّلَ وَيَحْيَى بْنَ خَالِدٍ

٢- أَوْلَنِكَ جَادُوا وَالزَّمَانُ مُسَاعِدٌ

وَقَدْ جَادَ ذَا وَالدَّهْرُ غَيْرُ مُسَاعِدٍ

التخريج

الأغاني ٢-١، ١٤: ١٩٨، نشوار المحاضرة

١-٢، ٢: ١٨-١٩، الوافي بالوفيات ١-٢، ١٩:

٤١٨

١- لأبي الفرج روائتان للشطر الأول نقلها

عنه التتوخي، والراوية الثانية: رأيت عبيدالله أُندي أناملاً.

(٨)

وقال من قصيدة: (الخفيف)

١- مَنْ ذَا رَأَيْتَ الزَّمَانَ أَيْسَرَهُ

فَلَمْ يَشِبْ يُسْرَهُ بِتَغْسِيرِ

٢- أَمْ هَلْ تَرَى عُسْرَةً عَلَى أَحَدٍ

دَامَتْ فَلَمْ تَنْكَشِفْ بِتَيْسِيرِ

التخريج

الفرج بعد الشدة ١-٢، ٥: ٥٧

(٩)

وقال يذم المطر وكان قد قطع خنساء جارية

هشام المكفوف عن زيارتها له وقد وعدته بها (البسيط)

١- دَعِ الْمَوَاعِيدَ لَا تَعْرِضْ لَوِجْهَتِهَا

إِنَّ الْمَوَاعِيدَ مَقْرُونٌ بِهَا الْمَطَرُ

٢- إِنَّ الْمَوَاعِيدَ وَالْأَعْيَادَ قَدْ مُنِيتْ

مِنْهُ بِأَنْكَدِ مَا يُمْنَى بِهِ بَشَرُ

٣- أَمَّا الثِّيَابُ فَلَا يَغْرُرُكَ إِنْ غَسِلْتَ

صَحْوٌ شَدِيدٌ وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرُ

٤- وَفِي الشُّخُوصِ لَهُ نَوَّءٌ وَبَارِقَةٌ

وإِنْ تَبَيَّتْ فَذَاكَ الْفَالِجُ الذَّكْرُ

٥- وَإِنْ هَمَمْتَ بِأَنْ تَدْعُو مُغْنِيَةً

فَالْغَيْثُ لَا شَكَّ مَقْرُونٌ بِهِ السَّحَرُ

التخريج

الأغاني ١-٥، ١٤: ٢٠٣، مسالك الأبصار

١-٥، ١٠: ٤٩٠

٢- في المسالك: والأحباب قد

٣- في المسالك: أما الثياب

٥- في المسالك: تلقاك زائرة

(١٠)

وقال: (مجزوء الكامل)

١- لَوْلَا جَلَالَةُ هِمَّتِي

لَقَنِعْتُ بِالرُّتَبِ الْحَقِيرَةِ

٢- وَالْجِسْمُ يَتَعَبُ دَائِمًا

فِي خِدْمَةِ النَّفْسِ الْكَبِيرَةِ

التخريج

الإبانة عن سرقات المتنبي ١-٢، ص ١٦٦.

١٠- مِسْرَجَتِي لَوْ فُدِيتِ مَا بَخُلْتُ

عَنْكَ يَدُ الْجُودِ بِالدَّنَائِيرِ

١١- لَيْسَ لَنَا فِيكَ مَا نُقَدِّرُهُ

لَكِنَّمَا الْأَمْرُ بِالْمَقَادِيرِ

١٢- مِسْرَجَتِي كَمْ كَشَفْتِ مِنْ ظُلْمٍ

جَلَيْتِ ظُلُمَاءَهَا بِتَنْوِيرِ

١٣- وَكَمْ غَزَالٍ عَلَى يَدَيْكَ نَجَا

مِنْ دَقِّ خُصْيَيْنِهِ بِالطَّوَامِيرِ

١٤- مَنْ لِي إِذَا مَا النَّدِيمُ دَبَّ إِلَى النَّدَى

ذَمَّانٍ فِي ظُلْمَةِ الدِّيَاجِيرِ

١٥- وَقَامَ هَذَا يَبُوسَ ذَاكَ وَذَا

يُغْنِقُ هَذَا بَغَيْرَ تَقْدِيرِ

١٦- وَازْدَوَجَ الْقَوْمُ فِي الظَّلَامِ فَمَا

تَسْمَعُ إِلَّا الرِّشَاءَ فِي الْبِيرِ

١٧- فَمَا يُصَلُّونَ عِنْدَ خُلُوتِهِمْ

إِلَّا صَلَاةَ بَغَيْرِ تَطْهِيرِ

١٨- أَوْحَشَتِ الدَّارُ مِنْ ضِيَانِكَ وَالْ

بَنِيْتُ إِلَى مَطْبَخٍ وَتَنْوِيرِ

١٩- إِلَى الرُّوَاقِينَ فَالْمَجَالِسِ فَالْمِرْبَدِ

مُنْذُ غَبَّتْ غَيْرَ مَعْمُورِ

٢٠- قَلْبِي حَزِينٌ عَلَيْكَ إِذْ بَخُلْتُ

عَلَيْكَ بِالْمَدْمَعِ عَيْنُ تَنْمِيرِ

٢١- إِنْ كَانَ أَوْدَى بِكَ الزَّمَانُ فَقَدْ

أَبْقَيْتَ مِنْكَ الْحَدِيثَ فِي الدُّورِ

٢٢- دَعُ ذِكْرَهَا وَاهْجُ قَرْنَ نَاطِحِهَا

وَاسْرُدْ أَحَادِيثَهُ بِتَفْسِيرِ

اشترى أبو الشبل كبشاً ليذبحه في عيد الأضحى، فجعل يُعَلِّفُهُ وَيُسَمِّنُهُ، فأفلت يوماً على قنديل له كان يُسْرِجُهُ بين يديه، وعلى سراج وقارورة للزيت فنطحها فكسرها، وانصب الزيت على ثيابه وكتبه وفراشه. فلما عاين ذلك ذبح الكبش قبل العيد، وقال يرثي سراج: (المنسرح)

١- يَا عَيْنُ بَكِّي لِفَقْدِ مَسْرَجَةٍ

كَانَتْ عَمُودَ الضِّيَاءِ وَالنُّورِ

٢- كَانَتْ إِذَا مَا الظَّلَامُ أَلْبَسَنِي

مِنْ حِنْدَسِ اللَّيْلِ ثَوْبَ دِيْجُورِ

٣- شَقَّتْ بَنِيرَانَهَا غَيَاطِلُهُ

شَقَّادَعَا اللَّيْلِ بِالدِّيَاجِيرِ

٤- صَيْنِيَّةُ الصَّيْنِ حِينَ أَبَدَعَهَا

مُصَوِّرُ الْحُسْنِ بِالتَّصَاوِيرِ

٥- وَقَبْلَ ذَا بِدَعَا أُتِيحَ لَهَا

مِنْ قَبْلِ الدَّهْرِ قَرْنُ يَغْفُورِ

٦- وَصَكَّهَا صَكَّةً فَمَا لَبِثَتْ

أَنْ وَرَدَتْ عَسْكَرَ الْمَكَاسِيرِ

٧- وَإِنْ تَوَلَّتْ فَقَدْ لَهَا تَرَكَتْ

ذِكْرًا سَيَبْقَى عَلَى الْأَعَاصِيرِ

٨- مَنْ ذَا رَأَيْتَ الزَّمَانَ يُوسِرُهُ

فَلَمْ يَشِبْ يُسِرُهُ بِتَغْسِيرِ

٩- وَمَنْ أَبَاحَ الزَّمَانُ صَفْوَتَهُ

فَلَمْ يَشِبْ صَفْوَهُ بِتَكْدِيرِ

٢٣- كَانَ حَدِيثِي أَنِّي اشْتَرَيْتُ فَمَا أَشَدَّ

تَرَيْتُ كَبْشًا سَلِيلَ خَنْزِيرٍ

٢٤- فَلَمْ أَزَلْ بِالنَّوَى أَسْمَنُهُ

وَالْتَّبَنَ وَالْقَتَّ وَالْأَتَاجِيرِ

٢٥- أَبْرَدُ الْمَاءِ فِي الْقِلَالِ لَهُ

وَأَتَّقِي فِيهِ كُلَّ مَخْذُورٍ

٢٦- تَخْدِمُهُ طُولُ كُلِّ لَيْلَتِهَا

خِدْمَةَ عَبْدٍ بِالذُّلِّ مَأْسُورٍ

٢٧- وَهِيَ مِنَ التَّيِّهِ مَا تَكْلُمْنِي الـ

فَصِيحٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ تَفْكِيرٍ

٢٨- شَمْسٌ كَانَ الظَّلَامَ أَلْبَسَهَا

ثَوْبًا مِنَ الزَّفْتِ أَوْ مِنَ الْقَيْرِ

٢٩- مِنْ جِلْدِهَا خُفُّهَا وَبُرْقُفُهَا

حَوْرَاءُ فِي غَيْرِ خِلْقَةِ الْحُورِ

٣٠- فَلَمْ يَزَلْ يَغْتَدِي السُّرُورَ وَمَا الـ

مَخْزُونُ فِي عَيْشَةٍ كَمَسْرُورٍ

٣١- حَتَّى عَدَا طَوْرَهُ وَحُقَّ لِمَنْ

يَكْفُرُ نِعْمَى بِقُرْبِ تَغْيِيرِ

٣٢- فَمَدَّ قَرْنِيهِ نَحْوَ مِسْرَجَةٍ

تَعْدُ فِي صَوْنِ كُلِّ مَذْخُورِ

٣٣- شَدَّ عَلَيْهَا بَقْرَنَ ذِي حَنْقٍ

مَعُودٍ لِلنَّطَاحِ مَشْهُورِ

٣٤- وَلَيْسَ يَقْوَى بِرُوقِهِ جَبَلٌ

صَلَدٌ مِنَ الشَّمَخِ الْمَذَاكِيرِ

٣٥- فَكَيْفَ تَقْوَى عَلَيْهِ مِسْرَجَةٌ

أَرَقُّ مِنْ جَوْهَرِ الْقَوَارِيرِ

٣٦- تَكَسَّرَتْ كَسْرَةً لَهَا أَلَمٌ

وَمَا صَحِيحُ الْهَوَى كَمَكْسُورِ

٣٧- فَأَذْرَكَتُهُ شَعُوبٌ فَاثْشَعَبَتْ

بِالرَّوْعِ وَالشَّلْوِ غَيْرُ مَقْتُورِ

٣٨- أُدِيلَ مِنْهُ فَأَذْرَكَتُهُ يَدٌ

مِنَ الْمَنَايَا بِحَدِّ مَطْرُورِ

٣٩- يَلْتَهَبُ الْمَوْتُ فِي ظُبَاهُ كَمَا

تَلْتَهَبُ النَّارُ فِي الْمَسَاعِيرِ

٤٠- وَمَزَقَّتُهُ الْمُدَى فَمَا تَرَكَتْ

كَفَّ الْقِرَامِ مِنْهُ غَيْرَ تَعْسِيرِ

٤١- وَاغْتَالَهُ بَعْدَ كَسْرِهَا قَدَرٌ

صَيَّرَهُ نُهْزَةَ السَّنَانِيرِ

٤٢- فَمَزَقَّتْ لَحْمَهُ بِرَائِثِنِهَا

وَبَذَرَتْهُ أَشَدَّ تَبْذِيرِ

٤٣- وَاخْتَلَسَتْهُ الْحِدَاءُ خَلْسًا مَعَ الـ

غَرَبَانٍ لَمْ تَزْدَجِرْ لِتَكْبِيرِ

٤٤- وَصَارَ حَظُّ الْكِلَابِ أَعْظَمُهُ

تَهْشِمُ أَنْحَاءَهَا بِتَكْسِيرِ

٤٥- كَمْ كَاسِرٍ نَحْوَهُ وَكَاسِرَةٍ

سِلَاحُهَا فِي شِفَا الْمَنَاقِيرِ

٤٦- وَخَامِعٍ نَحْوَهُ وَخَامِعَةٍ

سِلَاحُهَا فِي شَبَا الْأَظْفِيرِ

٤٧- قَدْ جَعَلَتْ حَوْلَ شِلْوِهِ عُرْسًا

بِلَا افْتِقَارٍ إِلَى مَزَامِيرِ

٤٨- وَلَا مُغْنٍ سِوَى هَمَاهِمِهَا

إِذَا تَمَطَّطَ لِوَارِدِ الْعِيرِ

٤٩- يَا كَبْشُ ذُقْ إِذْ كَسَرْتَ مِسْرَجَتِي

لِمِذْيَةِ الْمَوْتِ كَأْسَ تَنْحِيرِ

٥٠- بَغَيْتَ ظُلْمًا وَالْبَغْيُ مَصْرَعٌ مَنْ

بَغَى عَلَى أَهْلِهِ بِتَغْيِيرِ

٥١- أَضْحِيَّةٌ مَا أَظُنُّ صَاحِبَهَا

فِي قَسْمِهِ لَحْمَهَا بِمَأْجُورِ

التخريب

الأغاني ١- ٥١، ١٤: ٢٠٤-٢٠٨، التذكرة

الحمودنية ١- ٥١ و ٧-٩ و ١٢ و ١٤-١٦ و ٢١-٢٥

و ٣٠-٣٥ و ٣٨ و ٤٠-٤٥، ٤: ٢٨٩-٢٩١

(١٢)

كانت له جارية اسمها سكر، فدخل يوماً منزله، ولبس ثيابه ليَمْضِي إلى دعوة دُعي إليها، فقالت له: أقم اليوم في دعوتي أنا. فأقام. وقال (مجزوء الرمل)

١- أَنَا فِي دَعْوَةِ سُكَّرٍ

وَالْهَوَى لَيْسَ بِمُنْكَرٍ

٢- كَيْفَ صَبْرِي عَنْ غَزَالٍ

وَجْهُهُ دَلُّوْ مُقَيَّرٍ

التخريب

الأغاني ١- ٢، ١٤: ١٩٤

(١٣)

وقال: (الوافر)

١- شَهِدْتُ مَوَاطِنَ اللَّذَاتِ طُرًّا

وَجُبْتُ بِقَاعَهَا بَحْرًا وَبَرًّا

٢- فَلَمْ أَرَ مِثْلَ أَشْمُونِي مَحَلًّا

أَلَذَّ لِحَاضِرِيهِ وَلَا أَسْرًا

٣- بِهِ جَيْشَانِ مِنْ خَيْلٍ وَسُفْنِ

أَنَاخَا فِي ذُرَاهُ وَاسْتَقَرَّا

٤- كَانَهُمَا زُخُوفٌ وَغَى وَلَكِنْ

إِلَى اللَّذَاتِ مَا كَرَّا وَفَرَّا

٥- سِلَاحُهُمَا الْقَوَاقِرُ وَالْقَنَانِي

وَأَكْوَاسٌ تَدُورُ هَلُمَّ جَرَّا

٦- وَضَرْبُهُمَا الْمَثَالِثُ وَالْمَنَانِي

إِذَا مَا الضَّرْبُ فِي الْحَرْبِ اسْتَحَرَّا

٧- وَأَسْرَهُمْ ظِبَاءُ الدَّيْرِ طَوْعًا

إِذَا أَسْدُ الْحُرُوبِ أُسِرْنَ قَسْرًا

٨- فَيَالِكَ عَسْكَرٍ أَحْيَا وَسَرَى

إِذَا مَا عَسْكَرٌ أَفْنَى وَضَرَا

٩- لَقَدْ جَرَّتْ لَنَا الْهَيْجَاءُ خَيْرًا

إِذَا مَا جَرَّتْ الْهَيْجَاءُ شَرًّا

التخريب

له في: الديارات ١- ٩ و ٩٢، ص ٩١-٩٢،

والخزل والدل ١- ٢، ١: ٢٧٢، وليحيى بن كامل

٩-١ في البدور المسفرة ص ١٨.

الترجيب

القصيدة وردت في مصدرين أصيلين لأبي

الشبل وعارضهما مصدر متأخر لم يعزو هذه

النسبة لمتقدم كما أن هذا الشاعر "يحيى بن

كامل» لم أجد له ذكرًا وشعرًا، بل لم يترجم له.

فيظهر لي أن القصيدة لأبي الشبل.

٢- في الخزل والدل: ألد لزاثريه. أشموني:

اسم المرأة التي بنت هذا الدير، الذي يقع بقطر بل،

شعر أبي
الشبل
البرجومي
(نحو سنة
٢٥٠هـ)
جمع
وتحقيق

(١٥)

وقال يهجو نسيماً غلام عبيدالله بن يحيى بن خاقان، وكان عبيدالله أمر له بحاجة فلم يقضها نسيماً له: (السريع)

- ١- قُلْ لِنَسِيمٍ أَنْتَ فِي صُورَةٍ
خُلِقْتَ مِنْ كَلْبٍ وَخَنَزِيرَةٍ
- ٢- رُعِيتَ دَهْرًا بَعْدَ أَغْفَاجِهَا
فِي سَلْحٍ مَخْمُورٍ وَمَخْمُورَةٍ
- ٣- حَتَّى بَدَأَ رَأْسُكَ مِنْ صَدْعِهَا
زَانِيَةً بِالْفِسْقِ مَشْهُورَةٍ
- ٤- لَا تَقْرَبِ الْمَاءَ إِذَا أَجْنَبْتَ
وَلَا تَرَى أَنْ تَقْرَبَ النَّوْرَةَ
- ٥- تَرَى نَبَاتَ الشَّعْرِ حَوْلَ اسْتِهَا
دَرَابِزِينََا حَوْلَ مَقْصُورَةٍ

التخريب

- الأغاني ١-٥، ١٤: ٢٠٣
٢- الأعفاج من الإنسان هي الأمعاء.

(١٦)

- وقال: (مجزوء الرمل)
- ١- بِأَبِي رَيْمٍ رَمَى قَلْبُ
بِي بِالْحَاظِ مِرَاضِ
 - ٢- وَحَمَى عَيْنِي أَنْ تَلَّ
تَذْطِيبَ الْاِغْتِمَاضِ
 - ٣- كُلَّمَا رُمْتُ أَنْبِسَاطًا
كَفَّ بَسْطِي بِأَنْقِبَاضِ

وهي قرية تقع بين بغداد وعكبرا؛ وينسب الخمر إليها، وكانت منتزها لأهل البطالة والسكر. ويرى الدكتور مصطفى جواد أن قطربل هي الموضع المسمى بالتاجي. معجم البلدان ٤: ١٣٣، الديارات ص ٨٨، هامش رقم ٣.

٥- في البدور المسفرة: وأكواب تدور. القوافز: جمع قازوزة، وهي قدح يشرب فيه، وهي من الألفاظ الأعجمية المعربة. لسان العرب ٥: ٣٦٢٠.

٧- في جميع المصادر: وأسراهما ظباء. وبه يختل الوزن، ولعل ما أثبت هو الصواب.

(١٤)

وقال يهجو خنساء جارية هشام النحوي: (مخلع البسيط)

- ١- خَنَسَاءُ قَدْ أَفْرَطْتَ عَلَيْنَا
فَلَيْسَ مِنْهَا لَنَا مُجِيرُ
- ٢- تَاهَتْ بِأَشْعَارِهَا عَلَيْنَا
كَأَنَّهَا نَاكَهَا جَرِيرُ

التخريب

الأغاني ١-٢، ١٤: ٢٠٢، الديارات ١-٢، ص ٩٣، التذكرة الحمدونية ١-٢، ٥: ١٧٥، مسالك الأبصار ١-٢، ١٠: ٤٩٠.

١- في الأغاني: حسناء، وهو خطأ صوابه ما جاء في مقدمة البيتين عند أبي الفرج والمصادر الأخرى وفي طبقات الشعراء ص ٤٢٥ وكانت تهجو أبا الشبل. وفي المسالك: تزعم أن ليس

٢- في المسالك: بأشعارها وصال

٤- أَوْ تَعَالَى أَمَلِي فِيْ-

هـ رَمَاهُ بِأَنْخِفَاضِ

٥- فَمَتَى يَنْتَصِفُ الْمَظْلُومُ

وَالظَّالِمُ قَاضِي

التخريج

الأغاني ١-٤، ١٤: ١٩٢

(١٧)

وقال يرثي طبيباً من جيرانه: (الخفيف)

١- قَدْ بَكَاهُ بَوْلُ الْمَرِيضِ بِدَمْعٍ

وَإِكْفٍ فَوْقَ مُقْلَتَيْهِ ذُرُوفٍ

٢- ثُمَّ شَقَّتْ جُيُوبُهُنَّ الْقَوَارِيْ-

رُ عَلَيْهِ وَنُحْنُ نَوَحِ اللَّهِيْفِ

٣- يَا كَسَادَ الْخِيَارِ شَنْبَرِ وَالْأَقْ-

رَاصِ طُرّاً وَيَا كَسَادَ السَّفُوفِ

٤- كُنْتَ تَمْشِي مَعَ الْقَوِيِّ فَإِنْ جَا

ءَ ضَعِيْفٌ لَمْ تَكْتَرِثْ بِالضَّعِيْفِ

٥- لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صُنُوفِ رَقَاعَا

تِ تَوَلَّيْتُ مِنْهُ وَعَقْلٍ سَخِيْفِ

التخريج:

الأغاني ١-٥، ١٤: ١٢٥-١٩٥، الوافي

بالوفيات ١-٥، ٢٠: ٢٠١، التذكرة الحمدونية

١-٣، ٤: ٢٨٩، نهاية الأرب ١-٥، ٤: ٦٤

٣- خيار شنبير: ضرب من الخروب شجره

مثل كبار شجر الخوخ.

(١٨)

ومدح مالك بن طوق بقصيدة عجيبة وأمل

بها ألف درهم، فأعطاه مائة دينار في صرة، فلم

يفتحها ظناً منه أنها دراهم، فردّها مع رقعة فيها

هذان البيتان: (الطويل)

١- أَلَا لَيْتَ مَا جَادَتْ بِهِ كَفُّ مَالِكِ

وَمَالِكِ مَدْسُوسَانِ فِي اسْتِ أُمِّ مَالِكِ

٢- وَيُتْرَكُ مَدْسُوسًا إِلَى يَوْمِ حَشْرِهِ

فَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ وَأَيْسَرُ هَالِكِ

التخريج:

طبقات الشعراء ١-٢، ص ٣٨٠، الأغاني

١-٢، ١٤: ١٩٤، الوافي بالوفيات ١-٢، ٢٠:

٢٠٢

١- في الأغاني: فليت الذي

٢- في الأغاني: فكان إلى يوم القيامة في

استها فأيسر

(١٩)

وقال يمدح المتوكل: (مجزوء الرمل)

١- أَقْبَلِي فَالْخَيْرُ مُقْبِلٌ

وَأَتْرُكِي قَوْلَ الْمُعَلِّلِ

٢- وَثِقِي بِالنُّجْحِ إِذْ أَبَ-

صَرْتَ وَجْهَ الْمُتَوَكِّلِ

٣- مَلِكٌ يُنْصِفُ يَا ظَا

لِمَتِي فِيكَ وَيَعْدِلُ

٤- فَهُوَ الْغَايَةُ وَالْمَأْ

مُولُ يَرْجُوهُ الْمُؤَمِّلُ

التخريب

الأغاني ٤-١، ١٤: ١٩٣، ذيل تاريخ بغداد
٤-١، ٢: ٢٦٤، الوافي بالوفيات ٤-١، ٢٠:
٢٠١، عيون التواريخ ٤-١، ص ٢٣٧

(٢٠)

وقال: (الهج)

- ١- عَذِيرِي مِنْ جَوَارِي الْحَيِّ
- إِذْ يَرْغَبُنْ عَنْ وَضْلِي
- ٢- رَأَيْنَ الشَّيْبَ قَدْ أَلْبَ
- سَنِي أَبْهَةَ الْكَهْلِ
- ٣- فَأَعْرَضَنْ وَقَدْ كُنَّ
- إِذَا قِيلَ أَبُو الشَّوْبَلِ
- ٤- تَسَاعَيْنَ فَرَقَعْنَ الْكُؤَى
- بِالْأَعْيُلِ النَّجْلِ

التخريب

الأبيات ٤-١ في: الأغاني ١٤: ١٢٩، ربيع
الأبرار ٢: ٤٣٩، الحماسة الشجرية ٢: ٨٤٢،
الموشى ص ١٥٠، عيون التواريخ ص ٢٣٧-
٢٣٨، طراز المجالس ص ١٧٥

٤- في عيون التواريخ: تسارعن

(٢١)

وقال يعايبث خالد بن يزيد بن هبيرة^(٧٠):

(البسيط)

- ١- قَالَتْ لَهُ لَهَبٌ يَوْمًا وَجَادَلَهَا
- بِالشَّعْرِ فِي بَابِ فَعْلَانٍ وَمَفْعُولٍ
- ٢- أَمَّا الْقَمِيصُ فَقَدْ أَوْدَى الزَّمَانُ بِهِ
- فَلَيْتَ شِعْرِي مَا حَالَ السَّرَاوِيلِ

التخريب

الأغاني ٢-١، ١٤: ١٩٥، نهاية الأرب ٢-١
٤: ٦٤

(٢٢)

وقال يهجو من تُسمى بأم خالد: (المنسرح)

- ١- فِي الْحَيِّ مَنْ لَا عَدِمْتُ خُلَّتْهُ
- فَتَى إِذَا مَا قَطَعْتَهُ وَصَلَا
- ٢- لَهُ عَجُوزٌ بِالْحَبِقِ أَبْصَرَ مَنْ
- أَبْصَرْتُهُ ضَارِبًا وَمُرْتَجِلَا
- ٣- نَادَمْتُهَا مَرَّةً وَكُنْتُ فَتَى
- مَا زِلْتُ أَهْوَى وَأَشْتَهِي الْغَزَلَا
- ٤- حَتَّى إِذَا مَا أَمَالَهَا سَكَرَ
- يَبْعَثُ فِي قَلْبِهَا لَهَا مَثَلَا
- ٥- إِتَّكَاتُ يُسْرَةً وَقَدْ حَرَقَتْ
- أَشْرَاجُهَا كَي تُقَوِّمَ الرَّمْلَا
- ٦- فَلَمْ تَزَلْ بِاسْتِهَا تُطَارِحُنِي
- إِسْمَعُ إِلَى مَنْ يَسْؤُمُنِي الْعِلَلَا

التخريب

الأغاني ٦-١، ١٤: ١٩٦، نهاية الأرب ٦-١
٤: ٦٥

٢- الحبق: الضراط

- ٣- في نهاية الأرب: نادمته مرة
- ٤- في نهاية الأرب: شعث في قلبها
- ٥- في نهاية الأرب: وقد خرقت. والحرق:
- حك الشيء ببعضه.

٦- في نهاية الأرب: استنها

(٢٣)

وقال يرثي قرطاسًا سُرِقَ منه، فاتهم صاحبه
أبا لخطاب بسرقة: (الخفيف)

١- فِكْرٌ تَعْتَرِي وَحُزْنٌ طَوِيلٌ
وَسَقِيمٌ أَنْحَى عَلَيْهِ النُّحُولُ

٢- لَيْسَ يَبْكِي رَسْمًا وَلَا ظَلًّا مَ
حَّ كَمَا تَنْدُبُ الرُّبَا وَالطُّلُولُ

٣- إِنَّمَا حُزْنُهُ عَلَى ثُلُثٍ كَا
نَ لِحَاجَاتِهِ فَعَالَتْهُ غَوْلُ

٤- كَانَ لِلْسَّرِّ وَالْأَمَانَةِ وَالْكِتَابِ

حَمَانٍ إِنْ بَاحَ بِالْحَدِيثِ الرَّسُولُ
٥- كَانَ مِثْلَ الْوَكِيلِ فِي كُلِّ سُوقٍ

إِنَّ تَلَكَّا أَوْ مَلَّ يَوْمًا وَكَيْلُ
٦- كَانَ لِلْهَمِّ إِنْ تَرَكَمَ فِي الصَّدِّ

رِ فَلَمْ يُشَفِّ مِنْ عَلِيلٍ غَلِيلُ
٧- لَمْ يَكُنْ يَبْتَغِي الْحِجَابَ مِنَ الْحَجِّ

سَابٍ إِنْ قِيلَ لَيْسَ فِيهَا دُخُولُ
٨- إِنْ شَكَأَ حَاجِبًا تَشَدَّدَ فِي الْإِذِّ

نِ فَلِلْحَاجِبِ الشَّقِيَّ الْعَوِيلُ
٩- يُرْفَعُ الْخَيْرُ عَنْهُ وَالرِّزْقُ وَالْكِسْدُ

وَةٌ فَهُوَ الْمَطْرُودُ وَهُوَ الذَّلِيلُ
١٠- كَانَ يُنَى فِي جَيْبِ كُلِّ فَتَاةٍ

دُونَهَا خَنْدَقٌ وَسُورٌ طَوِيلُ
١١- يَقِفُ النَّاسُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يُدُّ

خِلُهُ الْقَصْرَ غَاةً غُطْبُولُ

١٢- فَإِذَا أَبْرَزَتْهُ بَاحٌ فِي الْقَدِّ

صُرْمِسْكَ وَعَنْبَرٌ مَعْلُولُ

١٣- وَلَهُ الْحُبُّ وَالْكَرَامَةُ مِمَّنْ

بَاتَ صَبًّا وَالشَّمُّ وَالْتَقَابِيلُ

١٤- لَيْسَ كَالْكَاتِبِ الَّذِي بِأَبِي الْخَدِّ

طَّابَ يُكْنَى قَدْ شَابَهُ التَّطْفِيلُ

١٥- ذَا كَرِيمٍ يُدْعَى وَهَذَا طُفْلِي

وَهَذَا وَذَا جَمِيعًا دَلِيلُ

١٦- ذَاكَ بِالْبَشْرِ وَالْجَمَاعَةِ يُلْقَى

وَلِهَذَا الْحِجَابُ وَالْتَنَكِيلُ

١٧- لَمْ يَفِدْ وَفْدُهُ الزَّمَانَ عَلَى الْأَلِّ

سُنِّ مِنْهُ عَطْفٌ وَلَا تَنْوِيلُ

١٨- كَانَ مَعَ ذَا عَدْلُ الشَّهَادَةِ مَقْبُولُ

لَا إِذَا عَزَّ شَاهِدًا تَعْدِيلُ

١٩- وَإِذَا مَا التَّوَى الْهَوَى بِالْأَلْفِيَّةِ

نِ فَلَمْ يَرْعَ وَاصِلًا مَوْصُولُ

٢٠- فَهُوَ الْحَاكِمُ الَّذِي قَوْلُهُ بَيِّدُ

نِ الْأَلْفَيَيْنِ جَائِزٌ مَقْبُولُ

٢١- فَلَنْ شَتَّتَ الزَّمَانُ بِهِ شَمَّ

لَ دَوَاتِي وَحَانَ مِنْهُ رَحِيلُ

٢٢- لَقَدِيمًا مَا شَتَّتَ الْبَيْنُ وَالْأَلِّ

فَقَةً مِنْ صَاحِبٍ فَصَبْرٌ جَمِيلُ

٢٣- لَا تَلْمَنِي عَلَى الْبُكَاءِ عَلَيْهِ

إِنَّ فَقْدَ الْخَلِيلِ خَطْبٌ جَلِيلُ

شعر أبي
الشبل
البرجمي
(نحو سنة
٢٥٠هـ)
جمع
وتحقيق

التخريب

الآغاني ١-٢٣: ١٤: ٢٠٩-٢١٠، التذكرة
الحمونية ١-٧ و ١١ و ١٢ و ١٨-٢٠: ٤: ٢٩٣
١٤- أبو الخطاب: من أصدقائه وجلسائه،
وكان أبو الشبل اتهمه بسرقة قرطاسه.
(٢٤)

وقال: (البسيط)

١- مَنْ مُنْصَفِي مِنْ مَعْشَرٍ عَلَّمْتُهُمْ
قَدَّ الْأَدِيمِ فَأُولِعُوا بِأَدِيمِي
٢- لَعِبْتُ قَوَافِي الشَّعْرِ فِي أَعْرَاضِهِمْ
لَعَبَ الْأَسِنَّةِ فِي قَفَا الْمَهْزُومِ

التخريب

الحماسة الشجرية ١-٢: ١: ٢٩٠-٢٩١
(٢٥)

وقال يهجو هشامًا المكفوف^(٧١)، وكانت
جاريته خنساء هجت أبا الشبل: (الخفيف)
١- نِعَمَ مَأْوَى الْعُرَابِ بَيْتَ هِشَامِ
حِينَ يَرْمِي اللَّثَامَ بَاغِي اللَّثَامِ
٢- مَنْ أَرَادَ السَّرُورَ عِنْدَ حَبِيبٍ
لِيَنَالَ السَّرُورَ تَحْتَ الظَّلَامِ
٣- فَهَشَامَ نَهَارُهُ وَدُجَى اللَّيْلِ
لِ سَوَاءٍ نَفْسِي فِدَاءَ هِشَامِ
٤- ذَاكَ حِرٌّ دَوَاتُهُ لَيْسَ تَخْلُو
أَبَدًا مِنْ تَخَرُّقِ الْأَقْلَامِ

التخريب

الآغاني ١-٤: ١٩: ٣٠٩، مسالك الأبصار

١-٤: ١٠: ٤٨٩

١- في المسالك: مسعف بالحرام أهل الحرام
٢- في المسالك: من أراد المبيت يبغي سفاخًا
وينال المراد
٣- في المسالك: فهشام يبيحه في دجى الليل
فتاة تدعى فتاة هشام

٤- في المسالك: لا تعرّى من تردد

(٢٦)

وقال مجيزًا أبياتًا قالها أحمد بن أبى سلمة^(٧٢):
(الخفيف)
١- قَمَرٌ فِي الظَّلَامِ يَسْعَى بِشَمْسٍ
وَشَحَتْ بِاللُّجَيْنِ وَالْمَرْجَانِ
٢- فِي كُؤُوسٍ تَكْسُو الْأَكْفَ إِذَا مَا
حَمَلَتْهَا غَلَائِلُ الرِّعْفَرَانِ

التخريب

أخبار الشعراء المحدثين ١-٢ ص ٢٥٤
(٢٧)

وقال يهجو الفضل بن مروان: (البسيط)
١- مَاذَا احْتَمَلْنَاهُ لِلْفُضْلِ بْنِ مَرْوَانَ
أَبَادَهُ اللَّهُ مِنْ ظُلْمٍ وَعُدْوَانٍ
٢- حَتَّى مَضَتْ ظُلْمًا أَيَّامَ دَوْلَتِهِ
لَمْ يَتَّضِحْ بِدُجَاهَا ضَوْءُ إِنْسَانٍ
٣- أَبْقَى دَلِيلًا عَلَيْهِ فِي عَمَاوَتِهِ
كَمَا اسْتَدِلَّ عَلَى أَصْلِ بَاغِصَانٍ
٤- مِثْلَانِ فِي الْعِيِّ لَمْ يُنْهَضْهُمَا أَدَبٌ
مُسْتَحْوِذَانِ عَلَى جَهْلٍ شَبِيهَانِ

٥- لَوْلَا الْإِمَامُ أَبُو اسْحَاقَ إِنَّ لَهُ

عِنَايَةً بِالْقَصِي الدَّارِ والدَّانِ

٦- لَأَصْبَحَ النَّاسُ فَوْضَى لَا نِظَامَ لَهُمْ

وَلَمْ يُدَلَّ عَلَى حَقِّ بُبْرَهَانَ

التخريب

الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ١- ٥:

٦٩-٧٠

٣- كذا في الأصل، والصواب عمايته ولعله

تحريف من النساخ.

(٢٨)

وكان يعاشر محمد بن حماد بن دلقيش^(٧٣)،

ثم تهاجرا بشيء أنكره عليه فقال أبو الشبل فيه:

(مجزوء الرمل)

١- لَابِنْ حَمَّادٍ أَيَْادٍ

عِنْدَنَا لَيْسَتْ بِدُونِ

٢- عِنْدَهُ جَارِيَةٌ تَشْ

فِي مِنَ الدَّاءِ الدَّفِينِ

٣- وَلَهَا فِي رَأْسِ مَوْلَا

هَذَا أَكَالِيلُ قُرُونِ

١- ذَاتُ صَدْعٍ حَاتِمِيَّ الـ

فِعْلٍ فِي كِنِّ مَكِينِ

٥- لَا يَرَى مَنَعَ الَّذِي يَحْ

سُوي وَلَوْ أُمُّ الْبَنِينِ

التخريب

الأغاني ١- ٥: ١٤: ٢٠٤

(٢٩)

وقال على لسان فضلٍ يهجو خنساء جارية

هشام المكفوف: (السريع)

١- خَنَسَاءُ طَيْرِي بَجَنَاحَيْنِ

أَصْبَحْتَ مَعْشُوقَةً نَذْلَيْنِ

٢- مَنْ كَانَ يَهْوَى عَاشِقًا وَاحِدًا

فَأَنْتِ تَهْوَيْنِ عَشِيقَيْنِ

١- هَذَا الْقَصِيدِي وَهَذَا الْفَتَى الـ

حَقْفَصِي قَدْ زَارَاكَ فَرْدَيْنِ

٤- نَعِمْتَ مِنْ هَذَا وَهَذَا كَمَا

يَنْعَمُ خَنْزِيرٌ بِحَشْنَيْنِ

التخريب

الأغاني ١- ٤: ١٩: ٣٠٨، مسالك الأبصار

١- ٤: ١٠: ٤٨٨

٤- في المسالك: وكنت من هذا

ما نسب له وغيره

(١)

وقال يهجو أبا عمرو الشيباني: (البسيط)

١- قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَبَا عَمْرٍو أَخَا ثَقَفَةٍ

حَتَّى أَلَمْتُ بِنَا يَوْمًا مُلِمَّاتٍ

٢- فَقُلْتُ وَالْمَرْءُ قَدْ تُخْطِئُهُ مُنِيَّتُهُ

أَذْنَى عَطِيَّتِهِ إِيَّايَ مِيَّاتٍ

٣- فَكَانَ مَا جَادَ لِي لَا جَادَ عَنْ سَعَةٍ

ثَلَاثَةٌ نَاقِصَاتٌ مُذْلِهَمَّاتٌ

٤- مَا الشَّعْرُ وَيَحْ أَبِيهِ مِنْ صِنَاعَتِهِ

لَكِنْ صِنَاعَتُهُ بُخْلٌ وَبَالَاتٌ

شعر أبي
الشبل
البرجمي
(نحو سنة
٢٥٠هـ)
جمع
وتحقيق

٥- وَدَنَّ خَلٌّ بَقْتَلٍ فَوْقَ عَاتِقِهِ

فِيهِ رُبَيْثَاءُ مَخْلُوطٌ وَصَحْنَاءُ

٦- فَلَوْ رَأَيْتَ أَبَا عَمْرٍو وَمَشِيَّتَهُ

كَأَنَّهُ جَا حِظُّ الْعَيْنَيْنِ نَهَاتُ

التخريج

لأبي الشبل في: معجم الأدباء ١-٥، ٢: ٦٢٦، وفي إحدى نسخ تهذيب اللغة البيت الأول ١٣٣: ٥. والأبيات ١-٣ لأعرابي يسمى القناني في معجم البلدان ٤: ٤٠١، وزاد بعد الثالث بيتاً هو:

وَقَالَ خُذْهَا خَلِيلِي سَوْفَ أُرْدِفُهَا

بِمِثْلِهَا بَعْدَمَا تُمَضِيكَ لَيْلَاتُ

والأبيات ١-٣ لتميم بن مقبل في: تخلص الشواهد ص ٤٤٠-٤٤١، وفي المقاصد النحوية ٢: ٣٧٦، نقلاً عن تخلص الشواهد، أو لأبي شبل الأعرابي نقلاً عن المحكم^(٧٤)، ولأبي شبل الأعرابي الأبيات ١-٣ في تاج العروس ١٠: ٨٠، والبيت الأول لأبي شبل أو لابن مقبل في شرح التصريح ١: ٣٦٠. ولأبي شبل في التكملة والذيل والصلة البيت الثالث ١: ٤٦١. والأبيات ١-٣ بدون نسبة في لسان العرب ٤: ٢٥٧٠، والبيت الأول بدون نسبة في نسختين من نسخ تهذيب اللغة ٥: ١٣٣، وفي الصحاح البيت الثالث لأعرابي ٦: ٢٣٠٧. وفي اللامع العريزي البيت الثاني ١: ٧٥٩.

الترجيح

أمامنا ثلاثة أسماء نُسبت لهم بعض هذه الأبيات، أما ابن مقبل فاستبعد نسبتها إليه، فهي لم ترد في ديوانه ولا تماثل شعره. أما أبوشنبل

الأعرابي فقد ذكر النديم^(٧٥) أبوشنبل العقيلي فاعله هو، ولم يصل إلينا شيء من شعره. والبيت الثاني ورد عجزه في كتاب العين وهو سابق لعصر أبي الشبل، فيظهر لي أن أبا لشبل قد أدخله وأدخل معه البيت الأول في هذه القطعة، وبخاصة أن رواية المعاجم وكتب النحو "أحجو" وعند أبي الشبل أرجو، فجل المقطوعة لأبي الشبل. وقد يكون النحاة واللغويون لما وجدوا أبا الشبل ينسب بُرْجَمِيًّا جعلوه أعرابياً وهو عربي وليس أعرابياً، ثم تصحف على بعضهم إلى أبي شنبل، ولم أجد أباشنبل هذا في أي مصدر من المصادر، مما يجعل ما ذكرنا سائغاً بل وراجحاً.

١- في تخلص الشواهد والمقاصد والمعجم والتاج: أحجو

٢- في معجم الأدباء ومعجم البلدان: قلت والمرء تخطيه منيَّته. وما أُثْبِتَ هو المتسق مع المعنى، في تخلص الشواهد ص: تخطئه

٣- في المعجم: ناقصات الضرب حبات. وفي تخلص الشواهد المقاصد النحوية: من سعة دراهم زائفات ضربجيات. ودرهم ضربجي زائف ردي

٥- الربيثاء: سمك صغار، الصحناء: إدام يتخذ من السمك الصغار.

(٢)

وقال في أيام العجوز^(٧٦): (الكامل)

١- كُسِعَ الشِّتَاءُ بِسَبْعَةِ غُبَرٍ

أَيَّامَ شَهْلَتِنَا مِنْ الشَّهْرِ

٢- فَإِذَا مَضَتْ أَيَّامُ شَهْلَتِنَا

صِنَّ وَصَنَّبَرٌ مَعَ الْوَبْرِ

٣- وبِأَمْرِ وَأَخِيهِ مُؤْتَمِرٍ

وَمُعَلِّلٍ وَبِمُطْفِئِ الْجَمْرِ

٤- ذَهَبَ الشِّتَاءُ مُوَلِّيًا هَرَبًا

وَأَتَتْكَ مُوقَدَةٌ مِنَ النَّجْرِ

التخريب

الأبيات ١-٤ له في: معجم الشعراء ص ١٥٩-
١٦٠، التكملة والذيل والصلة ٣: ٢٧٩، ولسان
العرب نقلاً عن ابن بري ٥: ٣٨٧٥، والأبيات
١-٤ لابن أحمر في: الصحاح ٣: ٨٨٤، وعنه
في لسان العرب ٤: ٢٨١٨، وعنهما في ذيل
ديوانه ص ١٨٣، والأبيات ١-٤ بدون نسبة في:
الزاهر ١: ٤٩٢، والفاخر ص ١٣٣، وجمهرة
اللغة ١: ٣٣١، والأزمنة والأمكنة ١: ٢٤٢،
وثمار القلوب ص ٣١٤، وشرح أدب الكتاب ص
٧١، ومعجم البلدان ٣: ٤٢٥، والمحكم ١: ٤٦

الترجيح

يظهر أن نسبتها لابن أحمر وهم من أبي
الغوث، الذي نقلها عنه الجوهري أما المرزباني
فقد نسبها إلى أبي الشبل وأكد هذه النسبة تأكيد
الصاغانى على ذلك، نقلاً عن ثعلب وابن
الأعرابي، وكذلك قول الثعالبي: وفيها شعر
مَصْنُوع. يدل على أنه شعر محدث وليس بقديم؛
كما أنها لم ترد في أصل ديوان ابن أحمر وإنما
في ذيله.

١- الكسع: سرعة المر ولإدبار. الشهلة:
العجوز.

٢- في معجم البلدان: فإذا انقضت. الصن:
اليوم الثاني من أيام برد العجوز. وشدة البرد

تسمى صنًا. الأزمنة والأمكنة ١: ٢٤٢. الصنبر:
شدة البرد. الوبر:

٤- في الزاهر: موليا عجلا. وفي الجمهرة:
مودعًا هربا. وفي الأزمنة والأمكنة والمحكم:
واقدة. والنجر: شدة الحر

(٣)

وقال: (الطويل)

١- رَأَيْنَ الْغَوَانِي الشَّيْبَ لَاحَ بِمُفْرِقِي

فَأَعْرَضَنَ عَنِّي بِالْخُدُودِ النَّوَاضِرِ

٢- وَكُنَّ إِذَا أَبْصَرْنِي أَوْ سَمِعْنَ بِي

سَعَيْنَ فَرَقَعْنَ الْكُؤَى بِالْمَحَاجِرِ

التخريب:

البيتان له في الوحشيات ١-٢، ص ٢٩٠. وهما
من قطعة تنسب لأبي عبدالرحمن العتبي^(٧٧) في
البيان والتبيين ٢: ١٨٢، وطبقات الشعراء ص
٣١٥، ووفيات الأعيان ٤: ٣٩٩، والبيتان للعتبي
في الأغاني ١٤: ١٢٩، والمحِب والمحبوب ١:
١١٢، ومعجم الشعراء ص ٤١٨، والبيتان لعمر
بن أبي ربيعة مقاسمة مع أبي الشبل والعتبي في
الوحشيات ص ٢٩٠، وذيل ديوانه ص ١٠٩،
ولمحمد بن أبي أمية في العقد الفريد ٢: ٣٢٠.

الترجيح

سرى الوهم لمن نسبهما لأبي الشبل؛ لأنه
سرق المعنى من العتبي، نص على هذا أبو
الفرج^(٧٨). وقد ورد البيتان للعتبي في مصادر
أصيلة، فيما لم يرد البيتان منسوبان لأبي الشبل
إلا على المقاسمة. فالراجح أنهما ليستا لأبي
الشبل، كما تؤكد ذلك أكثر المصادر المتقدمة.

١- خذ ناضر: خذ ناعم له بريق من أثر
النعمة وليونة العيش.

(٤)

وقال في جارية اسمها صِرف: (مجزوء
الخفيف)

١- قُلْ لِمَنْ يَمْلِكُ الْمُلُوكُ

كَ وَإِنْ كَانَ قَدْ مُلِكَ

٢- قَدْ شَرِبْنَاكَ مُدَّةً

وَبَعَثْنَا إِلَيْكَ بِكَ

التخريب

البيتان لأبي الشبل في: المحب والمحبوب
١-٢، ٤: ٣٢٣. وفي الورقة ص ٢١ من رواية
أحمد بن أبي طاهر. وهما لهارون الرشيد في
الورقة ص ٢٠ من رواية ابن أبي خيثمة
بدون نسبة في عيون الأخبار ١-٢: ٤١

الترجيح

نسبة أحمد بن أبي طاهر للبيتين إلى أبي
الشبل ترجح نسبتهما إليه، فهو من رواة الشعر
وأهله، بخلاف ابن أبي خيثمة النسائي فهو من
رواة الحديث. وأكد تلك النسبة السري الرفاء.
٢- في المحب والمحبوب: شربناك فاشربي.

الحواشي

١- تيار شعري ظهر مع إسحاق الموصلي وأبي
الشبل والقاسم بن يوسف بن صبيح وعبدالصمد بن
المعذل وغيرهم وكلهم من معاصري أبي الشبل.
والرثاء الهزلي رثاء يخرج عن غرض الرثاء
المعروف في الشعر العربي من خلال بث الهزل
والسخرية مكان التفجع والفاجعة. اتجاهات الشعر

- العربي في القرن الثاني الهجري، ص ٤٤٠-٤٤٤.
- ٢- شعراء عباسيون منسيون، ٤: ١١١-١١٥.
- ٣- العمدة في محاسن الشعر
- ٤- الأغاني، ١٠: ٢٠٨
- ٥- أخبار الشعراء المحدثين، ص ٥٤، ٢٥٤، الأغاني
٣: ١٥٣، ١٥٥، ١٧٣، ١٩٤، ٢٣٢، ٧: ٢٥٤،
١٠: ٢١٥، ١٢: ٨٩، ١٣: ٩٩، ١١٥، ١٤: ٣٠،
٤٢، ٢٠: ٥٤، تاريخ بغداد، ١٦: ٧٦.
- ٦- الأغاني ١٤: ٢٠٤.
- ٧- معجم الشعراء، ص ١٥٩، الموشح، ص ٤٥١،
ذيل تاريخ بغداد، ٢: ٢٦٤. التكملة والذيل والصلة
٣: ٢٧٩.
- ٨- الأغاني: ٣: ١٥٣، ١٩: ٢١٩، نشوار المحاضرة
وأخبار المذاكرة ١: ١٨، الاقتضاب في شرح أدب
الكتاب ١: ٦٩.
- ٩- الأمالي، ص ٢١٣.
- ١٠- الحماسة الشجرية ٢: ٨٤٢.
- ١١- الوافي بالوفيات ١٦: ٣٦٨.
- ١٢- عيون التواريخ (وفيات ٢١٩-٢٥٠هـ)، ص ٢٣٧
- ١٣- الوافي بالوفيات ٢٠: ٢٠١
- ١٤- الأغاني ١٤: ٢٠١، معجم الأدباء ١: ١٠٧. أحمد
بن أبي النجم الأنباري، أبوعون. كاتب متكلم
مترسل شاعر، له كتاب في التوحيد وأقاويل
الفلاسفة، ولد سنة ١٩٧هـ وتوفي سنة ٢٧٤هـ.
الوافي بالوفيات ٨: ٢٠٩
- ١٥- صحف عصم في الوافي بالوفيات إلى عظم.
- ١٦- معجم الشعراء، ص ١٥٩، الموشح، ص ٤١٥،
واقصر الأصفهاني ١٤: ١٩٣ والزجاجي ص
٢١٣، والتنوخي ١: ١٨، والصفدي ٢٠: ٢٠١،
والكتبي ص ٢٣٧، على اسم أبيه وقبيلته، فلم
يذكروا جده.
- ١٧- أشعار أولاد الخلفاء، ص ٥٢، لسان العرب،
القاهرة ١: ١٣٣.
- ١٨- لسان العرب ١: ١٣٣.
- ١٩- واحدتها بُرْجُمة، وجمعها بَرَاجم، وهي مفصل
الأصابع. القاموس المحيط، ص ١٣٩٥. والنسبة
للمفرد لهذا جاءت بضم الباء والجيم.

- ٢٠- ابن الكلبي: محمد بن السائب، جمهرة النسب، تحقيق: ناجي حسن، بيروت: عالم الكتب، ط١: ١٤٠٧هـ، ص ٢٢٤.
- ٢١- الأغاني ١٤: ١٩٣.
- ٢٢- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ٤: ٣٤٨.
- ٢٣- تاريخ بغداد ٨: ٤٧٥، وفيات الأعيان ٢: ١٠٣.
- ٢٤- الديارات، ص ٩٢.
- ٢٥- ديوان محمود الوراق، ص ٢١.
- ٢٦- طبقات الشعراء، ص ٣٧٩.
- ٢٧- الأغاني ١٤: ١٩٥.
- ٢٨- الموشح ص ٤٢٥.
- ٢٩- الأغاني ١٤: ١٢٤.
- ٣٠- الأغاني ٣: ١٠٧، ١٣٥، ٧: ١٧٠، ١٤: ٢٦، ٢٧.
- ٣١- الأغاني ١٤: ١٩٥.
- ٣٢- الموشح، ٤٢٥.
- ٣٣- الأغاني ١٤: ٤٢. قثم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس، من أمراء بني العباس؛ ولي المدينة المنورة للمأمون سنة ٢٠٩هـ، كما ولي البصرة. المعرفة والتاريخ ١: ١٩٧، أخبار القضاة، ١: ٢٥٨.
- ٣٤- الديارات ص ٩٢.
- ٣٥- الديارات ص ٥٢.
- ٣٦- الفضل بن مروان بن ماسرخس، اتصل بالمأمون وخدمه، ثم وزر للمعتصم وغلب على أموره، حتى نكبه سنة ٢٢١هـ، كان قليل المعرفة بالعلم، حسن المعرفة بخدمة الخلفاء، له كتاب المشاهدات والأخبار. توفي سنة ٢٥٠هـ. وفيات الأعيان ٤: ٤٥.
- ٣٧- الأغاني ١٤: ١٩٩. وكان فتحها في سنة ٢٢٣هـ وقيل ٢٢٤هـ. تاريخ الطبري ٩: ٥٧.
- ٣٨- معجم البلدان ١: ١٠٧.
- ٣٩- الأغاني ١٤: ١٩٣.
- ٤٠- مروج الذهب ٤: ٨٦.
- ٤١- الأغاني ١٤: ١٩٣.
- ٤٢- الأغاني ١٤: ١٩٣.
- ٤٣- الأغاني ١٤: ١٩٨.
- ٤٤- الأغاني ١٩: ٣٠٨.
- ٤٥- عيون التواريخ ص ٢٣٧.
- ٤٦- تاريخ الطبري ٩: ١٨٥.
- ٤٧- الأغاني ١٤: ١٩٩، نشوار المحاضرة ١: ١٨.
- ٤٨- معجم الشعراء ص ١٥٩.
- ٤٩- الأغاني ١٤: ١٩٣، ١٩: ٣١٠.
- ٥٠- قراءة نقدية في كتاب الأعلام للزركلي، ص ٤١، ٤٣، ١٠٨، ١٢١.
- ٥١- مروج الذهب ٤: ٨٥.
- ٥٢- الأغاني ١٤: ١٩٦.
- ٥٣- طبقات الشعراء، ص ٣٨٠.
- ٥٤- الأغاني ١٤: ١٩٤، الديارات، ص ٩١.
- ٥٥- الأغاني ١٤: ١٩٧.
- ٥٦- الديارات، ص ٩١.
- ٥٧- رجل طب بالشيء: حاذق به. جمهرة اللغة، ١: ٧٣.
- ٥٨- الديارات ص ٩٢.
- ٥٩- طبقات الشعراء، ص ٣٨٠، الأغاني ١٤: ١٩٤.
- ٦٠- معجم الشعراء ص ١٥٩، الديارات ص ٩١.
- ٦١- أبوجعفر، لم أعثر له على ترجمة. روى عن أبي الشَّبل، وإبراهيم بن المدبر، وأبي مسلم المستملي، ومحمد بن مروان الكاتب، وروى عنه علي بن الحسن الخفاف، وووكيع، ومحمد بن داود الجراح. وهو من بيت علم، فقد كان لأبيه كتب ينقل عنها، وكان للمُترجم مؤلف نقل عنه المرزباني، وله مناظرة في تفضيله لدعبل على أبي تمام مع أبي بكر الصولي، وكان صديقاً لعمر بن شبة. وكل هذا يدل على أنه من أهل الأدب والرواية والتصنيف. الأغاني، فهرس الأعلام، تاريخ دمشق ٢٧: ٩٥، نور القبس، ص ٨٥، تاريخ بغداد ٧: ٦٨، ١٠: ١٩٨، وفيات الأعيان ٢: ٢٠.
- ٦٢- الأغاني ١٤: ١٩٣ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٨- ٢٠١ و ٢٠٤.
- ٦٣- الأغاني ٣: ١٥٣، ١٥٥، ١٧٣، ١٩٤، ٢٣٢، ٧: ٢٥٤، ١٠: ٢١٥، ١٢: ٨٩، ١٣: ٩٩، ١١٥، ١٤: ٣٠، ٤٢، ٥٤.
- ٦٤- تاريخ بغداد ٩: ٥.

المصادر والمراجع

- ٦٥- الفرج بعد الشدة ٥: ٥٧.
- ٦٦- أبو هريرة البصري النحويّ الضرير، لم أجد له ترجمة. ذكره الجاحظ، وروى عنه أحمد الطيب، وهو معاصر للجاحظ، فهو من رجال أوائل القرن الثالث الهجري. البيان والتبيين ١: ٢١١، الأغاني ١٤: ٢٠٤.
- ٦٧- لم أجد له ترجمة، روى عن منصور بن جمهور، وروى عنه ابن مهرويه، وكان يصحب الشعراء كأبي المستهل الأسدي وأبي الشبل، فهو من رجال القرن الثالث الهجري. تاريخ بغداد ١٥: ٧٣، الأغاني ١٤: ٢٠٩، ١٩: ٢٨٨.
- ٦٨- هبة الله بن إبراهيم بن المهدي، شاعر أديب مغنٍ، جالس الخلفاء وآخر من جالسه منهم المعتمد، وتوفي في خلافته سنة ٢٧٥هـ. أشعار أولاد الخلفاء، ص ٥٠.
- ٦٩- الجماهر في معرفة الجواهر، ص ١٩٩.
- ٧٠- لم أجد له ذكرًا سوى في هذه الحادثة مع أبي الشبل.
- ٧١- البغدادي، كاتب وشاعر عباسي، كتب لبعض الأمراء، وكان من أهل الكرم والظرف. أخبار الشعراء المحدثين، ص ٢٥١، تاريخ الإسلام، ٥: ٥١٤.
- ٧٢- هشام بن معاوية الكوفي، نحوي كان يؤدب ولد فرج الرجي؛ توفي سنة ٢٠٩هـ نور القبس، ص ٣٠٢.
- ٧٣- لم أجد له ذكرًا في غير هذا الموضع مع أبي الشبل.
- ٧٤- لم أعر على البيت في المحكم لابن سيدة.
- ٧٥- الفهرست ١: ١٢٤.
- ٧٦- أيام العجوز تكون في دبر الشتاء لأربعة أيام تبقى من شباط وثلاثة تخلو من آذار من شهور العجم. الأزمنة والأمكنة ١: ٢٤٢.
- ٧٧- محمد بن عبيد الله الأموي البصري، شاعر أخباري راوية، روى عن أبيه وسفيان ابن عيينة وغيرهما، وروى عنه أبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي وخلق، قدم بغداد وأقام بها حتى توفي سنة ٢٢٨هـ. له عدة مصنفات، وبقي من شعرة صباية قليلة. تاريخ بغداد ٣: ٥٦٢، وفيات الأعيان ٤: ٣٩٨.
- ٧٨- الأغاني ١٤: ٢٠١.
- ١- ابن أحر: عمرو الباهلي (بعد ٧٥هـ).
- ٢- الأزهرى: خالد بن عبدالله الجرجاوي (٩٠٥هـ).
- ٣- الأزهرى: محمد بن أحمد (٣٧٠هـ).
- ٤- الأصبهاني: الحسين بن محمد المعروف بالراغب (٥٠٢هـ).
- ٥- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأموي (٣٥٦هـ).
- ٦- الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم (٣٢٨هـ).
- ٧- البيروني: محمد بن أحمد (٤٤٠هـ).
- ٨- أبو تمام: حبيب بن أوس الطائي (٢٣١هـ).
- ٩- التنوخي: المحسن بن علي (٣٨٤هـ).
- أ- الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالحي، بيروت: دار صادر، ط١: ١٣٩٨هـ.
- ب- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالحي، بيروت: دار صادر، ط٢: ١٩٩٥م.
- ١٠- الجاحظ: عمرو بن بحر الكنانى (٢٥٥هـ).
- البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة:

بولا، ط: ١: ١٣٠٧هـ

٢٢. الزجاجي: عبدالرحمن بن إسحاق (٣٤٠هـ)

الأمال، تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت: دار
الجب، ط ٢: ١٤٠٧هـ

٢٣. الزمخشري: جارالله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)

ربيع الأبرار وفصوص الأخبار، تحقيق: سليم
النعمي، النجف: دين، د. ت

٢٤. السري الرفاء: محمد بن أحمد الكندي (نحو ٣٦٠هـ)
المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، تحقيق:
مصباح غلاونجي وماجد الذهبي، دمشق: مجمع
اللغة العربية، ط ١: ١: ١٤٠٧هـ

٢٥. ابن السيد: عبدالله بن محمد البطييموسي (٥٢١هـ)
الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق: مصطفى
السقا وحامد عبدالمجيد، القاهرة: دار الكتب
المصرية، ط ٢: ١٩٩٦م

٢٦. ابن سيدة: علي بن إسماعيل الأندلسي (٤٥٨هـ)
المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: مجموعة من
المحققين، القاهرة: معهد المخطوطات العربية،
ط ٢: ١٤٢٤هـ

٢٧. الشابشتي: علي بن محمد (٣٨٨هـ)
الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، بيروت: دار
المدى، ط ٣: ٢٠٠٨م

٢٨. ابن شاكر: محمد الكتبي (٧٦٤هـ)
عيون التواريخ وفيات ٢١٩-٢٥٠هـ، تحقيق:
عفيف حاطوم، بيروت: دار الثقافة، ط ١: ١٤١٦هـ

٢٩. ابن الشجري: هبة الله بن علي الحسني (٥٤٢هـ)
الحماسة، تحقيق: عبدالمعين الملوح و أسماء
الحمصي، دمشق: وزارة الثقافة، ط ١: ١٩٧٠م

٣٠. الصغاني: الحسن بن محمد (٦٥٠هـ)
التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح
العربية، تحقيق: عبدالمعطي الطحاوي وإبراهيم
الأبياري ومحمد أبو الفضل، القاهرة: دار الكتب
المصرية، ط ١: ١٩٧٠-١٩٧٩م

٣١. الصفدي: صلاح الدين بن أبيك الصفدي (٧٦٤هـ)
الوافي بالوفيات، تحقيق: مجموعة من المحققين،

مكتبة الخانجي، ط ٤: ١٤٠٥هـ

١١. ابن الجراح: محمد بن داود (٢٩٦هـ)
الورقة، تحقيق: عبدالوهاب عزام وعبدالستار
فراج، القاهرة: دار المعارف، ط ٣: ١٩٨٦م

١٢. الجوهري: إسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ)
الصاح، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، بيروت:
دار العلم للملايين، ط ٢: ١٣٩٩هـ

١٣. الحقي: إبراهيم
قراءة نقدية في كتاب الأعلام للزركلي، الأردن:
دار الفتحة، ط ١: ١٤٣٣هـ

١٤. الحمدوني: محمد بن الحسن البغدادي (٥٦٢هـ)
التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان وبكر ابني
عباس، بيروت: دار صادر، ط ١: ١٩٩٦م

١٥. الخالديان: محمد (٣٨٠هـ) وسعيد (٣٩٠هـ) ابني
هاشم الموصل

الأشياء والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين
والمخضرمين، تحقيق: السيد محمد يوسف،
القاهرة: لجنة الآثف والنشر، ط ١: ١٩٥٨-
١٩٦٥م

١٦. الخطيب البغدادي: أحمد بن علي البغدادي
(٤٦٣هـ)

تاريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد، بيروت:
دار الغرب، ط ١: ١٤٢٢هـ

١٧. ابن خلكان: أحمد بن محمد (٦٨١هـ)
وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت:
دار صادر، ط ١: ١٩٧٢م

١٨. ابن دريد: محمد بن الحسن الأزدي (٣٢١هـ)
جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي البعلبكي، بيروت:
دار العلم للملايين، ط ١: ١٩٨٧م

١٩. الذهبي: محمد بن أحمد (٧٤٧هـ)
تاريخ الإسلام، تحقيق: بشار عواد، بيروت: دار
الغرب، ط ١: ١٤٢٤هـ

٢٠. ابن رشي: الحسن القيرواني (٤٥٦هـ)
العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد
قرقران، بيروت: دار المعرفة، ط ١: ١٤٠٨م

٢١. الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني (١٢٠٥هـ)
تاج العروس من جواهر القاموس، القاهرة: مطبعة

- بيروت: لجنة المستشرقين الألمانية، ط ٢: ١٤١١هـ - ١٤٢٥هـ
٣٢. الصولي: محمد بن يحيى (٣٣٥هـ)
- أ- أخبار الشعراء المحدثين، تحقيق: هيوث دن، بيروت: دار المسيرة، ط ٢: ١٤٠١هـ
- ب- أدب الكتاب، تحقيق: محمد بهجت الأثري، بيروت: دار المسيرة، ط ٢: ١٤٠١هـ
- ج- أشعار أولاد الخلفاء، تحقيق: هيوث دن، بيروت: دار المسيرة، ط ٢: ١٤٠١هـ
٣٣. الطبري: محمد بن جرير (٣١٠هـ)
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط ١: ١٩٦٩م
٣٤. ابن عبدربه: أحمد بن محمد القرطبي (٣٢٨هـ)
- العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ط ١: ١٣٧٣هـ
٣٥. ابن عساكر: علي بن الحسن الشافعي (٥٧١هـ)
- تاريخ دمشق الكبير، تحقيق: العمري، بيروت: دار الفكر، ط ١: ١٤١٥هـ
٣٦. العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى (٧٤٩هـ)
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: مجموعة من المحققين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١: ٢٠١٠م
٣٧. العميدي: محمد بن أحمد (٤٣٣هـ)
- الإبانة عن سرقات المتنبي، تحقيق: إبراهيم الدسوقي البساطي، القاهرة: دار المعارف، ط ٢: ١٩٦٩م
٣٨. العيني: محمود بن أحمد الحنفي (٨٥٥هـ)
- المقاصد النحوية شرح شواهد الإلفية، القاهرة: مطبعة بولاق، ط ١: ١٢٩٩هـ
٣٩. الفسوي: يعقوب بن سفيان (٣٤٧هـ)
- المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١: ١٤٠١هـ
٤٠. الفيروزآبادي: محمد بن يعقوب (٨١٧هـ)
- القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢: ١٤٠٧هـ
٤١. المرزباني: محمد بن عمر بن عمران (٣٨٤هـ)
- أ- معجم الشعراء، تحقيق: فاروق أسلم، بيروت: دار صادر، ط ١: ١٤٢٥هـ
- ب- الموشح، تحقيق: محمد البجاوي، القاهرة: دار الفكر العربي، د. ط. د. ت.
٤٢. المرزوقي: أحمد بن محمد (٤٢١هـ)
- الأزمنة والأمكنة، تحقيق: محمد الدليمي، بيروت: عالم الكتب، ط ١: ١٤٢٢هـ
٤٣. المعري: أبو العلاء أحمد بن عبدالله التنوخي (٤٦٢هـ)
- اللامع العزيزي، تحقيق: محمد سعيد المولوي، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط ١: ١٤٢٩-١٤٣٣هـ
٤٤. ابن محمود: محمد بن علي (ق ٨هـ)
- البدور المسفرة في نعت الأديرة، تحقيق: هلال ناجي، بغداد: دار الحرية للطباعة، د. ط: ١٩٧٥م
٤٥. المسعودي: علي بن الحسين (٣٥٦هـ)
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، د. ط: ١٤٠٧هـ
٤٦. ابن المعتز: عبدالله (٢٩٦هـ)
- طبقات الشعراء، تحقيق: عبدالستار فراج، القاهرة: دار المعارف، ط ٤: ١٩٨١م
٤٧. المفضل: ابن سلمة (بعد ٢٩١هـ)
- الفاخر، تحقيق: عبدالعليم الطحاوي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١: ١٩٧٤م
٤٨. ابن منظور: محمد بن مكرم الأنصاري (٧١١هـ)
- لسان العرب، القاهرة: مطبعة بولاق، ط ١: ١٣٠٠هـ - ١٣٠٧هـ
٤٩. ابن النجار: محمد بن عبدالله البغدادي (٦٤٣هـ)
- ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: قيصر فرح، حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، ط ١: ١٣٩٨-١٤٠٢هـ
٥٠. النجار: إبراهيم
- شعراء عباسيون منسيون، بيروت: دار الغرب، ط ١: ١٩٩٧م
٥١. النديم: محمد بن إسحاق البغدادي (٣٨٠هـ)
- الفهرست، تحقيق: فؤاد سيد، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط ١: ١٤٣٠هـ
٥٢. النويري: أحمد بن عبد الوهاب البكري (٧٣٣هـ)
- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مجموعة

اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري،
القاهرة: دار المعارف، د٠ط: ١٩٦٢م

٥٧. ياقوت: ابن عبدالله الحموي (٦٢٦هـ)

أ- الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة،
تحقيق: يحيى عبارة ومحمد جمران، دمشق:
وزارة الثقافة، ط ١: ١٩٩٨م.

ب- معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، بيروت:
دار الغرب، ط ١: ١٩٩٣م

ج- معجم البلدان، بيروت: دار صادر، د٠ط: ١٩٧٩م

٥٨. اليعموري: يوسف بن أحمد (٦٧٣هـ)

نور القبس المختصر من المقتبس، تحقيق: رودلف
زلهاميم، بيروت: فرانس شتاير، ط ١: ١٣٨٤هـ

من المحققين، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ١:
١٣٤٢-١٤٢٣هـ

٥٣. الوراق: محمود، ديوان محمود الوراق (نحو
٢٢٥هـ)

ديوانه، صنعة: وليد قصاب، د٠ن، ط ١: ١٤١٢هـ

٥٤. الوشاء: محمد بن إسحاق (٣٢٥هـ)

الموشى، بيروت: دار صادر، د٠ط: ١٤١٢هـ

٥٥. وكيع: محمد بن خلف الضبي (٣٠٦هـ)

أخبار القضاة، تحقيق: عبدالعزيز المراغي،
القاهرة: مكتبة البابي الحلبي، ط ١: ١٣٨٤هـ،

٥٦. هدارة: محمد مصطفى (١٤١٧هـ)

ذخائر التراث المخطوط في إقليم الساورة بالجزائر

خزانة سيدي المهداني أنهودجًا

د. رفيقة تومي
الجزائر

مقدمة:

تعد منطقة الجنوب الجزائري من أكثر الأماكن في الجزائر غنا بموروث المخطوط؛ إذ نجدها تعج بالخزائن العلمية سواء الخاصة بالعائلات المرابطة بالمنطقة، والتي تناقلته عن طريق الإرث، أو في مكتبات الزوايا، ومن أهم تلك الأقاليم الجنوبية منطقة الواتة بإقليم الساورة. تتميز إقليم الساورة باستقطاب صفوة العلماء الوافدين عليه، فكانوا ينشطون جلسات علمية للطلبة داخل الزوايا أمثال الشيخ محمد بن عبد الله التلمساني^(١)، كما أثريت مكتبات تلك الزوايا بالمخطوطات والمصنفات النادرة^(٢)، فمن بين خزائن مخطوطات إقليم الساورة الخزانة القندوسية الزيانية التي كان بها حوالي ٣٠٠٠ مخطوط سنة ١٩٥٠م^(٣)، وخزانة زاوية الواتة موضوع الدراسة، وللأسف تعد هذه الأخيرة من أحد الخزائن المنسية بالصحراء الجزائرية الشاسعة، رغم أنها تحتفظ بعدد من المخطوطات في شتى مجالات العلوم.

١- البيئة الجغرافية والتاريخية لإقليم الساورة:

إنّ تسمية الساورة ضبطها "ابن أبي محلي في مخطوطه الأصلية، فوادي الساورة أخذ تسميته من كلمة سوار التي تجمع على أساور وأسورة بكسر الواو وفتح الراء، ثم صارت التسمية بمرور الزمن الساورة؛ حيث زيدت لام

ونظرًا لتلك الأهمية التي تكتسيها الخزانة

سنحاول الكشف عن المخطوطات المكدسة بداخلها، هذا رغبة منا في المساهمة والإضافة للبحوث القليلة التي تتناول قضايا المخطوطات وجردها في هذا الإقليم، على عكس منطقة التوات التي حظيت باهتمام متميز لدى الباحثين المتخصصين في مجال المخطوطات.

٢-أصول الخزانة وتأسيسها:

تقع خزانة سيدي المداني داخل الزاوية التي تحمل اسمه بمنطقة الواتة، يرجع تأسيسها إلى سيدي المداني ابن أحمد بن عبد الله بن عيسى محمد الصافي وذلك في أواخر القرن ١٠هـ- ١٧م، وهو حفيد الولي الصالح الشيخ سيدي أبي محمد عبد الله بن شيخ مؤسس الزاوية الأصلية سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٠م^(١٠)، والتي كانت في منطقة قرزيم^(١١) قبل أن ينقلها سيدي المداني إلى قصر الماجة بدائرة الواتة.

توجد بالزاوية حاليًا لوحة تأسيسية كتب فيها حياة المؤسس ومشواره التعليمي، تذكر أن سيدي المداني ولد سنة ١٨٢٠م في قرية جدّه التي تقع على ضفاف واد الساوره، أين تلقى بها أصول علومه الأولى فحفظ القرآن الكريم، وتفقه في الدين منذ سنّ مبكر، وفي سنة ١٨٣٨م ترك منطقة الواتة لينتقل بعد ذلك إلى تاغيت؛ حيث وهب نفسه للعبادة ومناجاة ربه في خلوته حتى سنة ١٨٥٢م، أين شدّ الرحال راجعًا إلى قرزيم ثانية، لكن لم يمكث طويلًا ليتوجه إلى إحدى قصور وادي الساوره أي الماجة، وأسس فيها زاوية فرعية هي زاوية سيدي المداني، أدت نفس الأدوار التي قامت بها زاوية جده بقرزيم، كإيواء المحتاجين وإطعام المساكين وبث التعليم القرآني في المنطقة.

قضى سيدي المداني حياته في القيام بدور المقاضاة بإصلاح ذات البين والصلح بين المتخاصمين، حتى توفته المنية عام ١٨٩٣م بالماجة التي يوجد بها ضريحه^(١٢).

بعد الألف فصارت "ال" التعريف تتقدم التسمية لسهولة التلفظ بها في اللسان المحلي^(٤).

يضم إقليم الساوره عددًا لا بأس به من القصور، يقدر عددها ١١ قصرًا من بينها قصر الواتة^(٥)، وتشكلت فيه عدة قرى وواحات على طول واده مثل ايجلي ومازر وبشير^(٦).

كما احتضن إقليم الساوره منذ القرن ١١هـ- ١٧م مراكز علمية مختلفة مثل بني عباس وكرزاز والماجة، بسبب توافد عدد كبير من العلماء المتواجدين ضمن قافلة الحجيج، فاستقر العديد منهم في المنطقة لجوها المساعد على الخلوة للعبادة والتفرغ للتأليف، نذكر من هؤلاء العلماء الذين ذاع صيتهم بالساوره الفقيه أبو العباس أحمد ابن أبي محلي الملقب بالساوري^(٧)؛ إذ بعد رحلته التي جاب خلالها الحواضر العلمية الكبرى بشمال المغرب عاد إلى سجلماصة، ثم نزل بعدها إقليم الساوره في عام ١٠٠٠هـ- ١٥٩١م^(٨).

أما لواتة فهي جزء من هذا الإقليم وإحدى بلديات ولاية بشار، ذكرها المؤرخ البيزنطي "روكوبيوس القيصري" في كتابيه "العمائر والحروب الوندالية"؛ حيث يرى بأن المور ولواتة إسمين لمجموعة سكانية واحدة كانت منتشرة في كل المنطقة الممتدة من طرابلس وحتى التبسة بالجزائر^(٩). وهذه القبيلة لم تنتهي مع نهاية الحكم البيزنطي للمنطقة، بل ظلت تتردد في الكثير من المصادر الإسلامية؛ حيث تمّ الإشارة إليها عن طريق ابن عبد الحكم واليعقوبي والهمداني وابن خلدون في مؤلفاتهم المختلفة.

٢- عمارة الزاوية :



تترجع زاوية سيدي المداني على مساحة كبيرة في قصر الماجة الواقع شرق بلدية لواتة بمسافة ٥ كم، يحدها من جهة الجنوب قصر أماس على بعد ١ كم، والعرق الغربي الكبير من الناحية الشمالية، لهذا القصر باب واحد شرقي قربه بئر ماء نقي ينتفع بها الساكن.



تتكون زاوية سيدي المداني بن لحاج من دار كبيرة (صورة ٠١)، يلتصق بها مسجد يتولى أعماله مولاي العربي بن الطيب من مواليد ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، والذي تربى في بيت الحاج التهامي بن عبد الوهاب آخر أحفاد سيدي عبد الله بن الشيخ^(١٣).

صورة ٠٢: المظهر الخارجي للمسجد



يتكون المسجد من طابقين، استخدم الطابق العلوي منه للأذان بينما الطابق السفلي تقام فيه الصلاة ويحفظ فيه القرآن (صورة ٢)، وعلى يمينه ضريح سيدي المداني بن لحاج ما يزال قائماً حتى الآن، وقد جاء على شكل غرفة مستطيلة ذات معمار وهندسة بسيطة (صورة ٠٣) بني من مادة الطوب، وقبره مغطى بقطع من القماش ذات اللون الأخضر، وفتحت بجدرانه كوات توضع فيها مستلزمات الزيارة مثل البخور والمسك... الخ.

صورة ٠٣: المظهر الداخلي للضريح

يحتوي البيت الكبير على مدخلين، واحد من الجهة الشرقية بقرب المسجد وهو خاص بالرجال، ينحدر بممر ضيق طوله ٣ أمتار (صورة ٠٤)، تتخلله أربع غرف واسعة للضيافة واستقبال الزوار مسقوفة من جذع النخل والطين، يليها صحن ذو أرضية رملية، ومدخل ثاني



صورة ٠١: الدار المجاورة للزاوية

خاص بالنساء في الجهة الغربية(صورة ٠٥).

يحيط بالزاوية مجموعة من المباني بعضها خاص بأقارب الحاج تهامي عبد الوهاب، وبعضها ممّن سبلوا أنفسهم لخدمة الزاوية، كما تأتي مقبرة سيدي بوزيد الخاصة بقصر الماجة على بعده أمتار من زاوية سيدي المداني بن لحاج، أين دفن بها معظم أحفاده أمثال سيدي الحاج عبد العزيز بن لحاج التهامي بن عبد الوهاب، والمداني بن المداني ابن محفوظ بن مبروك.



صورة ٠٥ : الصحن

٤-محتويات الخزانة ومواضيع المخطوطات:

لقد اعتمدنا في هذا الجانب على الدراسة الوصفية، وذلك حتى يتسنى لنا تشخيص حالة مخطوطات خزانة سيدي المداني، وتسليط الضوء على العوامل المؤثرة التي أصابتها، وكان لها الدور الكبير في إتلافها وضياعها ثم تستنتجها.

تعد خزانة أو مكتبة سيدي المداني من أقدم وأغنى الخزانات في منطقة الواتة، بلغ عدد مخطوطاتها في بدايتها حوالي ٢٠٠٠ مخطوط، حفظت على يد الشيخ سيدي عبد الله بن الشيخ، وظلّت لمدة أربعة قرون ونصف مجموعة موحّدة يشرف عليها عالم من أبناء العائلة ويرعاها، وممن شهد له عدول عصره بالتبرز في العلم والتقوى.

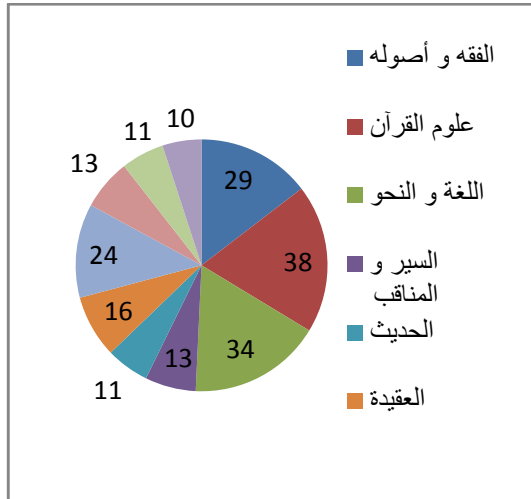
وفي سنة ١٩٧٥م قسمت الخزانة بين فروع العائلة، وكان ذلك من أسباب إهمال وضياع الكثير منها، فما تبقى منها سوى حوالي ١٩٩ مخطوطاً، وشملت مواضيع مختلفة كالقرآن وعلومه، والفقه، وعلم أصول الفقه، وعلم اللغة والنحو والحديث، وعلوم التفسير والسير



صورة ٠٤ : المدخل الشرقي للدار

والمناقب، والعقيدة، والرسائل، وتضم أيضًا علم الحساب والطب، والتصوف والأدعية. أما حاليًا يشرف على الخزانة الحاج البشير وعبد الوهاب بالمداني.

سمحت لنا عملية جرد مخطوطات الخزانة إلى تصنيفها وإحصائها حسب فنون العلم والمعرفة، فهي تدرج ضمن عمل شامل هدفه التعريف بكنوز تراثنا التي لاتزال مجهولة لدى الباحثين حسب ما يوضحه الجدول ٠١ :



المجال	اسم المؤلف	نموذج لمخطوط
الفقه المالكي	أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي	شرح منظومة ابن عاشر
اللغة والنحو	ابن مالك	متن الألفية
علوم القرآن	؟	قراءة ابن كثير
التصوف	سيدي عبد القادر بن محمد المدعو سيدي الشيخ	نظم الياقوتة
السير والمناقب	أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي	الشفاء بتعريف حقوق المصطفى
الحديث	ابو عبد الله محمد اليفرني	شرح غريب البخاري

جدول ٠٢ : نماذج مخطوطات الخزانة

المعارف	عدد المخطوطات	النسبة المئوية
الفقه وأصوله	٢٩	٤,٥٧%
علوم القرآن	٣٨	٩%
اللغة والنحو	٣٤	٧%
السير والمناقب	١٣	٦,٥٣%
الحديث	١١	٥,٥٢%
العقيدة	١٦	٨%
التصوف	٢٤	٢%
الحساب والطب	١٣	٦,٥٣%
أدعية	١١	٥,٥٢%
المسائل والخطب	١٠	٥%
المجموع	١٩٩	١٠٠%

جدول ٠١ :

توزيع مخطوطات الخزانة حسب المعارف

٥- نماذج من التراث المخطوط بالزاوية:

يمكن إعطاء بعض نماذج المخطوطات المحفوظة بالخزانة حسب ما يبينه الجدول ٠٢ :

(١)- حفظ مخطوطات خزانة سيدي المداني:

للتعرف على حالة حفظ مخطوطات الخزانة قمنا بمعاينتها وتصفح أوراقها، وللذكر أن الخزانة تقع في قاعة مستطيلة الشكل، وضعت المخطوطات على رفوف زجاجية عددها خمسة رفوف (صورة ٠٦) وبشكل أفقي متكسد ومتضام، لا تخضع لمعايير التنظيم والحفظ المناسبة لمثل تلك الكتب المخطوطة.

إضافة إلى أن المبنى نفسه في حالة سيئة مهدد بالتشقق والإنهيار، وبخاصة أنه بني بمادة الطوب والحجارة، ويجاور واد الساوره الذي قد يتعرض للفيضان في أي لحظة وبخاصة في فصل الشتاء.



صورة ٠٦ : خزانة حفظ المخطوطات

لتوضيح الحالة المادية للمخطوطات قمنا بتلخيصها في جدول شامل، يضم ثلاث حالات مختلفة هي: مخطوطات في حالة سيئة، مخطوطات في حالة متوسطة ثم مخطوطات في حالة جيدة، وهذا ما يوضحه الجدول الإحصائي ٠٣ :

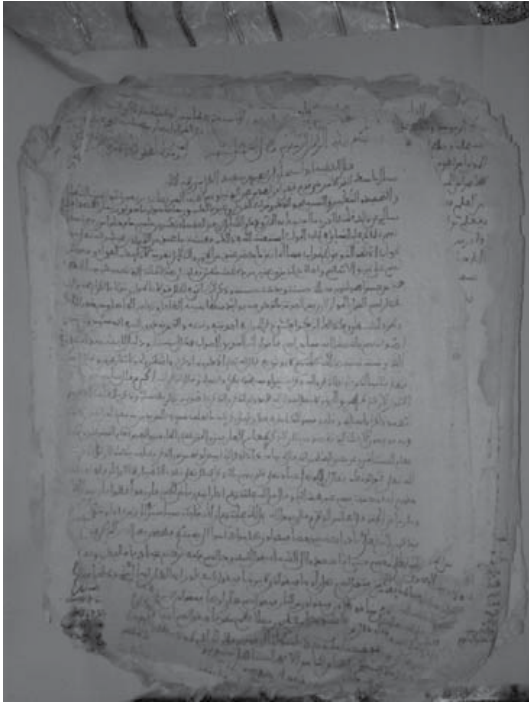
الحالة المادية	عدد المخطوطات
سيئة	٥٠٪
متوسطة	٣٣,٣٣٪
جيدة	١٣,٣٣٪
المجموع	١٠٠٪

جدول ٠٣ : الحالة المادية للمخطوطات

من الملاحظ أن العوامل الطبيعية كان لها دور خطير وشديد في إتلاف تراث هذه الخزانة، الأمر الذي أدى إلى تعرض نصف عدد المخطوط للتآكل الجزئي، وتشقق في بعض أجزائها، وظهور بعض الكسور في صفحات المخطوطات وحوافها، وحالة المخطوطات فيها متفاوتة ما بين الجيدة ومتوسطة الحال، والسيئة ممزقة ومنحنية فقدت أغلفتها وأصابها إعوجاج.

إن عدد المخطوطات الجيدة قليلة ومحدودة قدر بحوالي ١٣,٣٣ بالمئة، ونقصد هنا بالمخطوطات الجيدة التي لم يصبها أي ضرر، كما أنها حافظت على تجليدها بشكل سليم بحيث نجد أغلفتها ملتصقة بكعوبها بشكل سليم، بينما أوراقها ليست متضررة فهي لا تحتوي على ثقب ولا تآكل (صورة ٠٧).

أما نسبة المخطوطات المتوسطة الحال فقد قدرت بـ ٣٣,٣٣ بالمئة، فقد أصيبت باصفرارها وتآكل حوافها وأغلفتها، وكذا تأثر بعض أوراقها بالماء مما أدى إلى انحلال الحبر عليها (صورة ٠٨).



صورة ٠٩: مخطوط في حالة سيئة

خاتمة:

حاولنا في هذا البحث إلقاء نظرة على إحدى أهم الخزائن بإقليم الساوره، من خلال جرد وإحصاء مخطوطاتها التي شملت شتى فروع العلم والمعرفة، ونفض الغبار على ماتبقى من كنوزها؛ وذلك عن طريق تحسيس القيمين على الخزانه لأجل الحفاظ عليها وضرورة الاعتناء بمخطوطاتهم، وبخاصة أن العدد الكثير منها في حالة سيئة إلى درجة تمزق صفحاتها بمجرد لمسها، فلا بد من مراقبة دورية منتظمة للمخطوط، واللجوء أحياناً إلى تنظيف مكان الحفظ وعزل الكتب المصابة بعيداً عن الكتب السليمة، ومعالجتها فوراً حتى لا يتطور التلف والضرر، فهذا لا يتحقق إلا بتضافر جهود الجهات الوصية، والتصدي للصعوبات التي تعترض الدارسين من طرف القائمين عليها،

ولاحظنا إصابة النسبة الكبيرة من مخطوطات الخزانه بالتآكل والتمزق على مستوى الأغلفة، مما أدى إلى ضياع العديد من المعلومات التي كانت تحويها، فأغلبها فقد جزءاً منها سواء كان من مقدمة المخطوط أو وسطه أو آخره (صورة ٠٩).

من خلال ما سبق نستنتج أنّ هذه المخطوطات في حاجة ماسة لحفظها وتوفير مناخ ملائم يساعد على صمودها وبقائها أطول مدة، والتقليل من حجم الأضرار المختلفة.

صورة ٠٧: مخطوط في حالة جيدة



صورة ٠٨: مخطوط في حالة متوسطة

والذين يتخذون المخطوطات ملكية فردية للأسرة لا يمكن المساس بها.

إنّ تراث الخزانة لا يزال بكرًا جدير بالاهتمام، وفي حاجة إلى النشر والتحقيق من طرف الباحثين المتخصصين والمهتمين بالتراث المخطوط، فتصبح تلك المخطوطات مراجع أساسية الباحثين تزودهم بمادة علمية صحيحة، إضافة إلى دراسة مضامينها دراسة علمية دقيقة وكوديكولوجية، فهذا التراث ذو أهمية كبيرة سواء أكانت تاريخية أو أدبية أو علمية، يحمل في جوانبه العديد من المعطيات عن إبداعات علماء الجزائر، ويكشف عن ملامح الحياة العلمية والفنية في الجزائر.

الحواشي

- ١- التازي(علي عبد القادر)، منهل الظمان ومزيل الهموم والكرب والأحزان في كرامة شيخنا العارف بالله سيدنا محمد بن ابي زيان، مخطوط موجود بخزانة الزاوية القندوسية ولاية بشار، غير مصنف، ص ٥٠٥.
- ٢- برشان(محمد)، "أثر ركب الحج في بناء حضارة المجتمع الصحراوي، الجنوب الغربي الجزائري نموذجاً"، مجلة الخلونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، العدد ٦، ٢٠١٣م، ص ١٩٧.
- ٣- بوباية (عبد القادر)، "التعريف بالخزانة الزبانية القندوسية"، مجلة عصور، العددان ٦-٧، جوان ديسمبر ٢٠٠٥م، جامعة وهران، ص ٢٨٠.
- ٤- أبي العباس احمد بن أبي محلي، أصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت، الخزانة الحسنية بالرباط، رقم ١٠٠، ص ٢٢٢.
- ٥- جودي(محمد)، المسكن الإسلامي في القصور الصحراوية بالجزائر، دراسة تحليلية مقارنة لقصور ميزاب وورقلة، دكتوراه في علم الآثار

والمحيط، ٢٠١٣م، ص ٥٩.

- ٦- العياشي(أبو سالم عبد الله بن محمد)، الرحلة العياشية ١٦٦١-١٦٦٣م، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ج ١، ٢٠٠٦م، ص ٥٦-٧٦.
- ٧- أبو راس محمد بن احمد الناصري، فتح الاله ومثته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩٠م، ص ٤٧.
- ٨- القدوري(عبد المجيد)، ابن أبي محلي، الفقيه الثائر ورحلته الأصلية الخريت، مطابع منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٩١م، ص ٤٣.
- ٩- خشم (على فهمي)، نصوص ليبية، دار مكتبة الفكر، ط ٢، طرابلس، ١٩٧٥م، ص ٢٢٤-٢٣٨.
- ١٠- محمد بن عبد الكريم الكرزازي، المناقب المعزية في مآثر الاشياخ الكرزازية، ملك خاص بالمرابط سيدي بوفلجة عبد الكريم، رئيس سابق لبلدية كرزاز ولاية بشار، ص ١٥٢.
- ١١- تبعد عن مقر ولاية بشار ب ٣٠٠ كم، يحدها شمالاً لواتة وجنوباً بني يخلف ودائرة كرزاز ، أما من الشرق سلسلة العرق وغربا سلسلة الهضاب.
- ١٢- نقلاً عن لوحة تعريف الزاوية الموجودة داخل الخزانة.
- ١٣- أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، رسالة الحكم بالعدل والانصاف الرافع للخلاف في ما وقع بين فقهاء سجماسة من اختلاف في تكفير من أقر بوحدانية الله وجهل بعض ماله من أوصاف، تقديم وتحقيق الأستاذ عبد العظيم صغيري، ٢٠١٥م، المملكة المغربية، ص ٣.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- التازي(علي عبد القادر)، منهل الظمان ومزيل الهموم والكرب والأحزان في كرامة شيخنا العارف بالله سيدنا محمد بن ابي زيان، مخطوط موجود بخزانة الزاوية القندوسية ولاية بشار، غير مصنف.
- ٢- العياشي(أبو سالم عبد الله بن محمد)، الرحلة العياشية ١٦٦١-١٦٦٣م، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ج ١، ٢٠٠٦م.

- ٣- العياشي (أبو سالم عبد الله بن محمد)، رسالة الحكم بالعدل والانصاف الرافع للخلاف في ما وقع بين فقهاء سجماسة من اختلاف في تكفير من أقر بوحداية الله وجهل بعض ماله من أوصاف، تقديم وتحقيق الأستاذ عبد العظيم صغيري، المملكة المغربية، ٢٠١٥م.
- ٤- القدوري (عبد المجيد)، ابن أبي محلي، الفقيه الثائر ورحلته الأصلية الخريت، مطابع منشورات عكاظ، الرباط، م ١٩٩١م.
- ٥- الكرزازي (محمد بن عبد الكريم)، المناقب المعزية في مآثر الاشياخ الكرزازية، ملك خاص بالمرابط سيدي بوفلجة عبد الكريم، رئيس سابق لبلدية كرزاز ولاية بشار.
- ٦- الناصري (أبو راس محمد بن أحمد)، فتح الإله ومثته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩٠م.
- ٧- برشان (محمد)، "أثر ركب الحج في بناء حضارة المجتمع الصحراوي، الجنوب الغربي الجزائري نموذجًا"، مجلة الخلدونية للعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد ٦، جامعة ابن خلدون، تيارت، ٢٠١٣م.
- ٨- بوباية (عبد القادر)، "التعريف بالخرانة الزيرية القندوسية"، مجلة عصور، العددان ٦-٧، ٢٠٠٥م، جامعة وهران.
- ٩- أبي محلي (أبو العباس أحمد بن عبد الله)، أصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت، الخزانة الحسنية بالرباط، رقم ١٠٠.
- ١٠- جودي (محمد)، المسكن الإسلامي في القصور الصحراوية بالجزائر، دراسة تحليلية مقارنة لقصور ميزاب وورقلة، دكتوراه في علم الآثار والمحيط، ٢٠١٣م.
- ١١- خشيم (علي فهمي)، نصوص ليبية، دار مكتبة الفكر، ط ٢، طرابلس.



مَجَانِي الْثُّمَارِ مِنْ تَهَانِي الْعِذَارِ

تأليف

محمّد خليل بن علي المراديّ

(ت ١٢٠٦هـ)

مَجَانِي
الْثُّمَارِ مِنْ
تَهَانِي
الْعِذَارِ
لمحمّد خليل
بن علي
المراديّ (ت
١٢٠٦هـ)

دراسة وتحقيق

أ. د. عبد الرّازق حويزيّ

كلّيّة الآداب، جامعة الطّائف

(المُرَادِيّ) عالم كبير من أعلام الثقافة الإنسانية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين لم يقتصر في طلبه العلم على تخصص واحد، بل حاول أن يجمع في تحصيله العلمي أكثر من تخصص، وهذا ظاهر من نتاجه التألّيفي فيما بعد، فقد نشأ على حب المعرفة، والجِدِّ في البحث، والمثابرة في السَّعي وراء المادة العلميّة، يلتزمها من كلّ سبيل، وظلَّ نشاطه هذا إلى أن وافته المنية، بعد أن أتحف المكتبة العربيّة ببعض النِّفائس من عطائه العلميّ المتنوّع والمتوزّع على عدد من صنوف العلم، منها: السّيرة، والتّاريخ، والتّصوف، والأدب، والرّحلات .

ولا ريب في أن نشأته في أسرة لها القِدْحُ المعلّى في حُبِّ العلم، والحرص على نشره، كان لها أثرٌ قويٌّ فيما وصل إليه من مكانة مرموقة بين علماء عصره، أفصح عنها (عبد الرزاق البيطار ١٣٣٥ هـ) في قوله عنه: "الإمام السيّد السّند، والهُمام الفهامة المعتمد، فريد عصره، ووحيد شاميه ومصره، الوارد من زلال المعارف، الصّاعد لأعلى ذروة العوارف، نبعه صافيتها ومبتدأ معينها، المؤيّد بأحكام شريعة جدّه حتّى أبان صبح يقينها، من بيت العلم والجلالة والسّيادة، والعزّ والرئاسة والسّعادة، ولا ريب أنّه كان شامة الشّام، وغرّة اللّياالي والأيام"^(٢).

(١) مصادر ترجمته المعتمدة:

عرّف البشّام فيمن ولي فتوى دمشق الشّام (مقدمة الكتاب)، وتنتظر ترجمة المُرَادِيّ لنفسه في هذا الكتاب ص ١٤٤ - ٢١٤ .

توشيح الأسفار في مديح الأسفار للمُرَادِيّ، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ع ٢٣، سنة ٢٠٠٢م، ص ٩٧ - ١٠٠ .

سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ٣/١ .

تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي ١٤٠/٢ - ١٤٢ .

تاريخ أدب اللغة العربية ٣/٣١٩ .

حلية البشّر في تاريخ القرن الثالث عشر ١٣٩٣ - ١٤٠٥ .

هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ٣٤٩/٢ - ٣٥٠ .

إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ٢٣/٤، ٥٠١ .

معجم المطبوعات العربية والمعربة ١٧٢٣/٢ .

إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ١٣٢/٧، ٢٣٤ .

الأعلام للزركلي ١١٨/٦ .

معجم المؤلفين ٢٩٠/٩ .

محمّد خليل المُرَادِيّ ت ١٢٠٧ هـ، ودوره في الكتابة التاريخية، دراسة في المنهج، مهدي أحمد سالم المبيضين، (وفيه ترجمة موسعة).

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ١٣٩٣ .

ولعلَّ أوضح الآثار في تكوين شخصيته العلمية يرجع إلى جده (محمَّد بن محمَّد ١٠٩٤ - ١١٦٩ هـ)، الذي ولد في القسطنطينية، ورحل إلى الرُّوم، وهناك بلغه خبر وفاة والده، فتركَ الدُّنيا ومُتَعَهَا، وآثَرَ الزُّهْدَ، وَحَجَّ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، تَوَلَّى مَنْصَبَ قِضَاءِ الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ، وَأَلَّفَ مَوْلاَفَاتٍ، تَجَاوَزَتْ الْأَرْبَعِينَ^(٣).

ثم يرجع إلى أبيه (علي بن محمَّد ١١٣٢ - ١١٨٤ هـ) الذي حفظ القرآن، ورحل في طلب العلم إلى مكَّة المَكْرَمَةِ، والمدينة المنورة، والقسطنطينية، وتولَّى قضاء القدس، وأُسند إليه التدريس في المدرسة السُّليمانية، كان شاعرًا، وله مَوْلاَفَاتٌ عَدَّة^(٤).

ترجم (المُرَادِيّ) لنفسه في كتابه (عَرَفَ الْبَشَامَ فِيمَنْ وَلِيَ فِتْوَى دِمَشْقَ الشَّامِ) في فصل كامل، هو الفصل الخامس^(٥)، وأورد في ثنايا ترجمته بعض نماذج من شعره، ومن شعر غيره من الشُعراء الذين بادروا إلى تأريخ توليه منصب الفتوى، وتهنئته به. وَمِنْ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ أَفَادَ (عبد الرزاق البيطار ١٣٣٥ هـ) في كتابه (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر)، و(الجبرتي ت ١٢٣٧ هـ) في تاريخه، وقد اعتمدتُ على هذه الترجمات، وعلى غيرها، وأدّتُ منها في التَّعْرِيفِ الموجز بالمؤلف في السُّطور الآتية:

فهو "محمَّد خليل أبو المؤدَّة بن السيِّد العارف عليّ بن السيِّد محمَّد بن القطب السيِّد محمَّد مراد المعروف بالمُرَادِيّ، ابن علي الحسيني الحَنَفِيّ"^(٦)، ولد في دمشق، وتلقَّى علومه على يد كبار علماء عصره، منهم: شيخه الذي ساعده على حفظ القرآن الكريم: سليمان الديركي^(٧)، ومنهم: محمَّد عيسى الكتاني، وإبراهيم ابن عبد الله الميداني، وإبراهيم بن علي الجُمصِيّ، وخليل الكاملي، وكمال الدِّين الصِّديقي، ومصطفى العلواني^(٨).

ونظرًا لمنزلته السَّامية في الأوساط الثَّقَافِيَّة أُسندتُ إليه بعضُ الوظائف المهمَّة، منها: نظارة المسجد الأمويّ عام (١١٩١ هـ)، وإفتاء دمشق في السَّابع من شعبان (١٩٩٢ هـ) بعد عزْلِ ابن عمِّه عبد الله

(٣) عَرَفَ الْبَشَامَ فِيمَنْ وَلِيَ دِمَشْقَ الشَّامَ ص (ز) وينظر في مَوْلاَفَاتِهِ الْكِتَابَ ذَاتَهُ ١١٢ - ١١٤.

(٤) عَرَفَ الْبَشَامَ فِيمَنْ وَلِيَ دِمَشْقَ الشَّامَ ص (ز)، وسلك الدرر ٢١٩/٣.

(٥) ص ١٤٤ - ٢١٤.

(٦) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ١٣٩٣، وللتوسع في الوقوف على حياته وأسرته يرجع لأطروحة الدكتوراه الموسومة بمحمَّد بن خليل المُرَادِيّ ودوره في الكتابة التاريخية: دراسة في المنهج ٥٨ وما بعدها.

(٧) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ١٣٩٣.

(٨) عَرَفَ الْبَشَامَ فِيمَنْ وَلِيَ دِمَشْقَ الشَّامَ ص (ط)، وللتوسع في الوقوف على أسماء شيوخه يرجع لأطروحة الدكتوراه الموسومة بمحمَّد بن خليل المُرَادِيّ ودوره في الكتابة التاريخية: دراسة في المنهج ٧٧.

بن الطاهر، ونقابة الأشراف في دمشق بعد وفاة والده (١٢٠٥هـ)^(٩).

أمّا رحلاته فقد أفصحَ هو عنها خلال ترجمته لنفسه، فقد رحل إلى القسطنطينية، والحجاز، وغيرهما، وأخيراً رحل إلى حلب^(١٠) عام (١٢٠٥هـ)، وهناك التقى عدداً من الشعراء والكتّاب والفقهاء، وأدرّكته المنية فيها عام (١٢٠٦هـ)^(١١).

كلمة في أدبه:

(المُرَادِيّ) أديبٌ أريبٌ، له قدم راسخة في التدبّيج النثري، وباعٌ طويل في النظم الشعري، فعلى صعيد النثر نجد له مكاتباتٍ ورسائلَ مع أدباء عصره وعلمائه الذين بادلوهُ الرُودَ برسائل أدبيّة^(١٢) مثلها، كما فعل (الدويكي) الذي راسلَه برسالة لا تزال مخطوطة، ورسائلُ (المُرَادِيّ) أدبية، حاول التأنّق فيها قدر الإمكان، وأفرغ فيها كلّ طاقاته اللغوية والبلاغية حتى وصل به الأمر إلى حد المغالاة بإسرافه في إظهار ضلّاعته، وقدرته على التّعبير، وبراعته في التّحبير، ففسد الأسلوب بما تغلغل فيه من إطناب ممِل^(١٣)، وترادف مخلّ، في ظلّ نسيان الموضوع الرئيس، والمعنى الأساس الذي يسعى إليه، والجري وراء اقتناص الجمل المترادفة، وتحميلها ما لا تحتمل من أوجه المحسنات البديعيّة والبيانيّة، في حين أنّ المعنى المراد لا يقتضيها، وهي على كلّ حال تعدّ رسائل تعليمية أكثر منها موضوعيّة هادفة، فهي تساعد الأدباء وأرباب البيان على البراعة التعبيرية، وتحسين أساليبهم، وإمدادهم بحصيلة لفظيّة وافرة، وهذا ظاهر من ترجمته الدّائيّة المثبتة في كتابه (عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشّام) ، وواضح أيضًا من رسالته (للزّبيديّ ت ١٢٠٥ هـ)، مؤلف معجم تاج العروس، تلك الرسالة المذكورة في كتاب حلية البشر في تاريخ القرن الثّالث عشر^(١٤)، وهذا أنموذج من ترسله، يوضح طبيعة الأسلوب الشائع في تلك الفترة، قال (المُرَادِيّ) في رسالته (للسّيّد المرتضى الزّبيديّ) عام (١٢٠٠ هـ) يلتبس منه بعض تراجم العلماء المصريين ليُدْرَجَها في كتابه (سلك الدُّرر): "ولقد كنت حرصت الأستاذ لا برح وجوده للسّائل نفعاً، والدّهر لما يقول مجيباً سمعاً، لجمع تراجم المصريين والحجازيين، ومَن للأستاذ الوقوف على ترجمته وحاله من أهل الأمصار، من أبناء القرن

(٩) عَرَفَ البَشَامُ فيمن وَلِيَ دمشق الشّام ص (ط)، وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ١٣٩٨، والأعلام ١١٨/٦، وللتوسع في وظائفه يرجع لأطروحة الدكتوراه الموسومة بمحمّد بن خليل المُرَادِيّ ودوره في الكتابة التاريخية: دراسة في المنهج ٧٢.

(١٠) عَرَفَ البَشَامُ فيمن وَلِيَ دمشق الشّام (ط)، وتوشيح الأسفار في مديح الأسفار ٩٧، وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ١٤٠٥، والأعلام ١١٨/٦.

(١١) للتوسع في الوقوف على رحلاته يرجع لأطروحة الدكتوراه الموسومة بمحمّد بن خليل المُرَادِيّ ودوره في الكتابة التاريخية: دراسة في المنهج ٧٩ - ٨١.

(١٢) قال الجبرتي: إنه كتب إليه رسالة عام ١٢٠٥ هـ أي قبل وفاته بعام. ينظر تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ١٤١/٢.

(١٣) عَرَفَ البَشَامُ فيمن وَلِيَ دمشق الشّام، مقال منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ص ٥٧٧، ع ٥٥، ج ٣، ١٩٨٠م.

(١٤) ص ١٤٠٣.

الثاني عشر، وَوَعَدَ - حفظه الله - بالإنجاز ولسبب الشواغل الطارئة في هذه السنين الموجبة لتكدير الأفكار، ورخص أسعار الأشعار، وإخلاق بُرد الفضائل وذاك الشعار، أوجب قطع المراسلة وتأخير المطلوب والمأمول، ولم يُفْزِ المحبُّ بمرام من ذلك ومسؤول، ولما كنتُ في الرُّوم قبل ذلك العام، جرى ذكر الأستاذ لدى حضرة أحد رؤسائها الأجلّة الصّناديد القُروم، فأطال بالمدح وأطنب، ثم جرى ذكر التاريخ وفقدانه في هذا الوقت وعدم الرّغبة إليه من أبناء الدهر، مع أنّه هو المادة العظمى في الفنون كلها، فتأوّه تأوّه حزين، وكان في مجلسه أحد الأفاضل المولعين باقتناص الأخبار، فقال: إنّ الأستاذ أبا الفيض مُرْتَضَى - بلغه الله مرامه، وقرن بالنجاح آماله وبالسُّعود أيّامه - قد باشر تأليف تاريخ عظيم بإشارة هذا، وأشار إليّ، فقلتُ: نعم، قد كنت حُرِضت الأستاذ بجمع ذلك ولا أدري كيف فعل؟ هل أوقد للطوروس^(١٥) تلك المصابيح والشُّعل، أم عاقه الزّمن بأحواله؟ ... ثم إنه أطال على الأستاذ في الثناء، وأجال^(١٦) طرف المدح في حلبة ذلك المجلس إلى المساء، فسرّني هذا الخبر الطّارئ، من ذلك الرجل الإخباريّ، وطرت بأجنحة السُّرور والأمانى، وقلتُ: قد صافاني زَماني، ولما عدتُ لبلدتي دمشق دامت معمورة، وبالخيرات مغمورة، وقعتُ بأشراك الشّواغل المتبادرة، وتركتُ من الفنون كلّ نادرة ... والآن بادرت لنسخ هذه الأسجاع، بيد اللّيراع، وحررتَه عَجلاً، ورقمته حَجلاً، فالمأمول تبييض مسوّدات التّراجم، وإرسالها حتّى تكمل بها مادّة التّاريخ، وبحسن توجهاتكم القلبية، مع هذه الأشغال الدّنيويّة... والمأمول سنرّ عواره المتبادر، والإغماض عمّا أظهره الفكر القاصر، والذهن الفاتر، وألقته أفواه المحابر، على صفحات الدّفاتر، ولك الثّناء العاطر، والسّلام الوافر، والشّوق المتكاثر، من القلب والخطر، ما همّى وادقّ، ودّرّ شارق، وصدّح يمام، وناح حمام، وسخّ ركّام، وفاح خُزام والسّلام^(١٧).

وأنا مع الأستاذ (محمّد عبد اللطيف فرفور) فيما ذهب إليه من أن "أسلوب هذا الرجل قديم مناسب لزمانه، طويل مملّ، فيه كثير من الحشو والإطناب، وهو - رحمه الله - معذور في ذلك، فليس في وسع الرجل أن يتجاوز عصره، وأن يكلّمنا بلغة أهل القرن الرابع عشر وبداية الخامس عشر، وهو في نهاية القرن الثاني عشر، وبداية الثّالث عشر الهجريّ، فهو إنما يكتب بلغة ذلك العصر"^(١٨).

أما شعره فقد توزّع بين عدّة أغراض، منها: الفخر، والشّوق والحنين، والغزل، والمديح النّبويّ، والشّعر الصّوفي، وشعر المناجاة والضّراعة إلى الله، والشّكوى، وشعره خالٍ من التّعقيد، سهل الألفاظ، قريب المأخذ، لا يخلو من آيات البيان، ولكن تطغى عليه المحسنات البديعيّة، ويغلب عليه الاهتمام بتشطير سوائر أبيات الشعراء القدماء، أو تخميس قصائدهم كما في تشطيره بعض أبيات لـ (عبد الله بن الدّمينة)، وأخرى لـ (ابن عبد ربه)، وتخميّسه قصيدة (ابن سوار الإسرائيليّ)، وقد أورد في كتابه هذا بعضه، وأورد في كتابه (عَرَف البشّام فيمن ولي فتوى دمشق الشّام) بعض قصائده، ومن شعره^(١٩):

(١٥) في المصدر: الطوروس، وهو تحريف.

(١٦) في مصدره أطال، وهو تحريف.

(١٧) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ١٤٠٢ - ١٤٠٣.

(١٨) عَرَف البشّام فيمن ولي دمشق الشّام، مقال منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ص ٥٧٧، ع ٥٥، ج ٣، ١٩٨٠م.

(١٩) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ١٤٠٤.

أَدِرْ ذِكْرَهُ إِنَّ الْفَوَادَ لَذُو ضَنْئِي
وَرَوْحَ نَفُوسِ الْعَاشِقِينَ بِنَعْتِهِ

وقوله^(٢٠):

يَا رَبِّ إِنَّ دُنُوبِي
وَفِيكَ كُلُّ يَقِينِي

وقوله^(٢١):

إِذَا مَا دَهْنُكَ صُرُوفُ الزَّمَانِ
فَدَاوِمْ عَلَى الصَّبْرِ تَلْقَى الْمَرَامَ

وقوله مشطراً أبيات (ابن عبد ربه)^(٢٢):

وَدَعَتْنِي بِزَفْرَةٍ وَاعْتِنَا
وَتَهَادَتْ عِنْدَ الْفِرَاقِ عَشِيًّا
وَبَدَتْ لِي فَأَشْرَقَ الصُّبْحُ مِنْهَا
وَأَرْتَنِي طُلُوعَ شَمْسٍ وَبَدْرٍ
يَا سَقِيمَ الْجُفُونِ مِنْ غَيْرِ سَقَمٍ
فِتْنَةُ الْعَاشِقِينَ أَنْتَ لِهَذَا
إِنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ أَصْعَبُ يَوْمٍ
كُلُّ مَنْ فِي هَوَاكَ عَانٍ يُنَادِي:

وَأَنَّ لَهُ ذِكْرَ الرَّسُولِ شِفَاءً
فَفِيهِ لِدَاءِ الْعَاشِقِينَ دَوَاءٌ

كَثِيرَةٌ لَيْسَ تُخَصَّرُ
بِأَنَّ عَفْوَكَ أَكْثَرُ

وَوَافَاكَ مِنْهُ سَقَامٌ وَخَطْبٌ
وَفِيهِ مَعَ الْفَوْزِ لِدَاءُ طِبِّ

وَأَثَارَتْ لَوَاعِجَ الْأَشْوَاقِ
ثُمَّ نَادَتْ مَتَى يَكُونُ التَّلَاقِ
يَتَسَامَى بِزَائِدِ الْإِشْرَاقِ
بَيْنَ تِلْكَ النُّهُودِ وَالْأَطْوَاقِ
قَدْ فَتَحْتَ الْقُلُوبَ بِالْأَحْدَاقِ
بَيْنَ عَيْنَيْكَ مَصْرَعِ الْعُشَّاقِ
أَوْرَثَ الْقُلُوبَ زَائِدَ الْإِحْرَاقِ
لِيَتَنِي مِتُّ قَبْلَ يَوْمِ الْفِرَاقِ

لقد مثل الرجل بعبائه العلمي المتنوع قامةً علمية سامقة، حدثت بعلماء عصره إلى الإشادة به وبثقافته، وبفضله في النهوض بالحياة العلمية في عصره، يتجلى ذلك من تنويه (عبد الرحمن الجبرتي ت ١٢٣٧ هـ) بمكانته في نصه المثبت في صدر هذه الترجمة.

مؤلفاته:

حصر مؤلفاته كل من د. (عمر حمدان الكبيسي)، ومحققي كتاب "عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام" في سبعة كتب، وحصرها د. (مهند المبيضين) في تسعة كتب، منها كتب لم ترد لدى من سبقه، وأثبت هنا ثبناً بهذه المؤلفات مضيئاً إليها ما لم يرد عند السابقين وذاكراً المطبوع منها والمخطوط:

(٢٠) السابق ١١٠٤.

(٢١) السابق ١١٠١، كذا ورد البيت الأخير بدون جزم الفعل (تلقى)؛ لكونه جواباً للطلب

(٢٢) السابق ١١٠١.

- ١- إتحاف الأخلاف بأوصاف الأسلاف، وهو في تراجم أسلافه من آل المُرَادِيّ (٢٣)
 - ٢- إتحاف أهل العصر في اقتباس (أليس لي مُلْكٌ مِصرَ). يوجد مخطوطاً في شستريبيتي، إيرلندا، دبلن، رقم ٤٧٥٦/٦ (٥)، ومكتبة جامعة الكويت، رقم ٣٢٥٣ م ك مجموع رقم (٥) عن شستريبيتي. حَقَّقْتُهُ ولما يُنَشَرُ بعد.
 - ٣- تحفة الدهر ونفحة الزهر في أعيان أهل المدينة من أهل العصر، في مكتبة جامعة كمبردج، إنجلترا، رقم (٢٢١/٧٨٥) (٢٤).
 - قلت: يوجد كتاب بهذا العنوان مخطوطاً ومنسوباً لـ (عمر بن عبد السلام المدني، الداغستاني ت بعد ١٢٠١ هـ) في: مكتبة مكة المكرمة، رقم (١٨٧٣ م). ومكتبة جامعة الكويت، رقم (١٣٩٣ م). ومكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، رقم (٢٦٠٧) ف.
 - ٤- تراجم رجال القرن الثالث عشر، في مكتبة برنستون، الولايات المتحدة الأمريكية، رقم (٦٥٠).
 - ٥- توشيح الأسفار في مديح الأسفار في : مكتبة شستريبيتي، إيرلندا، دبلن، رقم (٤٧٥٦/٦) (٦).
 - ومكتبة جامعة الكويت، رقم (الحفظ: ٣٢٥٣ م ك مجموع ٦ عن شستريبيتي ٦/٤٧٥٦). والمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، رقم (٤٧٥٦).
 - وحققه (عمر حمدان الكبيسي)، ونشره في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، ع ٢٣، ٢٠٠٢ م، ص ٩١ - ١٤٩.
 - ٦- ديوان شعر (٢٥).
 - ٧- ذيل سلك الدرر (٢٦).
 - ٨- رسالة ترجم فيها لبعض علماء حلب (٢٧).
-
- (٢٣) عَرَفَ البَشَامُ فيمن وَلِيَ دمشق الشَّامَ ص ي، والأعلام ١١٨/٦، وهدية العارفين ٣٤٩/٢، ومعجم المؤلفين ٢٩٠/٩، ومحمد بن خليل المُرَادِيّ ودوره في الكتابة التاريخية: دراسة في المنهج.
- (٢٤) عَرَفَ البَشَامُ فيمن وَلِيَ دمشق الشَّامَ ص (ي)، والأعلام ١١٨/٦، ومعجم المؤلفين ٢٩٠/٩، ومحمد بن خليل المُرَادِيّ ودوره في الكتابة التاريخية: دراسة في المنهج ٨٩.
- (٢٥) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ١١٠٤.
- (٢٦) محمد بن خليل المُرَادِيّ ودوره في الكتابة التاريخية: دراسة في المنهج ٨٨.
- (٢٧) عَرَفَ البَشَامُ فيمن وَلِيَ دمشق الشَّامَ ص (ي)، ومحمد بن خليل المُرَادِيّ ودوره في الكتابة التاريخية: دراسة في المنهج ٩١.

٩- رساله في الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة: منها نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق، رقم (١١٠٠٩) (٢٨).

١٠- الرُّوض البَلِيل فيما يَنْعَلِق بِقَصِيدِهِ ابن إِسْرَائِيل، في:

شستريبيتي، إيرلندا، دبلن، رقم (٤٧٥٦/٦) (٣).

ومكتبة جامعة الكويت، رقم (٣٢٥٣) مج ٣ عن شستريبيتي.

والمكتبة المركزية بجامعة الامام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، الرياض، رقم (٤٧٥٦).

وهي قصيدة شعرية، شَطَّرَ فيها شَاكِر بن مصطفى العمري قصيدة محمد بن سوار الدمشقي (ت ٦٧٧ هـ).

١١- السَّلَك البَدِيع الغَالِي في ذِكْر أَسْمَاء الشَّفِيع الغَالِي، في:

مكتبة شستريبيتي، إيرلندا، دبلن، رقم (٤٧٥٦/٦) (٢).

ومكتبة جامعة الكويت، رقم (٣٢٥٣) مج ٢ عن شستريبيتي.

وهي منظومة شعرية، أَعْمَل في تحقيقتها.

١٢- سِلَك الدُّرَر في أَعْيَان القرن الثَّانِي عَشْر:

طبع في مطبعة بولاق في أربعة أجزاء سنة ١٣٠١ هـ، يُوجد منه مختصر مخطوط في المكتبة الظاهرية دمشق، رقم (٤٦١٩) (٢٩). وطبع مراراً، منها: طبعة دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

وتوجد منه نسخ مخطوطة في:

مكتبة عارف حكمت، المدينة المنورة، رقم (٩) تاريخ.

ومكتبة الجامعة، بيروت، رقم (١١٠٤)، ونسخة أخرى برقم (١٨٤).

ومكتبة الجامع الكبير، صنعاء، رقم (٢١٢٦).

ومن الجزء الأول نسختان بعنوان: (أسلاك الدُّرَر في أَعْيَان القرن الثَّانِي عَشْر)، في مكتبته مَكَّة المَكْرَمَة، رقم (١٢٠) تاريخ.

١٣- السَّيْرَة الذَّاتِيَّة لِلْمُرَادِي (٣٠):

(٢٨) مُحَمَّد بن خَلِيل المُرَادِي ودوره في الكتابة التاريخية: دراسة في المنهج ٩١.

(٢٩) عَزْف البَشَام فيمن ولي فتوى دمشق الشَّام ص (ي)، ومُحَمَّد بن خَلِيل المُرَادِي ودوره في الكتابة التاريخية: دراسة في المنهج ٨٧.

(٣٠) مُحَمَّد بن خَلِيل المُرَادِي ودوره في الكتابة التاريخية: دراسة في المنهج ٩٢.

١٤- عَرَفَ البَشَامُ فيمن ولي فتوى دمشق الشام^(٣١):

حققه محمّد مطيع الحافظ، ورياض عبد الحميد مراد، ونشراه في مجمع اللغة العربيّة بدمشق، ١٩٧٩م، ونشرت طبعته الثانية دارُ ابن كثير، دمشق، ١٩٨٨م.

ولعلّ تحقيق هذا الكتاب على نسختين فقط، إحداهما نَسَخَهَا العلامة خليل مردم بك عن الثّانية المعتمدة، وهي نسخة المكتبة الظّاهرية، بدمشق، رقم (٩٠٥٨) يجعل هذا الكتاب محلّ اهتمامٍ مرة ثانية، إذ توجد منه نسخ مخطوطة أخرى في بعض المكتبات، منها:

نسخةُ بدار الكتب المصرية، القاهرة، رقم (٤٢٢/٥).

ونسخةُ بمكتبة شستريبيتي، إيرلندا، دبلن، رقم (٣٤٨٣/٢).

ونسخةُ بمعهد المخطوطات العربي، رقم (١١٦٢).

١٥- قصيدة: منها نسخة مخطوطة في مكتبة الجامعة، بيروت، رقم (٢٥/٧٢٠).

١٦- مجاني الثّمار من تهاني العذار، وهو ما بين أيدينا الآن، وسيأتي الحديث عنه بالتفصيل.

١٧- مَطْمَح الوَاجِد في تَرْجَمِهِ الوَالِد المَاجِد، في:

مكتبة المتحف البريطاني، لندن، رقم (٦٥٩) ملحق^(٣٢).

وَمكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، الرياض، رقم (ب) ٢١٥٩٧-٢١٦٠٢.

١٨- معجم مَن لقيه من العلماء^(٣٣).

١٩- النّفح العاطر النّشِق في مدح مشمش دمشق، في:

مكتبة شستريبيتي، إيرلندا، دبلن، رقم (٤٧٥٦/٦) (٧).

(٣١) انظر عرضاً لهذا الكتاب لمحمّد عبد اللطيف فرفور بعنوان: عَرَفَ البَشَامُ فيمن وَلِيَ دمشق الشّام، مقال منشور. بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ع ٥٥، ج ٣، ١٩٨٠، وعلى هذا الكتاب تقرّظ مخطوط لمحمّد بن مصطفى الدويكي، في مكتبة جامعة الكويت، رقم (٩٨٠)، ورقم (٢٨٧) مج ٤ عن الظاهرية رقم (٥٢٤١).

(٣٢) إيضاح المكنون في الدّيل على كشف الظنون ٥٠١/٤، تاريخ آدب اللغة العربية ٣١٩/٣، وعَرَفَ البَشَامُ فيمن وَلِيَ دمشق الشّام ص (ي)، والأعلام ١١٨/٦، ومعجم المؤلفين ٢٩٠/٩، ومحمّد بن خليل المُرَادِيّ ودوره في الكتابة التاريخية: دراسة في المنهج ٩٠.

(٣٣) عَرَفَ البَشَامُ فيمن وَلِيَ دمشق الشّام ص (ي)، ص ٢، لعله المذكور في رسالة توشيح الأسفار بمدح الأسفار ص ٩٨ باسم: (المعجم المختص: تراجم شيوخه ومن أخذ عنه أو ساجله، أو جالساه من رفيق أو صاحب).

والمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، رقم (٤٧٥٦) (٣٤).

النسخة المعتمدة في التحقيق:

اعتمدت في تحقيق هذا المخطوط على نسخة وحيدة، هذه بياناتها:

عنوان المخطوط: مجاني الثمار من تهاني العذار.

عدد الأوراق: (٦) لوحات، وفي كل لوحة صفحتين، وفي كل صفحة (١٩) بيتاً، ما عدا الورقة الأخيرة ففيها أربعة أبيات.

اسم المكتبة: شستريبيتي، إيرلندا، دبلن رقم ٤٧٥٦/٦ (٤)

ومنها صور في مكتبة جامعة الكويت رقم (٣٢٥٣) عن نسخة شستريبيتي .

وقد اشتمل مخطوط (المُرَادِي) على (١٤) ما بين نتفة ومقطوعة وقصيدة، لـ (١٤) شاعراً.

تحقيق نسبة المخطوطة لمؤلفها:

ليس هناك شك في نسبة هذا المخطوطة لمحمد بن خليل المُرَادِي، والدليل على نسبتها له قوله ناسباً إياها لنفسه في بدايته: "وَبَعْدُ، فيقول العبدُ الفقيرُ إلى عفو مَولاهِ القديرِ، أبو الفضلِ، صَدْرُ الدِّينِ، مُحَمَّدٌ خَلِيلُ بنِ عَلِيٍّ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ مُحَمَّدٍ مُرَادِ الحُسَيْنِيِّ الحَنَفِيِّ الدَّمَشْقِيِّ المُرَادِيِّ، غَفَرَ اللهُ سَيِّئَاتِهِ، وَضَاعَفَ حَسَنَاتِهِ".

منهج التحقيق:

اتبعْتُ في تحقيق هذه المخطوطة منهجاً، حاولتُ بوساطته إيرادَه كما أرادَ له مؤلفه، أو قريباً منه، يُمَثِّلُ هذا المنهج في الآتي:

- ١- كتابة المخطوط بالخط الإملائي الحديث دون الالتفات إلى المنهج المتبع في كتابته خصوصاً في تجاهل الهمزة مرّة، وكتابتها في غير موضعها الصحيح مرة أخرى.
- ٢- ترجمتُ لمن تمكّنت من العثور لهم على تراجم من أعلام الشعراء أصحاب القصائد المذكورة في المخطوط.
- ٣- ولما كان من الأهداف الأساسية للشُعراء من نظم هذه الأشعار هو التأريخ لمناسبة في حياة صديقهم في كل قصيدة أو مقطوعة أو نُتفة فقد قمتُ بتحديد الحروف التي بمجموع ما يقابلها من الأرقام على طريقة حساب الجمل، ووضعها بين علامتي تنصيص توضيحاً لمناط التأريخ في القصيدة.

(٣٤) ثمة مخطوطات ألفها غيره، ولكنها تتعلق بترجمته، منها:

١- إجازات المُرَادِي من مشايخه، في المكتبة الظاهرية، دمشق، رقم (١١١٠٨)، ومكتبة جامعة الكويت (٧٣٦٩).

٢- إجازة في مفتي الحنفية بدمشق محمد خليل أفندي المُرَادِي، في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض رقم (٢١٤١-ف).

٣- رساله من محمد بن مصطفى الدويكي إلى خليل المُرَادِي، في المكتبة الظاهرية بدمشق، رقم (٥٩٤١، ٢٤٠).

٤- ضبطت النّص بالشّكل، وقد أورده المؤلف من دون ضبط.

٥- شرحتُ بعض الألفاظ التي تحتاج إلى شرح.

٦- وزنتُ الأبيات، وأثبتُ أسماء البحور في مقدّمة كل نُتفة ومقطوعة وقصيدة.

موضوع المخطوطة وقيمتها:

لم تخرج المخطوطة في موضوعها أو في خصائص المادة الشعريّة التي ضمّتها عمّا هو مألوف في عصر المؤلف أو الشعراء المعاصرين له، فهي تدور في فلك تلك الإبداعات التي وصلتنا عن مبدعي القرن الثاني عشر، من حيث الاهتمام بالمناسبات الاجتماعيّة، والحرص على تسجيلها بالشعر، والتأريخ لها، ومدح من تطوّف بهم المناسبات، بالإضافة إلى توظيف الفلزّة اللّغوية من محسّنات بديعيّة مع عدم الاهتمام بالصّيغة أو مراعاة القواعد الأساسيّة في اللغة العربيّة، فالمهم هو تحقيق هذه الأمور حتى ولو اضطرّ الشاعر إلى اللجوء إلى الضّرورات الشعريّة القبيحة وغير القبيحة، أو اللجوء إلى اللغة العامية، وتسهيل بعض الحروف، إمّا لتحقيق التأريخ المضبوط أو إقامة وزن، وأحياناً يضطرّ الشاعر إلى التّضحية بالوزن أو الصّيغة من أجل التّأريخ.

إن موضوع هذه المخطوطة ينصبّ في المقام الأول على التّأريخ لمناسبة طرأت على صديق عزيز عليهم، أثير لديهم، وهو الذي تولى جمع هذه القصائد، وإدراجها في هذه المخطوطة التي بين أيدينا، أمّا المناسبة فهي طريفة، وهي في الوقت نفسه ساذجة، ألا وهي ظهور لحية المؤلف، وإنبات عذراه، وهم يعنون بهذا أنّه ودّع مرحلة عمرية، ودخل في مرحلة عمرية مهمة، ذات أثر خطير في حياة الإنسان، إلا وهي مرحلة الشّباب، فموضوع المخطوطة يؤرّخ لهذا الحدث في حياة المؤلف بالشعر من ناحية، ويؤرّج له الأماديح في شخصه وفي أصله، إذن فالمادة الشعريّة التي ضمّتها المخطوطة تدور في فلك المديح والتّأريخ، تناول الشعراء في المديح الصّفات التي اعتاد الشعراء على توظيفها وإسداؤها للممدوحين، وهي هنا تدور في فلك الكرم، والهمّة، والشّهامة، والمروءة، والنّجدة، والعلم، والنّقوى، والورع، وكرم الأصل، والتّفرد بالمجد ...

أما التّأريخ فقد أجمع عليه كلّ من المؤلّف والشّعراء في كلّ القصائد والمقطعات، وهو عام (١١٨٧هـ)، فهذا العام نبت فيه عذار الشّاعر، فأرّخ بعض شعراء عصره له في ثنايا مديحهم، فمنهم من أرّخ له في بيت، ومنهم من أرّخ له في أقل من بيت، وقد استعملوا في هذا التّأريخ طريقة حساب الجمل، وهي طريقة تُعدّ من عجائب توظيف الشعراء للفنّ الشعريّ، وانحرافهم به عن المهمة الأساسيّة، وهي التّأثير في الوجدان.

أما طريقة حساب الجمل وتوظيفها في التّأريخ بالشعر فقد كانت معروفة وشائعة لدى الشعراء خصوصاً في تلك الفترة، فما من حدّث يحدث، أو مناسبة سعيدة تطرأ حتّى نجد لها صدى قوياً في التّأريخ بالشعر، فاحتشدت القصائد بتسجيل التّواريخ عن طريق حروف تعطي في النّهاية التّأريخ المقصود، يُذكرُ بعد لفظ (أرخ)، وما يُشتق منه.

وتقوم هذه الطريقة^(٣٥) على تقييم كل حرف برقم متبعة ترتب الحروف الأبجدية (أبجد هوَز حُطي كَلَمَن سَعْفَص قَرَشَت تَخَذُ ضَظغ) على هذا النحو:

- ١- (أبجد هوَز حُط): تبدأ بالآحاد مع زيادة رقم من حرف إلى آخر، مع اعتبار الألف المقصورة والهمزة إياها كان موضعها كالهزة التي على الألف، فتأخذ رقم ١، ومع اعتبار تاء التانيث المربوطة مثل الهاء فتأخذ رقم ٥، واعتبار الحرف المضعّف حرفاً واحداً.
- ٢- (ي كَلَمَن سَعْفَص): تبدأ بالعشرات، ويُضاف في الانتقال من حرفٍ إلى حرفٍ ١٠، ي = ١٠، والكاف = ٢٠، وهكذا إلى الصاد = ٩٠.
- ٣- (قَرَشَت تَخَذُ ضَظ): تبدأ بالمئات، ويُضاف في الانتقال من حرفٍ إلى حرفٍ ١٠٠، القاف = ١٠٠، والشين = ٢٠٠، وهكذا إلى الظاء = ٩٠٠.
- ٤- غ = ١٠٠٠.

وهذه بعض الأمثلة التطبيقية من واقع الأشعار المدرجة في المخطوطة:

- ١- قال (خير الدين أبو زكريا) في النتفة الأولى مؤرخاً:
وَقَالَ لَنَا: بُشْرَاكُم الْيَوْمَ أَرَّخُوا: "بَدَا النُّورُ فِي وَجْهِ الْخَلِيلِ مُمَجِّدًا"
التأريخ بالشطر الثاني فقط، وناتج جمع أرقام حروفه (١١٨٧).
- بَدَا النُّورُ فِي وَجْهِ الْخَلِيلِ مُمَجِّدًا
(٨٨ + ٧٠١ + ١٤ + ٩٠ + ٢٨٧ + ٧)
- ٢- وقال (أبو اللطف شاكر بن مصطفى ابن عبد الهادي العمري) في القصيدة الثانية، والتأريخ بالبيت كله، وناتج جمع أرقام حروفه (١١٨٧).

زَكَا سَطَّرَ، لَهُ وَجْهٌ وَجِيهٌ

٢٨ + ٢٦٩ + ٣٥ + ١٤ + ٢٤

بِهِ جَاءَ الْخَلِيلُ بِكُلِّ حَمْدٍ

٧ + ٥ + ١٠٤ + ٥٢ + ٥٢

- ٣- وَقَالَ الْفَاضِلُ الشَّيْخُ (شهاب الدين، أحمد بن يحيى العجلوني):

بَشِيرُ السَّعْدِ نَادَاكُم فَارَّخُ: كَمَالُ الْمَسْكِ فِي وَرْدِ الْخُدُودِ
التأريخ بالشطر الثاني فقط، وناتج جمع أرقام حروفه (١١٨٧).

(٣٥) استندت في هذا التوضيح على البرنامج الذي يفك شفرة حساب الجمل، ويمكن تحميل البرنامج وتنصيبه من الرابط الآتي: <http://www.mediafire.com/file/74ixxr^aacf6fg/>

كَمَالُ الْمَسْكِ فِي وَرْدِ الْخُدُودِ

٩١ + ١٥١ + ٩٠ + ٢١٠ + ٦٤٥

ومهما يكن من أمر فإن لهذه المخطوطة أهمية تتمثل في الجانب التاريخي الذي يُورِّخُ لحدِّثٍ مهم في حياة مؤرخ بارز من مؤرخي القرن الثاني عشر، ولها أهمية أخرى اجتماعية؛ حيث أوضحت طبيعة إحدى المناسبات التي كانت تُلقَى من المجتمع الحفاوة والاهتمام، وهي كذلك تُعطي خلفية عما كانت عليه الحياة الأدبية من مستوى، يُطلعنا على الوجه والوجه الآخر في الحركة الأدبية عبر العصور المختلفة، ثم إنها فوق هذا وذاك تعد أثراً من التراث العربي الذي أخذ من فكر الأجداد ووقتهم ما ينبغي البحث عنه، والوقوف عليه.



الورقة الأولى من المخطوط

مَجَانِي الْثَّمَارِ مِنْ تَهَانِي الْعِذَارِ تحقيق ودراسة

الحمد لله الذي زَيَّنَ الوجودَ بالعِذارِ واللَّحَى، وَخَصَّ هَذَا النُّوعَ الْإِنْسَانِيَّ بِخَصَائِصٍ لَا غَايَةَ لَهَا، وَلَا انْتِهَاءَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى رَسُولِهِ، مصباح الهدى، وآلِهِ وَصَحْبِهِ نُجُومِ الْإِهْتِدَاءِ وَالْإِقْتِدَاءِ.

وبَعْدُ، فيقول العبدُ الفقيرُ إلى عَفْوِ مَوْلَاهُ الْقَدِيرِ، أَبُو الْفَضْلِ، صَدْرُ الدِّينِ، مُحَمَّدٌ خَلِيلُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ مُرَادِ الْحُسَيْنِيِّ الْحَنْفِيِّ الدَّمَشْقِيِّ الْمُرَادِيِّ، غَفَرَ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ، وَضَاعَفَ حَسَنَاتِهِ: هَذَا تَعْلِيْقٌ، جُمِعَتْ فِيهِ الْقَصَائِدُ الَّتِي وَرَدَتْ عَلَى، وَالْمَدَائِحُ الَّتِي وَقَدَّتْ إِلَيَّ مِنْ إِخْوَانِي الْأَجَلَاءِ، وَأَصْحَابِي النُّبَلَاءِ، الَّذِينَ فَضَّلُهُمْ زَائِدُ الْإِسْتِهَارِ وَالشُّرُوقِ، وَتَخَيَّلَاتُ أَفْكَارِهِمْ تُسَابِقُ الْبُرُوقِ، وَلَا تَجَارَى بِالْمُبَارَاةِ وَاللُّهُوقِ، حِينَ بَقَلَ عِذَارِي^(٣٦)، وَكُمَلَ بِهِ مِنْ حَلِيَّةِ الْوَقَارِ شِعَارِي عَامَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِئَةٍ وَأَلْفٍ، وَسَمَّيْتُهُ: "مَجَانِي الثَّمَارِ مِنْ تَهَانِي الْعِذَارِ".

قَالَ الْمَوْلَى الْأَدِيبُ الْعَلَّامَةُ خَيْرُ الدِّينِ أَبُو زَكَرِيَّا، يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ الْمَشْهُورُ بِالتَّوْفِيقِ قَاضِي دِمَشْقِ^(٣٧): [من الطويل]

١- لَنَا الْعِزُّ حَيْثُ الدَّهْرُ وَقَى وَأَسْعَدَا وَأَبْدَى لَنَا خَيْرًا وَأَنْجَزَ مَوْعِدَا

٢- وَقَالَ لَنَا: بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ أَرْخُوا: "بَدَا النُّورُ فِي وَجْهِ الْخَلِيلِ مُمَجَّدَا"

وَقَالَ الْأَدِيبُ الْكَامِلُ أَبُو اللَّطْفِ شَاكِرُ بْنُ مُصْطَفَى بْنِ عَبْدِ الْهَادِي الْعُمَرِيِّ^(٣٨): [من الوافر]

١- طِرَارُ كَمَالٍ شَهْمٍ جَاءَ يُبْدِي لَنَا الْخَطَّ الشَّرِيفَ بِكُلِّ سَعْدٍ^(٣٩)

٢- وَمَنْشُورُ الْمَعَالِي فِيهِ لَامٌ بِمِسْكَ أَكْثَدَتْ عَنْوَانَ مَجْدٍ^(٤٠)

(٣٦) بَقَلَ وَجْهُ الْغُلَامِ: إِذَا ابْتَدَأَ فِيهِ الشَّعْرُ. جُمُورَةُ اللَّغَةِ ٣٧١/١، وَالْعِذَارُ: اسْتِوَاءُ شَعْرِ الْغُلَامِ، يُقَالُ: مَا أَحْسَنَ عِذَارَهُ: أَيَّ خَطٍّ لَحِيَّتِهِ. تَاجُ الْعُرُوسِ ٥٤٧/١٢.

(٣٧) يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ أَحَدُ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ، تَوَلَّى قِضَاءَ دِمَشْقَ كَمَا يَذْكُرُ الْمُؤَلِّفُ هُنَا، عَلَى حِينٍ يَذْكُرُ فِي كِتَابِهِ الْآخِرِ الْمَوْسُومَ بِعَرَفِ الْبُشَامِ فَيَمُنُ وَلِي فَتَوَى دِمَشْقَ الشَّامَ ١٦٨ أَنَّهُ وَلِيَ الْقِضَاءَ فِي مَكَّةَ أَيْضًا، لَهُ بَعْضُ الْمَدَائِحِ فِي الْمَوْلَى، مَدَحَهُ عِنْدَمَا تَوَلَّى مَنَصِبَ الْفَتَوَى فِي دِمَشْقَ عَامَ (١٩٩٢هـ).

(٣٨) شَاكِرُ بْنُ مُصْطَفَى الْحَنْفِيُّ الدَّمَشْقِيُّ أَحَدُ الْأَفْضَالِ الْبَارِعِينَ بِفَنُونِ الْأَدَبِ كَانَ أَدِيبًا أَرِيْبًا حَازِقًا لَطِيفًا نَبِيْهًا، وَلَدَ بِدِمَشْقَ عَامَ (١١٤٠هـ)، وَمِنْ مَشَايِخِهِ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الْمَنِينِيُّ وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْغَزِي مَفْتِي الشَّافِعِيَّةِ وَغَيْرُهُمَا، ارْتَحَلَ إِلَى اسْتَنْبُولَ، وَاسْتَقَرَّ بِهَا مَدَّةَ سَبْعِ سَنِينَ، يَنْسَخُ وَيَقَابِلُ الْكُتُبَ بِهَا، وَلَهُ شَعْرٌ حَسَنٌ. سَلَكَ الدَّرَجَ فِي أَعْيَانِ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ ١٨٣/٢.

(٣٩) الْمَقْصُودُ بِالْخَطِّ هُنَا الْعِذَارُ.

(٤٠) الضَّمِيرُ فِي أَكْثَدَتْ يَعُودُ عَلَى الْمَعَالِي.

مَجَانِي
الْثَّمَارِ مِنْ
تَهَانِي
الْعِذَارِ
لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ
بْنِ عَلِيٍّ
الْمُرَادِيِّ (ت)
(١٢٠٦هـ)

- ٣- أَمِ الْبَذْرُ الْمَنِيرُ نَمَاهُ أَصْلٌ
٤- فَجَاءَ عِذَارُ مَنْ أَضْحَى بِعِزٍّ
٥- كَسَاهُ خُلَّةُ الْأَسْلَافِ لَمَّا
٦- وَوَشَّى بِالسُّعُودِ كَمَالَ ذَاتٍ
٧- وَحَلَّى بِالْفَخَارِ رِذَاءَ جُودٍ
٨- مُعَنِّي بِالْفَضَائِلِ وَالْمَعَالِي
٩- وَلَا بِدَعٍ فَمِنْ آلِ الْمَرَادِي
١٠- وَلَمَّا حَاكَ لِلْعَلِيَاءِ عِذَارًا
١١- "زَكَا سَطْرٌ، لَهُ وَجْهٌ وَجِيهٌ
- أَصِيلٌ مُورِقٌ بِحُلَى مَعَدٍّ^(٤١)
خَلِيلًا لِكَمَالِ بِرَقَمِ رُشْدٍ
سَمَا فِي رَوْضِ عَلِيَّاهُ بِرِفْدٍ
تُفَاوِخُ بِالْغُلَامِ مَظُورَ نَدٍّ^(٤٢)
وَطَالَ نَدَى وَفَاقَ بِفَضْلِ أَيْدِي^(٤٣)
سَمِيرُ بَيَانِهَا مِنْ عَهْدِ مَهْدٍ^(٤٤)
عَلِيٍّ أَضْلُهُ فَالْفَرْعُ مُجْدٍ^(٤٥)
بَدَا تَارِيخُهُ مَنَظُومَ عِقْدٍ^(٤٦)
بِهِ جَاءَ الْخَلِيلُ بِكُلِّ حَمْدٍ^(٤٧)

وَقَالَ الْعَلَامَةُ الْإِمَامُ شَيْخُنَا الشَّيْخُ غَرَسُ الدِّينِ، الْخَلِيلُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْكَامِلِيِّ^(٤٨): [من الكامل]

- ١- بُشْرَى فَتِلْكَ مَذَارِكُ الْأَوْطَارِ
٢- فَلَرَبَّمَا تَسْمُو الْمَرَاتِبُ بِالْفَتَى
٣- لَاسِيَّما نَجُلُ الْأُولَى سَادُوا الْوَرَى
٤- بَيْتُ الْوَلَايَةِ وَالْعُلُومِ وَمَنْ سَمَوْا
٥- لَا غَرَوْ فَالْعَلِيَاءُ تَحْتَ رِكَابِهِمْ
٦- آلُ الْمَرَادِي مَرْكَزُ الْأَمَالِ مَنْ
- تَسْعَى إِلَيْكَ بِنَيْلِهَا الْمَذَرَارِ^(٤٩)
طِفْلًا وَتَنُمُو قَبْلَ خَطِّ عِذَارِ
فَهُمُ الشُّمُوسُ مَصَادِرُ الْأَنْوَارِ
هَامَ السُّهَى وَمَنْ أَزَلِ الْأَقْمَارِ^(٥٠)
فَهُمُ الْخُلَاصَةُ نُخْبَةُ الْأَخْيَارِ
بِرِكَابِهِمْ لِلْفَضْلِ أَشْرَفُ دَارِ

(٤١) معد بن عدنان: بطن عظيم، تناسل منه عقب عدنان كلهم. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ١١٢١/٣.

(٤٢) الند: ضَرْبٌ مِنَ الطَّيِّبِ يُدَخَّنُ بِهِ. تاج العروس ٢١٥/٩.

(٤٣) الأيد: القوة. جمهرة اللغة ٥٥/١.

(٤٤) ربما كانت كلمة المعالي هي المعاني، لذكر الشاعر كلمة (بيانها) التي تتناسب المعاني، والكلمة غير واضحة

(٤٥) اعتري النقص التفعيلة الأولى من البيت، وهو إسكان الخامس مع حذف السَّابِعِ الساكن. فصارت (مفاعلتن) (مفاعلت). ينظر كتاب العروض القديم ١٩٤.

(٤٦) في الأصل: "حاك للعلياء عذارًا".

(٤٧) الخليل هو محمد بن خليل المرادي.

(٤٨) خليل بن عبد السلام بن محمد الكاملي الدمشقي الشافعي، ولد بدمشق عام (١١٤٦هـ)، ونشأ بها وأخذ العلوم عن أكابر علماء عصره، له إسهامات شعرية، توفي عام (١٢٠٧هـ)، ودفن في مقبرة باب الصغير. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ٥٩١/١.

(٤٩) النَّيْلُ: العطاء. المخصص ٤١٩/٣.

(٥٠) السُّهَى: كويكب صَغِيرٌ خَفِي الضُّوء. المحكم والمحيط الأعظم ٤٠٧/٤.

- ٧- ثَغُرُ الزَّمَانِ بِهِمْ تَبَسَّمُ ضَاحِكًا
 ٨- وَلَقَدْ بَدَتْ فِي أَفْقِهِمْ شَمْسُ الْعُلَا
 ٩- فَهَمَى الْخَلِيلُ أَخُو الْخَلِيلِ بَلِ ابْنُهُ
 ١٠- مِنْ لَمْ يَزَلْ مُذْ أَنْ مِنْهُ فِطَامُهُ
 ١١- فَلَقَدْ سَمَا بِالْمَجْدِ أَفْخَرَ مَنْزِلِ
 ١٢- وَلَقَدْ بَدَا مِنْهُ الْعِذَارُ كَأَنَّهُ
 ١٣- وَلَقَدْ شَدَا مِنْهُ الْمَحْيَا لِلْكَمَا
 ١٤- لَا زَالَ يَرْفُلُ بِالسَّعَادَةِ رَاقِيًا
 ١٥- مَا لَاحَ فِي الرُّوضِ الْأَنْيَقِ أَزَاهِرُ
- وَعَدَا يَجُرُّ لَهُمْ ذُيُولُ فَخَارِ
 فَتَلَفَعَتْ خَجَلًا شُمُوسُ نَهَارِ^(٥١)
 أَدْبَا وَنَجَلْ عَلَيَّ الْكَرَارِ^(٥٢)
 بِسَمَا الْفَضَائِلِ مُجْرِي الْأَنْظَارِ
 عَنْهُ يَقْصَرُ سَابِقُ الْأَفْكَارِ
 بَذَرٌ تَمْنُطُقُ بِالزَّبْرِجَدِ جَارِ^(٥٣)
 لِ مُورَخَا: "بِالسَّعْدِ لَاحَ عِذَارِي"
 أَوْجَ الْمَحَامِدِ سَامِي الْمَقْدَارِ^(٥٤)
 تُهْدِي شَذَاهَا نَسْمَةَ الْأَسْحَارِ

وقال العالم الفاضل الأديب أبو الفداء، جلال الدين، إسماعيل بن أحمد المنيني^(٥٥): [من المجتث]

- ١- سَمَا بِمَجْدٍ أَثِيلِ
 ٢- وَعَزَّ فِي أَنْ يُدَانِي
 ٣- الشَّهْمُ خِذْنُ الْمَعَالِي
 ٤- وَمَنْ حَوَى الْمَجْدَ إِرْثَا
 ٥- وَمَنْ كُوسَى ثَوْبَ عِزِّ
 ٦- فَلَاحَ مِنْهُ عِذَارُ
- مَنْ لَمْ يُقَسِّنْ بِمَثِيلِ
 بَيْنَ الْوَرَى بِعَدِيلِ^(٥٦)
 نَجَلُ الْمُرَادِي الْجَلِيلِ^(٥٧)
 عَنْ السُّرَاةِ الْأَصُولِ^(٥٨)
 وَافٍ بِقَصْدٍ وَسُـوَلِ
 لِسَّيْغِدٍ أَقْـوَى دَلِيلِ

(٥١) تَلَفَعَتْ: تَغَطَّتْ وَاسْتَتَرَتْ. تاج العروس ١٥٦/٢٢.

(٥٢) وردت الكلمة الأولى في الأصل (فهى)، وما أثبتته مناسبات لتواري الشمس، وفيض الممدوح بالأدب، كل هذا على التشبيه. كلمة الخليل الأولى اسم الممدوح، والثانية بمعنى الصديق، والكرار: الذي يتعطف ويتردد على الأمر حتى يحقق هدفه. ينظر المحكم والمحيط الأعظم ٦٥٢/٦.

(٥٣) تمنطق فلان بحزام: شدَّ وسطه بحزام يُطلق عليه منطقة أو نطاق. معجم اللغة العربية المعاصرة ٢١٢٨/٣.

(٥٤) الأوج: القمة والذروة. معجم اللغة العربية المعاصرة ١٣٧/١.

(٥٥) إسماعيل بن أحمد بن علي الحنفي المنيني الأصل الدمشقي المولد، ولد عام (١١٣٩هـ)، علم فاضل، وأديب مبدع، وخطيب مفوه، ومدرس بارع المسجد الأموي، ومفتي دمشق، ورحل إلى القسطنطينية بعد وفاة أخيه، فتولى منصب إفتاء الدولة العثمانية، وتوفي عام (١٢٢٥هـ). سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ٢٤١/١، وعرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام ١٣٧، وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ٣١٨/١.

(٥٦) وردت رواية صدر البيت في سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر هكذا: "وعز عن".

(٥٧) الخدين: الصديق. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٢١٠٧/٥.

(٥٨) وردت رواية صدر البيت في سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر هكذا: "المجد رقاً". السُّرَاة: الشرفاء الكرماء. المحكم والمحيط الأعظم ٦٠٥/٨.

- ٧- كَدَارَةَ الْبَبْرِ زَاهٍ
 ٨- وَمُنْذُ تَبَدَّى سَنَاهُ
 ٩- أَرْخُئْهُ ضِمْنَ بَيْتِ
 ١٠- "طِرَارُ يُمْنٍ وَسَعْدٍ
 ١١- لَا زَالَ يَسْمُو عَزِيْزًا
 ١٢- وَدَامَ مَجْدُ غَلَاهُ
- وَالْأَيْلُ مُذَلَّى السُّؤُولِ
 وَقَدْ زَهَابَ بِقَبُولِ^(٥٩)
 سَمَاعٍ قَدِ جَمِيلُ:
 زَاهٍ بِوَجْهِ الْخَلِيلِ"
 فِي ظِلِّ عَيْشٍ ظَلِيلِ^(٦٠)
 مَدَى الزَّمَانِ الطَّوِيلِ^(٦١)

وَقَالَ الْأَدِيبُ الْمُتَقَنُّ زَكِيُّ الدِّينِ، عَبْدُ الْحَلِيمِ بْنِ أَحْمَدَ اللُّوجِيِّ^(٦٢): [من المنسرح]

- ١- طِرَارُ بُرْدِ الشَّبَابِ قَدْ نَسَجَا
 ٢- يَا ابْنَ الْأَوَّلَى خَلَدَتْ مَآثِرُهُمْ
 ٣- يَا ابْنَ الْأَوَّلَى أَخْرَزُوا الْعُلَا وَغَدَا
 ٤- يَا ابْنَ الْأَوَّلَى بِالنَّدَى أَكْفُهُمْ
 ٥- آلَ الْمَرَادِيِّ وَمَنْ بِفَضْلِهِمْ
 ٦- غَايَاتِهِمْ لَا تُنَالُ حَيْثُ بِهِمْ
 ٧- فُرُوعُ دَوْحِ الْعُلَا، فَكَمْ لَهُمْ
 ٨- بِنَاهُ مَجْدٍ سُرَاةٍ أَنْدِيَةٍ
 ٩- يَجْلُو الدِّيَاجِي ضِيَاءُ أَوْجُهُهُمْ
 ١٠- فَكُلُّ نَادٍ حَوَى مَنَاطِرَهُمْ
 ١١- مُلُوكُ عِزٍّ، بَلِيْنٍ جَانِبِهِمْ
 ١٢- مِنْهُمْ خَلِيلُ الْآدَابِ مَنْ بَزَعَتْ
- فَارْتَعَ بِرَوْضِ السُّرُورِ مُنْتَهَجَا
 فِي النَّاسِ ذِكْرًا مُعْطَرًا أَرْجَا
 لَا أَمَتْ فِي مَجْدِهِمْ وَلَا عَوَجَا^(٦٣)
 فَاضَتْ فَحَدَّثَتْ عَنْهُمْ وَلَا حَرْجَا
 مِنْ مَصْعَدِ الْعِزِّ قَدْ رَقُوا دَرَجَا
 إِلَى سَمَاءِ الْعَلْيَاءِ قَدْ عُرِجَا^(٦٤)
 أَصْلٌ عَلِيٌّ وَطَاهِرٌ نَتَجَا!
 نُجُومٌ هُدَى إِذَا الضَّلَالُ دَجَا
 فَيَسْتَنِيرُ السَّارِي إِذَا ادْلَجَا
 تَخْبُو المَصَابِيحُ فِيهِ وَالسُّرُجَا^(٦٥)
 قَدْ اسْتَمَالُوا الْقُلُوبَ وَالْمَهَجَا
 شَمْسُ غَلَاهُ وَضَوْوُهَا انْبَلَجَا

(٥٩) وردت رواية عجز البيت في سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر هكذا: "وقدرها".

(٦٠) وردت رواية عجز البيت في سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر هكذا: "ظِلُّ سعد".

(٦١) القصيدة في سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ٢٤٧/١ - ٢٤٨.

(٦٢) عبد الحليم بن أحمد اللُّوجِيّ (١١٦٠ - ١٢٢٣ هـ): كاتب، شاعر، ناظم، ناثر، ولد بدمشق، وأخذ العلم عن علماء عصره، ويقال: إنّه جمع تاريخاً ذكر فيه الحوادث المشهورة إلى زمانه، وديوان شعر. هامش عَرَفَ الْبَشَامُ فِيمَنْ وَلِيَّ دِمَشْقِ الشَّامِ ١٧٨.

(٦٣) الأَمْتُ: الانخفاض والارتفاع والاختلاف في الشيء. المحكم والمحيط الأعظم ٥١٧/٩. وأولى في هذا البيت وفي البيت التالي له بمعنى الذين.

(٦٤) في الأصل: "سما".

(٦٥) في البيت مخالفة نحوية، وهي نصب المرفوع، والصواب: والشُّرُجُ.

- ١٣- أَخْلَاقُهُ كَالرِّيَاضِ عَاطِرَةٌ
- ١٤- قَرَرْتُ عُيُونُ الْمَنَى بِمَيْسَمِهِ
- ١٥- لَا بَدْعَ أَنْ زُفَّ لِلْعُلَا فَعَلَا
- ١٦- قَامَ مَقَامًا تَثْنِي عَلَيْهِ بِهِ الـ
- ١٧- نِلْنَا أَمَانِيَّ مِنْ عُلاهِ، بِهَا
- ١٨- لَمَّا بَدَا مُسْتَدِيرُ عَارِضِهِ
- ١٩- تَمَّتْ صِفَاتُ الْبَهَا لَهُ فَآتَى
- ٢٠- يَا بَارِعَ الدَّهْرِ فِي الزَّكَاةِ وَيَا
- ٢١- مُذْ كُنْتَ عَيْنًا لِي فِي الْفَضَائِلِ وَآ
- ٢٢- يُومِي رَقِيمَ الْعِذَارِ مِنْكَ إِلَى
- ٢٣- لِلَّهِ شَهْمٌ زَكَّتْ خَلَائِقُهُ
- ٢٤- حَوَى أَنَاةَ الْكُھُولِ وَهُوَ فَتَى
- ٢٥- مُذْ أَطْلَقَ الْعَارِضُ الشَّرِيفُ وَمَا
- ٢٦- أَرَّخْتُ: "وَجْهَ السَّنَا زَهَا، وَلَهُ

وقال عُمَةُ الْأَدِيبُ شَرَفُ الدِّينِ مُصْطَفَى بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ اللُّوجِيِّ^(٦٨): [من الكامل]

- ١- كَتَبَ الْجَمَالَ عَلَى صَحَائِفِ خَدِّهِ
- ٢- فَبَدَا الْبَنْفَسُجُ فِي حَدِيقَةِ صُدْغِهِ
- ٣- وَالْيَاسَمِينَ نَوَاطِرَ أَخْدَافِهِ
- ٤- كَمُلَ الْخَلِيلُ بِهِ وَجَلَّ مَقَامُهُ
- ٥- نَجَّلَ الْعَلِيَّ مُرَادَنَا مُفْتِي الْوَرَى

(٦٦) يقال هو على آسان من أبيه وآسال من أبيه وأعسان من أبيه: يريد على طرائق من أبيه وشمائله، وقد تأسن أباه وتأسله: إذا نزع إليه في الشبه. القلب والإبدال لابن السكيت، ضمن كتاب الكنز اللغوي في اللسن العربي ٨

(٦٧) الدَّعْجُ والدَّعْجَةُ: السَّوَادُ. وَقِيلَ: شِدَّةُ السَّوَادِ، والدَّعْجَاءُ: لَيْلَةُ ثَمَانٍ وَعَشْرِينَ، وَقِيلَ لَيْلَةُ تِسْعٍ وَعَشْرِينَ. المحكم والمحيط الأعظم ٣٠٥/١، والمخصص ٣٤/٥.

(٦٨) مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد، أبو العون اللوجي (ت ١٢١٧ هـ): ناظم مكثر معمر، نعته الكمال الغزي في تذكرته بشاعر دمشق. وأورد صاحب منتخبات التواريخ بعض منظوماته، وقال: لو جمعت لكانت ديوانا. مولده ووفاته في دمشق. الأعلام ٢٣/٧.

(٦٩) الأولى من مَهْدِهِ: أي الذين هم من عمره.

٦- بَيْتُ الْفَضَائِلِ وَالْمَحَامِدِ وَالثَّقَى مَنْ ذَا يُسَارِي كَوْكَبًا فِي سَعْدِهِ؟
٧- بَذَرَ تَكَمَّلَ بِالْعِذَارِ فَأَرْخُو: "خَلَفَ زَكَافَرَعًا وَنَيْطَ بِجَدِّهِ"
وَقَالَ الْأَدِيبُ الْبَارِعُ الشَّيْخُ سِرَاجُ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّطِيفِ بْنِ عَبْدِ الْهَادِي الْعُمَرِيِّ^(٧٠): [من مجزوء الوافر]

- ١- أَتَى الْإِفْبَالَ بِالسَّعْدِ وَأَوْفَى الدَّهْرُ بِالْوَعْدِ
- ٢- وَأَلْسِنَةُ الْمَنَى نَطَقَتْ بِشُكْرِ اللَّهِ وَالْحَمْدِ
- ٣- وَعَادَ الرُّوضُ مُتَشِّحًا مِنْ الْأَزْهَارِ فِي بُرْدِ
- ٤- وَأَضْحَى الزَّهْرُ مُبْتَسِمًا بِثَغْرِ بَنَانٍ عَنْ عِقْدِ
- ٥- لِشَتِّهِمْ قَدْ حَوَى خَطًّا شَرِيفًا جَالًا فِي الْخَدِّ
- ٦- يَقْرُ وَمَنْصِبُ الْعَالِيَا لَهُ وَمُؤْتَلُّ الْمَجْدِ
- ٧- وَإِنَّ الْعِزَّ أَوْرَثَهُ خُلَى الْأَبَاءَ وَالْجَدَّ
- ٨- هُمْ آلُ الْمَرَادِي مَنْ زَكُوا مِنْ سَالِفِ الْعَهْدِ
- ٩- بُذُورُ الْكَوْنِ قَدْ جَلَّتْ مَزَايَاهُمْ عَنْ الْحَدِّ
- ١٠- سُورَةُ كُلُّهُمْ غُرُرٌ نُجُومٌ لِلْوَرَى تَهْدِي
- ١١- بِهِمْ فَرْعٌ سَمًا وَنَمًا وَقَالَ سَعَادَةُ الْجَدِّ:
- ١٢- عَلِيٌّ الْأَصْلُ مَخْتَدُهُ كَرِيمُ الطَّبْعِ نُوْرُفِدِ
- ١٣- خَلِيلُ الْفَضْلِ مَنْ حَازَ الْغُلَامِ مِنْ مَغْهَدِ الْمُهْدِ
- ١٤- وَلَمَّا جَاءَ عَارِضُهُ بِنَشْرِ الْمَسْكَ وَالنَّادِ
- ١٥- أَتَى تَارِيخُهُ: "بِبِهَا عِذَارٍ لَاحَ بِالسَّعْدِ"

وَقَالَ ابْنُ أَخِيهِ الْأَدِيبُ (رَشِيدُ الدِّينِ، عَبْدِ الْجَلِيلِ بْنُ أَحْمَدَ الْعُمَرِيِّ^(٧١)): [من الوافر]

- ١- أَيَا طُودًا غَدَا فِي الْفَضْلِ رَاسٍ وَشَهْمًا جَلَّ وَصَفًا عَنْ قِيَّاسِ
- ٢- وَيَا مَنْ قَدْ حَوَى رِقَّ الْمَعَالِي وَجَاءَ بِخُلَّةِ الْأَدَابِ كَاسِ^(٧٢)

(٧٠) لم أقف على ترجمته.

(٧١) لم أقف على ترجمته، وورد لقبه في الأصل المخطوط هكذا: رشيق الدين، ولم أسمع به من قبل، ولم تذكره المصادر؛ لذا رجحت أنه رشيد الدين، يؤكد هذا أن آل العمري يلقبون بعضهم برشيد الدين وهذا أمر معروف من قديم الزمن فرشيد الدين الوطواط اسمه محمد بن عبد الجليل العمري (ت ٥٧٣هـ). وينظر في غير هذا كتاب الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) ٦/٢٢٢، ٧/٩٧١،

(٧٢) في الأصل: "وجا".

- ٣- وَيَا مَنْ فِي الذِّكَاةِ لَهُ اتِّقَادٌ
٤- وَيَا مَنْ لِلسُّعُودِ غَدَا خَلِيلَا
٥- وَيَا نَجْلَ الْمَرَادِي مَنْ بَنَى فِي الدَّ
٦- وَيَا مَنْ شَبَّ فِي حِجْرِ الْمَعَالِي
٧- لِيَهْنِكَ عَارِضُ زَاهٍ بِهِيَّ
٨- كَسَاكَ رِدَاءُ إِجْلَالٍ سَنِيَّ
٩- وَكُنْتُ هَمَمْتُ فِي صَوِّغِ التَّهْنِي
١٠- وَرُضْتُ جَوَادَ فِخْرِي فِي مَجَالِ الدَّ
١١- وَعَانَقَنِي الْحَيَاءُ عَنْ ابْتِدَارِي
١٢- إِلَى أَنْ فُكَّ أَسْرُ الْفِخْرِ مِنِّي
١٣- فَصُغْتُ الْآنَ تَارِيخًا بِهِيَّا
١٤- "طِرَارُ جَمَالِهِ قَدْ جِيءَ يَحْكِي
- وَفِطْنَتُهُ تَفُوقُ عَلَى إِيَّاسٍ^(٧٣)
وَأَزْرَى بِالْكَمَالِ أَبَا فِرَاسٍ^(٧٤)
عَلَى بَيْتًا عَلَى أَقْوَى أَسَاسٍ
وَكَانَ لِدَرَّهَا مِنْ قَبْلُ حَاسٍ^(٧٥)
بَدَا فِي رَوْضِ حُسْنِكَ عُصْنُ آسٍ
وَفَرَطُ مَهَابَةٍ بَيْنَ الْأُنَاسِ
بِهِ لَكُمْ فَخَانَتْنِي حَوَاسِي
قَرِيضٍ فَشِمْتُهُ صَعْبَ الْمِرَاسِ
وَأَقْعَدَنِي انْتِظَارُ الْإِخْتِلَاسِ^(٧٦)
وَأُطْلِقَ خَاطِرِي بَعْدَ اخْتِبَاسٍ
لِمَوْلَانَا وَقُلْتُ وَلَسْتُ نَاسٍ:
سُطُورَ زَبَرْجَدٍ فِي لَوْحِ مَاسٍ"^(٧٧)

وَقَالَ النَّاطِمُ الْكَاتِبُ صَفِيُّ الدِّينِ، مُحَمَّدٌ بْنُ مُصْطَفَى بْنِ خَدَاوِيزْدِي الرَّاعِي^(٧٨): [من الكامل]

- ١- أَفْدِيهِ (وَجْهًا) بِالْبَهَاءِ مُبْرَقَعًا
٢- دَارَ الْعِذَارُ كَهَالَةِ الْقَمَرِ الْمُنِي
وَعَلَيْهِ مِنْ نُورِ الْحَيَاءِ خِضَابُ^(٧٩)
رَبِّهِ فَتَاهُ وَحَفَّهُ الْإِعْجَابُ^(٨٠)

(٧٣) إِيَّاسُ هُوَ إِيَّاسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةِ الْمَزْنِيِّ، أَبُو وَائِلَةَ (٤٦ - ١٢٢ هـ) قَاضِي الْبَصْرَةِ، وَأَحَدُ أَعَاجِيبِ الدَّهْرِ فِي الْفُطْنَةِ وَالذِّكَاةِ. يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِذِكَاةِهِ. الْأَعْلَامُ ٣٣/٢.

(٧٤) أَبُو فِرَاسِ الْحَمْدَانِي (ت ٣٥٧ هـ): مِنْ مَشَاهِيرِ شُعْرَاءِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، لَهُ دِيْوَانُ شَعْرٍ، طُبِعَ أَكْثَرُ مِنْ مَرَّةٍ. أَقِيَمَتْ حَوْلَهُ دَرَسَاتُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا الْكِتَابُ الْمَوْسُومُ بِأَبِي فِرَاسِ الْحَمْدَانِي: حَيَاتُهُ وَشَعْرُهُ لِلدُّكْتُورِ لَعْبِدِ الْجَلِيلِ عَبْدِ الْمُهْدِيِّ. تَنْظُرُ تَرْجُمَتُهُ فِيهِ.

(٧٥) حَاسٍ: شَارِبٌ. مَعْجَمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ ٤٩٩/١.

(٧٦) فِي الْأَصْلِ: الْحَيَا. وَقَطَعَ الشَّاعِرُ هَمْزَةَ الْوَصْلِ فِي الْإِخْتِلَاسِ لِلزُّرُورَةِ الشَّعْرِيَّةِ.

(٧٧) فِي الْأَصْلِ: "جِي يَحْكِي". وَحَذَفَ الشَّاعِرُ الْهَمْزَةَ فِي (جِي) تَحْقِيقًا لَضَبِّ التَّأْرِيخِ، وَلَكِنْ الْوِزْنُ انْكَسَرَ، وَبِتَحْقِيقِ الْهَمْزَةِ يَصْبِحُ التَّأْرِيخُ (١١٨٨ هـ) أَيْ بِزِيَادَةِ عَامٍ عَنِ الْعَامِ الْمَقْصُودِ.

(٧٨) كَاتِبٌ بَلِيغٌ، مَاهِرٌ فِي صِنَاعَةِ النَّثْرِ وَالنَّظْمِ، وَلَدَ فِي دِمَشْقَ عَامَ (١١١٩ هـ)، وَنَشَأَ بِهَا، تَوَفَّى عَامَ (١١٩٥ هـ)، لَهُ بَعْضُ الْمَوْلُفَاتِ، مِنْهَا كِتَابُهُ الْبُرْقُ الْمَتَالِقُ فِي مُحَاسِنِ جَلْقٍ، وَهُوَ فِي ذِكْرِ دِمَشْقَ وَرِيَاضِهَا، كَلِمَةُ خَدَاوِيزْدِي كَلِمَةُ تَرْكِيَّةٍ مَرْكَبَةٌ تَعْنِي عَطَاءَ اللَّهِ، أَوْ هِبَةَ اللَّهِ وَعَنْ مَقْدَمَتِهِ كَانَ هَذَا التَّعْرِيفُ بِهِ.

(٧٩) فِي الْأَصْلِ: "وَجْهٌ".

(٨٠) فِي الْأَصْلِ: "وَحْفَةٌ"، وَهِيَ بِمَعْنَى شَمْلَةٍ وَأَحَاطَ بِهِ، وَرَبَّمَا كَانَتْ الْكَلِمَةُ "وَحْفُهُ".

٣- فَلِذَاكَ لَمَّا لَاحَ فِي أَفْقِ السَّنَا
٤- أَرَحْتُ: "بَلْ بَدَرَ الْكَمَالِ لَهُ الْبَهَا
وَعَلَاهُ مِنْ نَهْجِ الْعِذَارِ نِقَابُ
نُورٍ وَوَرْدٌ قَدْ عَلَاهُ سَحَابُ"
وَقَالَ اللُّؤْدَعِيُّ عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ^(٨١): [من المجتث]

- ١- خَطُّ شَرِيفٍ مُشَيَّدٌ
- ٢- يُنْبِي بِبَشَرٍ وَنَصْرٍ
- ٣- فَالزُّهْرُ أَبْدَى ابْتِسَامًا
- ٤- وَالْجَوْ أَضْحَى يُحَاكِي
- ٥- وَالزُّهْرُ أَبْدَوْا بَرِيقًا
- ٦- حَتَّى الْأَثِيرُ تَبَاهَى
- ٧- وَأَفْتَرَّ ثَغْرُ الْأَمَانِي
- ٨- مُذْ حَاكَ كَفُّ الْمَعَالِي
- ٩- فُطِبَ الْمَعَالِي خَلِيلٌ
- ١٠- نَجَلُ الْمَرَادِي عَلِيٌّ
- ١١- آلُ الْمَرَادِي وَمَنْ هُمْ
- ١٢- شُمُوسٌ وَقَتِ تَسَامُوا
- ١٣- قِطَابُ دَهْرٍ وَغَوُثٌ
- ١٤- دَامُوا جَمِيعًا بَعِزٌّ
- ١٥- خَلِيلُهُمْ عَيْنُ عَقْدِ الْـ
- ١٦- مَنْ حَازَ كُلَّ الْمَعَالِي
- ١٧- فَدَامَ يَرْقَى بِحَزْمٍ
- قَدْ حَلَّ فِي بُرْجٍ مُسَعَّدٌ
- وَطَيْبٍ وَقَتِ مُجَدَّدٌ
- بِحُسْنِ ثَغْرِ مُنْضَدٌ
- صَفَاءِ خَدِّ مُوَرَّدٌ
- وَالزُّبُرْقَانُ تَأْطَدُ^(٨٢)
- فِي الْأَفْقِ مُذْ لَاحَ أَسْعَدُ^(٨٣)
- وَأَلْبَسَ الْوَقْتُ عَسْجَدُ
- عِذَارَ عِزٍّ لَأَوْحَدُ
- فَهُوَ الرَّشِيدُ الْمُوَيَّدُ
- شِبْلُ الْهُمَامِ مُحَمَّدُ
- لِلنَّاسِ أَعْظَمُ مَقْصِدُ
- أَبَا وَجَدًا وَمَخْتِدُ
- لِكُلِّ رَاجٍ وَمُنْجَدُ
- وَسُودِدَ لَيْسَ يُفْقَدُ
- جَمَانِ بَلْ خَيْرُ مُفْرَدُ
- وَالْفَضْلُ وَالْجُودُ وَالْجَدُ
- وَحُسْنِ رَأْيٍ مُسَدَّدُ

(٨١) عبد الغني بن محمد شريف بن أبي المعالي محمد الغزي العامري الدمشقي (١١٧٥ - ١٢١٦هـ): قرأ على سادات عظام وعلماء كرام، إلى أن صار من أعلم علماء الديار الدمشقية. وتولى من بعد والده إفتاء الشافعية، وهذه الوظيفة قد تورثوها عن آبائهم إلى الجد الأعلى الشهاب أحمد الغزي (٧٦٠ - ٨٢٢ هـ). حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ٨٦٣ - ٨٦٤.

(٨٢) الزُّهْرُ: ثَلَاثَ لَيَالٍ مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ. المحكم والمحيط الأعظم ٢٣٠/٤، والزُّبُرْقَانُ: لَيْلَةُ خَمْسِ عَشْرَةَ. يقال: لَيْلَةُ الزُّبُرْقَانِ. وَلَيْلَةُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ: لَيْلَةُ الْبَدْرِ، لِأَنَّ الْقَمَرَ يَبَادِرُ فِيهَا طُلُوعَ الشَّمْسِ. العين ٢٥٥/٥، وتأطد: تَنَبَّهَتْ. تاج العروس ٣٩٠/٧.

(٨٣) الْأَثِيرُ: الْكَرِيمُ الْمَحَبَّبُ لَدَى الْإِنْسَانِ يُؤَثِّرُهُ بِالصَّلَةِ. معجم مقاييس اللغة ٥٤/١.

- ١٨- وَعِفَّةٌ وَتَقَّاءٌ
- ١٩- فَالزُّهْدُ وَالصَّدْقُ طَبْعٌ
- ٢٠- دَرَسُ الْعُلُومِ غِذَاهُ
- ٢١- وَمَجْلِسٌ قَدْ تَسَامَى
- ٢٢- مِنْ كُلِّ قَنْ لَطِيفٌ
- ٢٣- حَبَاهُ مَوْلَاهُ عُمَرَا
- ٢٤- وَدَامَ يَرْقَى مَقَامَا
- ٢٥- مَا فَاهَ بِالْمَذْحِ قَنْ
- ٢٦- هَتَّى لِمَوْلَاهُ يَثْلُو
- ٢٧- بُشْرَاكَ تَارِيخُ: "يُمْنٌ

- وَمَنْشَأٌ فِيهِ يُخْمَدُ
- لَهُ قَدِيمًا مَهْدُ
- فِقَّةٌ وَنَحْوٌ وَمُسْنَدُ
- نَادِي الرِّشِيدِ وَأَرْشَدُ^(٨٤)
- يَخْكِي كَمَالِ الْمَبْرَدُ^(٨٥)
- قُلْتُ الطَّبِيعِي وَأَزِيدُ
- إِلَيْهِ يُرَوِّى وَيُسْنَدُ
- لَكُمْ عَلَى ذَاكَ يُخَسَدُ^(٨٦)
- مَدِيحَكُمْ وَهُوَ يَشْهَدُ
- زَاكِي عِذَارٍ لَأَمْجَدُ

وَقَالَ الْفَاضِلُ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ، أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْعَجْلُونِي^(٨٧): [من الوافر]

- ١- أَيَا بَذْرًا وَفِيًّا بِالْعُهُودِ
- ٢- وَيَا نَجْلَ الْكِرَامِ وَمَنْ تَبَاهَتْ
- ٣- عِذَارُ الْبَذْرِ ضَاءٌ بِكُمْ جَمَالَا
- ٤- خَلِيلٌ زِدَتْ إِقْبَالَا وَقَدْرًا
- ٥- وَمِنْ بَيْتِ الْمَرَادِي طُبْتُ أَصْلَا
- ٦- بِشِيرِ السَّعْدِ نَادَاكُمْ فَأَرَّخُ:

- وَمَنْ يَسْنُمُو بِفَخْرٍ وَالْجُدُودِ
- دَمَشْقُ بِهِ عَلَى كُلِّ الْوُفُودِ
- بِأَنْوَارٍ تَجَلَّتْ بِالسُّعُودِ
- وَدُمْ فِي حِفْظِ رَحْمَنِ وَدُودِ
- مَنَاهِلُكُمْ صَفَتْ غُذْبُ الْوُرُودِ
- "كَمَالُ الْمُسْنَدِ فِي وَرْدِ الْخُدُودِ"

وَقَالَ الْكَامِلُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَالِ الدَّمَشْقِيُّ^(٨٨): [من المجتث]

- ١- لِّلْهِ إِشْرَاقٌ وَجْهٌ
- ٢- قَدْ لَاحَ كَوُكَبُ فَضْلٍ
- ٣- بُشْرَى التَّهَانِي أَبَانَتْ

- مُتَوَجِّجٌ بِالْوَقَارِ
- مِنْ مَعْدِنِ الْأَسْرَارِ
- عَنْ بُلْغَةِ الْأَوْطَارِ

(٨٤) تسامي: تبارى. المعجم الوسيط ٤٥٢/١، والرشيد: هو هارون الرشيد، الخليفة العباسي المشهور.

(٨٥) المبرّد: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي البغدادي (٢١٠ - ٢٨٦ هـ)، إمام اللغة العربية في عصره، عرف بسعة علمه، وإحاطته بدقائق مسائل اللغة العربية، وكثرة مصنفاته التي طبعت أكثر من مرة، منها الكامل في اللغة والأدب، والتعازي والمراثي، والبلاغة، والمقتضب، وغيرها. الأعلام ١٤٤/٧.

(٨٦) القن: العبد الذي ملك هو وأبواه. إكمال الأعلام بتبليث الكلام ٥٣٤/٢.

(٨٧) لم أهد لتلجته.

(٨٨) لم أهد لتلجته.

- ٤- قُلْنَ لِلأَدِيبِ تَرَنُّمٌ بِسُنَّةِ الْمُخْتَارِ
 ٥- بَدَا نَبَاتٌ شَرِيفٌ فِي رَوْضَةِ الْجَانِّارِ
 ٦- إِنْ رُمْتَ تَسْمُو مَحَلًا مَابَيْنَ أَهْلِ الْفَخَارِ
 ٧- طَرَّازُ الْمَهَابَةِ أَرَّخَ: وَفَالِطِيفِ عَزَّارِ^(٨٩)

وَقَالَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ حَسَنِ الْعَانِي^(٩٠): [من الطويل]

- ١- مَهَابَةٌ إِجْلَالٍ يَلُوحُ بِهَا الْهُدَى وَعِزٌّ بِهِ الْإِقْبَالُ دَامَ مُوَيِّدَا
 ٢- وَطَالِعُ أَنْسٍ تَبَدَّى سَنَاوُهُ بِطَلْعَةِ ذِي الْعَلْيَاءِ مَنْ طَابَ مَخْتِدَا
 ٣- خَلِيلُ الْعُلَا نَجَلُ الْمَرَادِيِّ مَنْ رَقَى لَأَوْجِ فَخَارٍ بِالثَّنَاءِ تَأْطَّدَا
 ٤- سَلِيلُ بَنِي الزَّهْرَاءِ أَوْحَدُ عَصْرِهِ أَجَلُ ذَوِي النِّعَمَاءِ أَكْرَمُهُمْ يَدَا
 ٥- حَوَى مِنْ سَجَايَا الْمَجْدِ كُلَّ فَرِيدَةٍ تَحَلَّى بِهَا إِجْلَالُهُ وَتَقَلَّدَا
 ٦- تَفَرَّدَ بِالْأَلْطَافِ وَالشَّيْمِ الَّتِي بِهَا عُذٌّ فِي كُتُبِ الْقَضَائِلِ مُبْتَدَا
 ٧- فَلَا زَالَ يَنْمُو لَا غَتْنَامٍ مَفَاخِرِ وَيَجْنِي لَذِيذَ الْعَيْشِ عِزًّا وَسُودَدَا
 ٨- وَمَنْ قَلَمُ الرَّحْمَنِ أَهْدَاهُ هَيْبَةً أَتَى بَيْتَ تَارِيخٍ، لَهُ الْيُمْنُ أَنْشَدَا:
 ٩- "بَوَجْهِ الْعَلِيِّ سَطْرَيْنِ أَوْهَبَ وَاهِبَ وَالْهَمَّ أَنْ يَفْرَاهُمَا السَّعْدُ جَيِّدَا"

(٨٩) والطِّيفُ سِوَاءٌ، وَهُوَ مَا كَانَ كَالْخَيَالِ، وَالشَّيْءُ يُلْمُ بِكَ. تاج العروس ١١٠/٢٤.

(٩٠) لم أف على ترجمته.

المصادر

- ١- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر): لعبد الحي ابن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي (ت ١٣٤١هـ)، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- ٢- الأعلام: لخير الدين بن محمود الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥٢، ٢٠٠٢م.
- ٣- إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: لمحمّد راجب الطباخ (ت ١٣٧٠ هـ)، صحّحه وعلق عليه: محمّد كمال، دار القلم العربي، حلب ١٩٨٢ م.
- ٤- إكمال الأعلام بتثليث الكلام: لابن مالك الطائي الجبائي (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١٩٨٤م.
- ٥- البرق المتألق في محاسن جلق: لمحمد بن يوسف ابن خداويزدي، ابن الراعي (١١٩٥هـ)، تحقيق: محمد أديب الجادر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠٠٧م.
- ٦- برنامج حساب الجمل:

<http://www.mediafire.com/file/74ixxr8aacf60fg>

- ٧- تاج العروس: للمرئضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: لفيف من المحققين، سلسلة التراث العربي، الكويت.
- ٨- تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار: لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي (ت ١٢٣٧هـ)، دار الجيل، بيروت.
- ٩- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: لعبد الرزاق بن حسن البيطار (ت ١٣٣٥هـ)، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمّد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.
- ١٠- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: لمحمّد خليل المُراديّ (ت ١٢٠٦هـ)، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، ط٣، ١٤٠٨ هـ.
- ١١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لإسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.
- ١٢- عَرَفَ البَشَامُ فيمن وَلِيَ دمشق الشَّام: لعبد اللطيف فرفور، مقال منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ص ٥٧٧، ع ٥٥، ج ٣، ١٩٨٠م.
- ١٣- عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام: لمحمّد خليل بن علي المُراديّ (ت ١٢٠٦هـ)، تحقيق: محمّد مطيع الحافظ، ورياض عبد الحميد مراد، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ١٩٨٨م.
- ١٤- العروض القديم، أوزان الشعر العربيّ وقوافيه: لمحمود علي السَّمّان، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م.
- ١٥- القلب والإبدال: ليعقوب بن إسحاق، ابن السكّيت (ت ٢٤٤هـ)، ضمن كتاب الكنز اللغوي في اللّسن العربي، تحقيق: أوغست هفner، مكتبة المتنبّي، القاهرة.
- ١٦- المحكم والمحيط الأعظم: لعلي بن إسماعيل بن سيده المرسّي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هندوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- ١٧- المخصص: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسّي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- ١٨- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: لعمر رضا كحّالة (ت ١٤٠٨هـ)، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط٧، ١٩٩٤م.
- ١٩- معجم اللغة العربية المعاصرة: لأحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ٢٠- معجم المطبوعات العربية والمعرّبة: ليوسف بن إليان سرّكيس (ت ١٣٥١هـ)، مطبعة سرّكيس، مصر، ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨م.

- ٢١- معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة (ت ١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٢- المعجم الوسيط، إعداد لجنة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، القاهرة.
- ٢٣- معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- ٢٤- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: لإسماعيل بن محمّد الباباني البغدادي (ت ١٣٣٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف، استانبول ١٩٥١، وأعدت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي، بيروت.

إرشاد الحيارى في الرد على النصارى

تأليف

عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدِّميري المعروف بالدِّيريني

(٦٨٨ هـ)

إرشاد
الحيارى في
الرد على
النصارى
للدِّيريني
(٦٨٨ هـ)

دراسة وتحقيق

حمزة العايش

الجزائر

المقدمة

الحمد لله الذي أعز دين الإسلام وجعله خاتم الشرائع والأديان وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وعلى أصحابه الأخيار الميامين وعلى كل من سار على نهجه واهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد:

لم يكن جهاد النبي (صلى الله عليه وسلم) لأهل الكتاب والمشركين مقتصرًا على السيف ولسان الرماح، وإنما كان هناك جانب نظري تمثل في جدالهم ومناظرتهم لدحض شبههم والرد على أسئلتهم بما يوحى إليه من عند الله تعالى، بالحكمة والموعظة الحسنة امتثالاً لأمر الله ودعوته لمجادلة كل مخالف بالحسنى قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَلَاءَ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ أي بالرفق واللين من دون غضاضة ولا تعنيف.

ففي مكة تجادل النبي (صلى الله عليه وسلم) مع مشركي قريش وصناديدها الذين كانوا يسألونه بين الحين والآخر فيرد على أسئلتهم ويزيد، وفي المدينة ناظر (صلى الله عليه وسلم) اليهود قبل إجلائهم، وأقام عليهم الحجة ودعاهم إلى الإسلام، كما امتنع فريق من النصارى وهم نصارى نجران عن المباحلة بعد أن كانت بينهم وبين النبي (صلى الله عليه وسلم) مجادلات ومناظرات في شأن المسيح وألوهيته انتهت بإفحامهم بالدليل والحجة.

وعلى نهج النبي (صلى الله عليه وسلم) سار الصحابة والتابعون (رضوان الله عليهم) وسار في ركبهم ثلة من العلماء الأجلاء استجابة لنداء الحق تعالى وأمره في مجادلة كل من يرغب عن دينه، فاطلعوا على مذاهب المخالفين وصنفوا كتبًا حسناً في الرد عليهم، كان عبد العزيز الديريني الفقيه الشافعي المشهور واحداً من هؤلاء الفضلاء من علماء الأمة؛ حيث لم تُشغله مسائل الفقه وتفرعاتها عن أفراد كتاب مختصر في الرد على النصارى أسماه إرشاد الحيارى في الرد على النصارى الذي هو محل دراستنا وتحقيقنا والله المستعان.

١/ ترجمة المؤلف.

أولاً- اسمه ونسبه: هو أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدّميري المعروف بالديريني (بكسر الدال)، الفقيه الشافعي^(١)، العالم الأديب الصوفي الرّفاعي^(٢). الدّميري: نسبة إلى دَميرة، بفتح الدال وكسر الميم، قرية كبيرة بمصر قرب دِمياط^(٣). الديريني: نسبة إلى ديرين، إحدى القرى التابعة لمركز نبروه في محافظة الدقهلية بمصر. الرّفاعي: نسبة إلى الطريقة الرّفاعية.

ثانياً- مولده ونشأته: ولد عبد العزيز الديريني سنة اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة وستمئة، كما جاء في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي^(٤). أما عن نشأته فلم تذكر لنا مصادر التراجم شيئاً عنها، ويبدو أنه كان للديريني بنتٌ أشار إليها في أبيات شعرية ذكرها صاحب المستطرف^(٥)، يعبر فيها عن حبه لابنته ويُبدي تخوفه وقلقه عما سيؤول إليه أمرها بعد وفاته، ثم يسأل الله أن يتوفاها قبل أن تذوق الذل والهوان بعده.

ثالثاً- شيوخه وتلامذته: أخذ الديريني علمه عن طائفة من أهل العلم والمشايخ الفضلاء الذين لازمهم واقتبس من علمهم، ولكثرة نظمهم، نظم أرجوزة ذكر فيها مشيخته وكل من صاحبهم وأخذ منهم، فقد أفرد ابن الملقن في طبقاته فصلاً ذكر في جزئه الأول ((القصيدة اللامية للديريني))^(٦).

ومن أهم العلماء الذين ذكرهم الشيخ العز بن عبد السلام (٦٦٠هـ) أبي القاسم السلمي الدمشقي، المعروف بالعز بن عبد السلام، الملقب بسلطان العلماء، الفقيه الشافعي الذي بلغ درجة الاجتهاد^(٧)، كذلك شيخه عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلّامي قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز (٦٠٤هـ)^(٨)، أما عن تلاميذه فلا نعرف منهم سوى من ذكره الصفدي في الوفيات^(٩)، قال: أخبرني شهاب الدين أحمد ابن منصور المعروف بابن الجبّاس... وكان من تلامذته، قال أخبرني الشيخ عز الدين الدّميري... ثم ذكر منامة حكاها الديريني لتلميذه ابن الجبّاس، وهو أحمد بن منصور بن أسطوراس الدميّطي (٦٥٣هـ)^(١٠).

(١) قال الشعراني: قد بلغنا أنه كان يفتي الناس بالمذاهب الأربعة. الميزان للشعراني: ١/١٠٣.

(٢) ينظر ترجمته في: الأجوبة لابن سيد الناس: ٢٧٥. الوافي للصفدي: ٢٨٤/١٨. الطبقات الكبرى للسبكي: ١٩٩/٨، طبقات الشافعية للأسنوي: ٢٦٩/١. طبقات الأولياء لابن الملقن: ٥٢١. طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه: ٢٣٣/٢. المنهل الصافي لابن تغري: ٢٧١/٧. حسن المحاضرة للسيوطي: ٤٢١/١. طبقات المفسرين للداودي: ٣١٠/١. طبقات الشعراني: ١٧٢/١. الشذرات لابن العماد: ٧٨٤/٧. جامع الكرامات للنبهاني: ١٧٣/٢.

(٣) ينظر: معجم البلدان، الحموي ٤٧٢/٢.

(٤) الطبقات الكبرى، السبكي: ١٩٩/٨.

(٥) المستطرف، الأبرشي: ٣٦١-٣٦٢.

(٦) طبقات الأولياء لابن الملقن: ٥٢١.

(٧) ينظر ترجمته في: فوات الوفيات للكتبي: ٢٨٧/١. طبقات السبكي: ٨٠/٥. النجوم الزاهرة لابن تغري: ٢٠٨/٧.

(٨) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه: ٢٣٣/٢.

(٩) الوافي بالوفيات للصفدي: ٢٨٥/١٨.

(١٠) الصفدي، المصدر نفسه: ١٢٣/٨-١٢٤.

رابعاً- علمه ومكانته: كانت للمؤلف مكانة علمية مرموقة وقدم راسخة في العلم، فهو الأديب الشاعر، الصوفي الزاهد، الفقيه المفسر الأصولي المحدث... مما جعل مجموعة من العلماء الأجلاء وذوي الفضل يشهدون له بالعلم والزهد والصلاح... وهذه نماذج من أقوال العلماء يثنون فيها على الديريني:

قال عنه ابن سيد الناس: كان شيخاً صالحاً من أهل العلم والفضل والصلاح رحمه الله وإيانا^(١).
قال الصفدي: الشيخ القدوة الصالح عز الدين الدميري... أخبرني العلامة أثير الدين أبو حيان من لفظه قال: كان المذكور رجلاً متقشفاً مخشوشناً من أهل العلم، يتبرك به الناس^(٢).
قال تاج الدين السبكي: الزاهد القدوة العارف، صاحب الأحوال والكرامات والمصنفات والنظم الشائع^(٣).

قال ابن الملقن: الزاهد القدوة، ذو الأحوال والكرامات، والمصنفات المذكورة والنظم الشائع^(٤).
قال ابن العماد: الفقيه الشافعي العالم الأديب الصوفي الرفاعي^(٥).
قال الشعراني: الشيخ العابد الزاهد القدوة ذو الحالات الفاخرة، والأحوال الشريفة، والكرامات المشهورة، والمصنفات الكثيرة ... وكان الناس يقصدونه للتبرك من سائر الأقطار، ويرسلون له من مصر مشكلات المسائل، فيجيب عنها بأحسن جواب^(٦).

خامساً- مؤلفاته:

لم يكن عبد العزيز الديريني متخصصاً في علم من العلوم بل كان عالماً موسوعياً، ألف في صنوف شتى من العلوم، في التفسير والفقه والسيرة والتراجم والتصوف وعلوم القرآن وفي العقائد والأديان.. طبعت بعض كتبه ولا يزال الكثير منها مخطوطات تنتظر الباحثين والدارسين والمحققين لدراساتها وتحقيقها ليستفاد منها.

في التفسير: - التيسير في علوم التفسير. (أرجوزة) (مطبوعة)

- الأنوار الواضحة في مسائل الفاتحة. (مخطوط)

في الفقه: - الدرر الملتقطة في المسائل المختلطة. (مخطوط)

- نظم تنبيه أبي إسحاق في الفروع. ذكره البغدادي في هدية العارفين.

(١) الأجوبة لابن سيد الناس: ٢٧٥.

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي: ٢٨٤ / ١٨.

(٣) الطبقات الكبرى للسبكي: ١٩٩/٨.

(٤) طبقات الأولياء لابن الملقن: ٤٤٧.

(٥) الشذرات لابن العماد: ٧٨٥/٧.

(٦) طبقات الشعراني: ١٧٢/١.

في علوم القرآن والقراءات: - منظومة في ترتيب نزول القرآن العظيم. (مخطوط)

- كتاب ميزان الوفي في معرفه اللحن الخفي. (مخطوط)

- منظومة في الزوائد على مذهب الإمام أبي عمرو البصري. (مخطوط)

- أبيات في الظاءات وشرحها. (مطبوع)

في اللغة:

- أرجوزة في وجوه ((كلاً)) في القرآن. (مخطوط)

- مربع في مثلثات قطرب اللغوي. (مطبوع)

- أركان الاسلام في التوحيد والأركان. (مخطوط)

في العقيدة والتوحيد:

- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى. (مطبوع)

- الوسائل الإلهية والرسائل المحمدية. (مخطوط)

- طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب. (مطبوع)

في التصوف:

- الروضة الأنيفة في بيان الشريعة والحقيقة. (مطبوع)

- أنوار المعارف وأسرار العوارف. ذكره ابن قاضي شهبة.

- الشجرة في سيرة النبي وأصحابه العشرة. (مخطوط)

في السير والتراجم:

- قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور. (منظومة) (مطبوع)

في المواعظ:

- إرشاد الحيارى في الرد على النصارى، وهو محل دراستنا وتحقيقنا

في الأديان:

بإذن الله.

سادساً- وفاته:

أورد ابن سيد الناس ترجمة موجزة للديريني في كتابه الأجوبة، وقال رأيته بجامع دمنهور الوحش في رحلتي الأولى إلى الإسكندرية وسلمت عليه، وجلست معه ساعة يحدثني وأحدثه وليس على فهمي شيء أحفظه عنه، وتوفي بعد ذلك ببسير، وذلك في سنة ثمان وثمانين وستمائة. اهـ^(١)

واختلف في موضع دفنه. ففي حديثه عن جامع ديرين ذكر علي باشا في الخطط التوفيقية، أن قبر الديريني بمنيل الروضة^(٢) أما الشعراني فقد ذكر في طبقاته أن قبره في ديرين ظاهراً يزار إلى عصره^(٣).

(١) الأجوبة لابن سيد الناس: ٢/٢٧٥. وقد نقل الذهبي في تاريخه عن ابن سيد الناس تاريخ وفاة الديريني ولم يعلق. ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي: ٣٣٢/٥١.

(٢) الخطط التوفيقية، علي باشا: ١٣٣/٤.

(٣) طبقات الشعراني: ١٧٢/١.

ينضوي كتاب ((إرشاد الحيارى في الرد على النصارى)) تحت باب ردود المسلمين على أهل الكتاب وبالخصوص النصارى منهم، وقد كانت الردود على أصحاب الملل والنحل-المخالفة لدين الإسلام- مجالاً حيويًا للفكر والنقد والجدل والمناظرة، اتسم في غالبيته بالموضوعية والاعتزان والحكمة والموعظة الحسنة، وهذا ما نلمسه ونراه واضحًا جليًا في الكتاب الذي بين أيدينا؛ حيث تناول فيه المؤلف عقيدة جوهريّة في الديانة النصرانية، ألا وهي عقيدة ألوهية المسيح وبنوته، وما يلتحق بها من عقائد جزئية كعقيدة التثليث والحلول والإتحاد والصلب... فقد استطاع بالأدلة العقلية والنقلية القاطعة أن يفند مزاعم النصارى وإدعاءاتهم في المسيح (عليه السلام) ويدحض شبههم. وأن يثبت أن عيسى عبد الله ورسوله وليس إلهًا أو ابن إله كما يدعون، وأنه لا مزية له ولا فضل على سائر الأنبياء والمرسلين.

ثانيًا- وصف النسخ الخطية.

اعتمدت في تحقيق كتاب إرشاد الحيارى في الرد على النصارى على ثلاث نسخ خطية وهي:

* **نسخة المكتبة المركزية بالسيدة زينب:** تحت رقم [٢١٧] في (٦) أوراق مقياس (15X20)، كتبت النسخة بخط معناد، وكتبت العناوين وبعض العبارات باللون الأحمر، وجاءت التعقيبة عمودية، النسخة كثيرة السقط كثيرة الأخطاء لذا جعلتها نسخة مساعدة ورمزت لها بالرمز (ز) اختصارًا.

* **نسختين في دار الكتب القومية (مصر):** بعد القراءة الأولية لهما تبين لي أن النسخة رقم: [٣٨٢١٦] ب] شبيهة بنسخة ((المكتبة المركزية بالسيدة زينب)) حتى أنهما متفقتان في مواقع التصحيف والسقط، ما يدل على أنهما من أصل واحد، لذا استبعدتها وجعلتها مكملة للنسخة المساعدة (ز)، أما النسخة رقم: [١٢٥٧ علم الكلام] فهي واضحة قليلة الأخطاء إذا ما قيست بالنسختين السالفتين، لذا جعلتها النسخة المعتمدة في تحقيقي للكتاب ورمزت لها بالرمز (د).

تبدأ (د) بنص دخیل في صفتين مكتوبتين بخط متداخل تغلب عليه الرداءة، يتناول النص موضوع البشارة بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الأنجيل، وشرح مفصل لكلمة ((الفارقليط)) الكلمة اليونانية التي تعني الحامد أو كثير الحمد، والتي نعتقد أنها بشارة في الإنجيل بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، إلى جانب البشارات الأخرى.

تقع النسخة (د) في (١٢) ورقة، مقياس (12X17)، وقد كتبت النسخة بخط ثلث واضح، وكتب العنوان الرئيس والعناوين الفرعية وكلمة ((فصل)) ببسط عريض لتكون أبين للقارئ، وجاءت التعقيبة كلمة منحرفة من الأعلى إلى الأسفل.

ثالثًا- عنوان الكتاب ونسبته إلى المؤلف.

ورد للكاتب عنوانان:

الأول: ((إرشاد الحيارى في ردع من ماري في أدلة التوحيد ورد النصارى)).

ذكره البغدادي في كتابيه إيضاح المكنون وفي هدية العارفين^(١)، وذكره عمر كحالة في معجم المؤلفين^(٢)، والحقيقة أن زيادة عبارة ((في أدلة التوحيد ورد النصارى)) ضمن العنوان هو خطأ وقع فيه المفهرسون، فتلك الزيادة تعني موضوع الكتاب ولا تعني عنوانه.

وفي معجم المطبوعات العربية^(٣) جاء العنوان مجرداً من عبارة ((في أدلة التوحيد ورد النصارى)) وقد ذكرها سركريس معلقاً على موضوع الكتاب وهو الصواب.

أما العبارة الأولى ((إرشاد الحيارى في الرد على النصارى)) والتي ذكرت على أساس أنها عنوان الكتاب. فلا نعلم المصدر الذي استعان به المفهرسون في إثبات هذا العنوان.

الثاني: ((إرشاد الحيارى في الرد على النصارى)).

جاء هذا العنوان مثبتاً في صفحات عنوان النسخ التي اعتمدتها في التحقيق. كما جاء مثبتاً كذلك في مقدمة المؤلف في جميع النسخ الخطية؛ لذا جعلته العنوان المعتمد واستبعدت عنوان ((إرشاد الحيارى في ردع من ماري)) الذي يبدو أنه أصابه التحريف.

وقد أثبتت الأدلة -مما لا يدع مجالاً للشك- على صحة نسبة كتاب ((إرشاد الحيارى في الرد على النصارى)) لعبد العزيز الديريني وأشار إليه المفهرسون كما أسلفنا. وجاء اسم المؤلف مثبتاً في صفحة عنوان نسخة المكتبة المركزية بالسيدة زينب، وكذلك نسخة دار الكتب القومية رقم: [٣٨٢١٦ ب].

رابئاً - طريقتي في إخراج النص.

يتلخص عملي في تحقيق وإخراج النص فيما يأتي:

* ضبط النص وتقويمه بتصحيح ما اعتراه من تصحيف وتحريف، وكتابته على أصول النحو المعروفة اليوم.

* شكل ما يُشكل من الكلمات وما يحدث قراءتين أو أكثر. وشرح بعضها ليتسنى فهم النص فهماً صحيحاً ثم تزويد النص بعلامات الترقيم المناسبة وترقيم الفصول وجعل الأرقام بين معقوفتين.

* عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مبيّناً اسم الصورة ورقمها وجعلت الآية بين قوسين مزهرين مع الشكل الدقيق والمحكم للآية باعتماد المصحف الإلكتروني.

* عزوت نصوص التوراة والإنجيل إلى مصدرها في الكتاب المقدس موضعاً اسم السفر واسم الإنجيل ورقم الإصحاح والفقرة مشيراً إلى اختلاف النصوص في النسخة التي اعتمدتها من الكتاب المقدس - عند النصارى- وبين النسخة التي كانت بين يدي المؤلف.

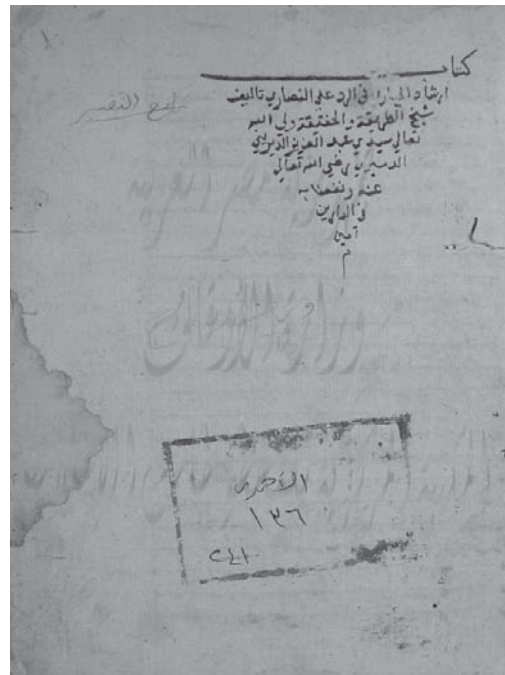
* تزويد النص بدراسة وافية حول حياة المؤلف والكتاب المحقق.

* وضعت فهرس للمصادر والمراجع المعتمدة في التحقيق.

(١) ينظر إيضاح المكنون، البغدادي: ٦٠/١. وكذلك هدية العارفين للبغدادي: ٥٨٠/١.

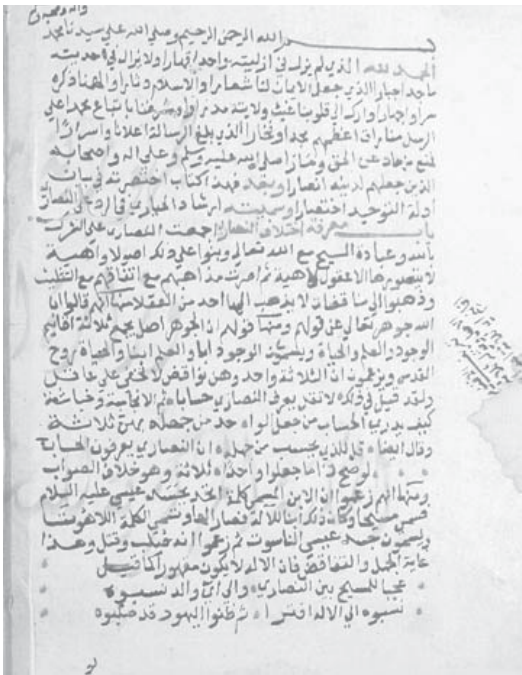
(٢) ينظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة: ١٥٧/٢.

(٣) ينظر معجم المطبوعات، يوسف سركريس: ٩٠٠/١.



صفحة العنوان

نسخة المكتبة المركزية بالسيدة زينب (ج).



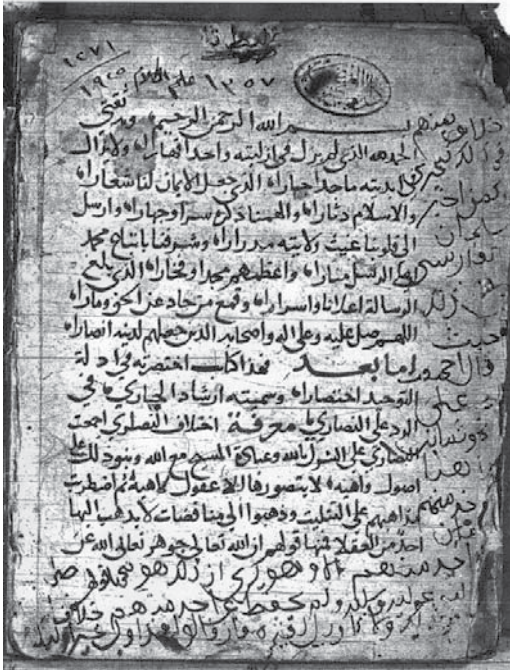
مقدمة المخطوط

نسخة المكتبة المركزية بالسيدة زينب (ج).



صفحة العنوان

نسخة دار الكتب المصرية (د).



مقدمة المخطوط

نسخة دار الكتب المصرية (د).

إرشاد
الحيارى في
الرد على
النصارى
للديريني
(٦٨٨هـ)

[النصر المحقق]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الحمد لله الذي لم يزل في أزليته واحداً قهاراً، ولا يزال في أبديته^(١) ماجداً جباراً، الذي جعل الإيمان لنا شعاراً والإسلام لنا دثاراً، وألهمنا ذكره سرّاً وجهاراً، وأرسل إلى قلوبنا غيث ولايته مدراراً، وشرفنا باتباع محمدٍ أعلى الرسل مناراً، وأعظمهم مجدّاً وفخاراً، الذي بلغ الرسالة إعلاناً وإسراراً، وقمع من حاد عن الحق ومارى، اللهم صل عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين جعلهم لدينه أنصاراً، أما بعد: فهذا كتاب اختصرته في^(٢) أدلة التوحيد اختصاراً، وسميته ((إرشاد الحيارى في الرد على النصارى)).

معرفة اختلاف النصارى:

أجمعت النصارى على الشرك بالله وعبادة المسيح مع الله تعالى، وبنوا على ذلك أصولاً واهيةً لا يتصورها إلا عقول لاهية، ثم اضطربت^(٣) مذاهبهم (مع اتفاقهم)^(٤) على التثليث^(٥)، وذهبوا إلى مناقضات لا يذهب إليها أحد من العقلاء.

فمنها قولهم أن الله جوهر^(٦)، تعالى الله عن قولهم.

ومنها قولهم أن الجوهر أصل يجمع ثلاثة أقانيم^(٧)؛ الوجود والعلم والحياة، ويسمون الوجود -الأقنوم الأصل- أباً، والعلم ابناً، والحياة روح القدس، ويؤمنون أن الثلاثة واحد وهو تناقض لا يخفى على عاقل.

(١) في (ز) أحديته.

(٢) في (ز) في بيان.

(٣) في (ز) أصرت.

(٤) ساقطة من (د) وقد أثبتتها من (ز).

(٥) بعد مناقشته لعقيدة التثليث عند النصارى واختلافهم في شأنها يقول محمد مجدي مرجان في كتابه الله واحد أم ثلاث: هذه الخلافات الجوهرية بين أصحاب الثلاث أنفسهم وبينهم وبين معارضيتهم إنما تدل بوضوح على غموض تلك العقيدة وعدم اقتناع أصحابها بها، لمخالفتها لمنطق عقولهم وسوية فطرتهم، مما يجعل أصحاب الثلاث أنفسهم في صراع دائم بين منطق عقولهم وحكم ظروفهم، بين عقول فطرت على التوحيد وظروف فرضت التثليث. (محمد مجدي مرجان، الله واحد أم ثلاث، ٤٢).

(٦) يقول ابن تيمية: أما تسمية الباري جوهرًا، فهو من أهون ما يُنكر على النصارى، ولهذا كان من الناس من ينكره من جهة الشرع فقط أو اللغة، ومنهم من ينكره من جهة العقل أيضاً، ومنهم من يراه نزاعاً لفظياً. (الجواب الصحيح لابن تيمية: ٧/٥).

(٧) الأقنوم: هي على ما في كتاب المعربات الأصول، قيل رومية وقيل سريانية معناها الشخص، ولهم فيها تسعة أقوال، أحدها أنها أشخاص، وثانيها بأنها خواص، وثالثها صفات، ورابعها بأنها صفات إيجابية، وخامسها صفات إيجابية جوهرية، وسادسها صفات لا بمفردها بل يكون كل واحد منها مع الذات أقنوماً، وسابعها أنها أوصاف لا بمفردها بل يكون كل واحد منها مع الذات أقنوماً، وثامنها أنها هي العقل والعاقل والمعقول، وتاسعها أنها جهات ذهنية واعتبارات عقلية. (الجواب الفسيح، الألويسي: ٢٤٨-٢٤٩).

ولقد قيل في ذلك:

لا تقل تعرف النصارى حساباً ثم إلا نجاسةً وخيانةً^(١)
كيف يدري الحساب من جعل الوا حد (من جهله به ثلاثة)^(٢)

وقال

لا تقل تعرف النصارى حساباً ثم إلا نجاسةً وخيانةً ثم إلا نجاسةً وخيانةً^(٣)
كيف يدري الحساب من جعل الوا حد (من جهله به ثلاثة) ثم إلا نجاسةً وخيانةً^(٤)

ومنها أنهم زعموا أن الابن المسمى كلمة، اتحد بجسد عيسى (عليه السلام) فسُمي مسيحاً^(٥)، وكان
بذلك ابناً للإله فصار بذلك إلهًا، وسُمي الكلمة ((اللاهوت)) ويسمون جسد عيسى ((الناسوت)) ، ثم
يزعمون أنه صُلب وقُتل وهذا غاية الجهل والتناقض، فإن الإله لا يكون مقهوراً كما قيل:

عجباً للمسيح بين النصارى وإلى أي والد نسبوه
نسبوه إلى الإله افتراء ثم ظنوا اليهود قد صلبوه
لو حكمنا بصحة الصلب والقتل عليه فأين كان أبوه
ليشفق الوالد الرءوف على إلا بن إذا ما أعداؤه ضربوه
أفإن كان راضياً بأذاهم فاحمدوهم لأجل ما فعلوه
ولئن كان ساخطاً لأذاهم فاعبدوهم لأنهم غلبوه
فانظروا تعلموا جهالة قوم أفسدوا بالقياس ما أثبتوه^(٦)

ثم اختلف النصارى في معنى اتحاد اللاهوت بالناسوت:

فمنهم من قال أن الكلمة دخلت جسد عيسى (عليه السلام) فصار محلاً لها، وهذا محال؛ لأن الصفات
لا تنتقل من جوهر إلى جوهر، إذ يلزم من ذلك قيامها بنفسها في حالة من الحالات، ويلزم أيضاً حلولها
في المسيح (عليه السلام) خلو الجوهر منها.

(١) في (ز) خباثة.

(٢) في (د) جهلاً ثلاثة، وما أثبتته من (ز) وبه تستقيم تفعيلات البيت. (بحر الخفيف).

(٣) في (ز) خباثة.

(٤) في (د) جهلاً ثلاثة، وما أثبتته من (ز) وبه تستقيم تفعيلات البيت. (بحر الخفيف).

(٥) الواقع أن هذا اللقب يرجع إلى الشعائر التي درجت عليها الأمة اليهودية منذ أجيالهم الأولى... فمنذ عهد إسرائيل
(النبي يعقوب) اعتبر المسح بالزيت من أعظم شعائر التقديس والتكريم للناس ولأماكن فكل ما يمسح بهذا الزيت
يصير مقدساً لله، ولا يمسح بهذا الزيت المقدس من الناس سوى الكهنة والملوك والأنبياء، لذلك سمي هؤلاء
مُسَحَّاءً لله أي المختارين والمباركين من الله. (المسيح إنسان أم إله، محمد مجدي مرجان: ٧).

(٦) لم أقف على صاحب الأبيات.

ومنهم من قال أن معنى الاتحاد امتزاج واختلاط كامتزاج اللبن بالماء، وذهب بعضهم إلى أن الكلمة استحالت لحمًا ودمًا، وهذا كله مستحيل عند كل عاقل.

وذهب بعضهم إلى أن الاتحاد معناه ظهور الكلمة على الجسد كالصورة في المرآة، وهذا أيضًا باطل؛ فإن الصورة المرئية في المرآة لم تنتقل ذاتها إلى المرآة اختلاطًا ولا مجاور، وإنما يُنظر^(١) الإنسان صورته في المرآة^(٢)؛ لأن النور ينعكس عليه فيرى صورته لصقالة المرآة، وليس ذلك بحلول ولا مجاورة ولا امتزاج.

ويقال لمن قال أن الكلمة انقلبت لحمًا ودمًا، لا يجوز أن تنقلب مُحدثَّةً، وانقلاب الكلمة التي هي صفة الجوهر لحمًا ودمًا محال، وثبت أن كلمة الله صفة من صفاته لا تحل في جسم من الأجسام بمعنى الحلول ولا المجاورة ولا الاختلاط، فلا معنى للاتحاد، ولا يكون معنى لإلهية عيسى على وجه من الوجود. ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ﴾^(٣).

فصل: [١]

ويقال للنصارى: إذا قلتم أن الناسوت حادث^(٤) واللاهوت قديم^(٥)، وقلتم أن اللاهوت اتحد بالناسوت، فلا يخلو إما أن ينقلب القديم حادثًا أو الحادث قديمًا، (أو يبقى كل واحد على حاله، ومحال أن ينقلب القديم حادثًا أو الحادث قديمًا)^(٦)؛ فإن الحقائق لا تنقلب، وحقيقة القديم ما ليس لوجوده بداية، وحقيقة الحادث ما وُجد بعدما عَدِم، فلم يبق إلا أن يكون كل على حقيقته، فلا معنى للاتحاد ولا يكون المسيح إلهًا.

فصل: [٢]

ويقال لهم أن الكلمة حَلَّت في جسد عيسى أو خالطته أو صارت صفة له، فهل فارقت الأب أم لا؟. فإن فارقت الأب جَوَزْتَم عليه النَّقْص، وإن لم تفارقه لزم قيام صفة بموصوفين أو موجودين في محلين، وذلك لا يجوز^(٧)ه عاقل.

فصل: [٣]

ويقال لهم: اتحاد اللاهوت بالناسوت واجب أم جائز؟

(١) في (ز) يظن.

(٢) في (ز) إذا قابل المرآة.

(٣) سورة المؤمنون: الآية (١١٧).

(٤) الحادث: ما يكون مسبقًا بالعدم ويسمى حدثًا زمنيًا، وقد يعبر عن الحدث بالحاجة إلى الغير ويسمى حدثًا ذاتيًا. (التعريفات، الجرجاني: ٨٥).

(٥) يُطلق على الموجود الذي لا يكون وجوده من غيره وهو القديم بالذات، ويطلق القديم على الموجود الذي ليس وجوده مسبقًا بالعدم، وهو القديم بالزمان والقديم بالذات يقابله المحدث بالذات. (التعريفات، الجرجاني: ١٧٩).

(٦) هذه العبارة ساقطة من (ز)، وقد أثبتتها الناسخ في الهامش الأيمن.

(٧) في (ز) لا يتصوره.

فإن قالوا واجب؛ لزم قدم الناسوت ولا قائل به، وإن قالوا جائز؛ افتقر إلى مقتضى كسائر الحوادث، وجاز انتفاء الاتحاد بعد وجوده كما يجوز عدم سائر الحادثات.

ويقال لهم: هذا الاتحاد كمال أو نقص؟

(فإن قالوا أنه نقص، فقد وصفوا الإله بالنقص) ^(١)، وإن قالوا كمال؛ لزم وجود الاتحاد في الأزل، وأن اللاهوت لم يزل (متحدًا) ^(٢) بالناسوت وذلك قبل وجود الناسوت، محال.

فصل: [٤]

ويقال لهم: لم حصرتم الأقانيم في (ثلاثة) ^(٣)؛ الوجود والعلم والحياة؟

وهلا عددتم القدرة والإرادة وسائر صفات الكمال أقانيم؟!

ولم قلتم الجوهر جامع لثلاثة؟ فهلا قلتم أربعة؟ فإن الجوهر إن كان هو الأقانيم أو هي صفات له فهو إله واحد، فإن كانت الأقانيم غير الجوهر لزم القول بأربعة.

ولم خصصتم الكلمة بالاتحاد بجسد عيسى دون الحياة والوجود؟

ولم تنكروا قول من يقول أن الوجود والحياة اتحدا بجسد عيسى؟ وهذا تحكم في التخصص من غير دليل.

فصل: [٥]

ويقال لهم: لم قلتم أن كلمة الله اتحدت بجسد عيسى دون غيره من الأنبياء؟

فإن قالوا لأجل ما ظهر على يد عيسى من خوارق للعادات.

قلنا: قد ظهرت خوارق العادات على يد غير عيسى؛ كموسى ومحمد (صلى الله عليه وسلم)، فلم لا تقولون بالهية موسى؟ فقد قلب العصا ثعباناً وقلق البحر ^(٤)... وغير ذلك.

ولم قلتم أن عيسى خالق لما ظهر بين يديه؟

وهلا قلتم أن الله تعالى فاعل ذلك تصديقاً له وإثباتاً لنبوته كسائر المعجزات للرسل؟

فإن قالوا أن موسى كان يسأل الله تعالى ويرغب إليه فيما ظهر على يديه.

قلنا: وقد كان عيسى (عليه السلام) يتضرع ويسأل الله تعالى، ولو لم يكن يسأل ظاهراً، فما المانع أن يكون متوجهاً بقلبه وسائلاً في سره؟ وذلك يقوم مقام السؤال باللسان.

(١) ساقطة من (ز).

(٢) ما أثبتته هنا من (ز)، ساقطة من (د).

(٣) في (د) بداية، وما أثبتته من (ز) وهو الصواب.

(٤) يشير المؤلف قول الله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة الشعراء: الآية ٣٢] ، وقوله تعالى ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الشعراء: الآية ٦٤].

ومما زعموا أنه حين صُلب كان يقول: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" ^(١).
فإن قالوا كان يدعو ليعلم الناس.

قيل لهم: فيم تنكرون على من يزعم أن موسى كان إلهًا، وإنما كان يتضرع ويدعو ويتعبد تعليمًا للناس؟

فإن قالوا: المسيح لاهوت وناسوت.

قيل لهم: وما المانع أن يكون غيره من الرسل لاهوتًا وناسوتًا؟ وكلما يدعونه في عيسى أمكن أن يدعى ذلك ^(٢) في غيره من الرسل.

فصل: [٦]

وفي الإنجيل أن عيسى (عليه السلام) قال: "إني من عند الله أرسلت" ^(٣). ^(٤)

وقال للحواريين: "كما بعثني أبي فأنا أبعثكم" ^(٥).

وقال: "إني ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" ^(٦).

والمراد بالأب؛ السيد والملك، وقد بينه بقوله: "إلهي وإلهكم" وإن حملوا الكلام على ظاهره لزمهم بأن يقولوا أن الحواريين آلهة، ولا قائل بذلك.

فصل: [٧]

فإن قالوا: إنما قلنا بالهية المسيح لما ورد في الكتب المنزلة.

فقد قال تعالى: "العذراء تحمل وتلد ابنًا يدعى إلهًا" ^(٧).

(١) متى: ٤٦/٢٧. ونصه: "وَنَحْوُ السَّاعَةِ النَّاسِغَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: إِيْلِي، إِيْلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟ أَيُّ: إِيْلِي، إِيْلِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟". وكذلك في مرقس: ٣٥/١٥. ونصه: "وَفِي السَّاعَةِ النَّاسِغَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: إِيْلُوِي، إِيْلُوِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟ الَّذِي تَفْسِرُهُ: إِيْلِي، إِيْلِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟".

(٢) في (ز) أمكن غيرهم ادعاء ذلك.

(٣) ساقط من (د)، وقد أثبتته من (ز).

(٤) ورد ما يشبه هذا النص في إنجيل يوحنا: ٣/١٣. ونصه: "يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ الْآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَرَجَ، وَإِلَى اللَّهِ يَمْضِي". وكذلك في يوحنا: ٢٦/١٦. ونصه: "أَنَّ الْآبَ نَفْسَهُ يُحِبُّكُمْ، لِأَنَّكُمْ قَدْ أَحْبَبْتُمُونِي، وَأَمَنْتُمْ أَنِّي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَرَجْتُ".

(٥) يوحنا: ٢١/٢٠. "سَلَامٌ لَكُمْ، كَمَا أَرْسَلَنِي الْآبَ أَرْسِلُكُمْ أَنَا".

(٦) يوحنا: ١٧/٢٠. "إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهُكُمْ".

(٧) إشعيا: ١٤/٧. "وَلَكِنْ يُعْطِيكُمْ السَّيِّدُ نَفْسَهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ عَمَّائُوِيلَ". وبعده في نفس السفر ٦/٩: "لَأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطِي ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَّاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيْبًا، مُشِيرًا، إِلَهًا قَدِيرًا".

قلنا: وقد قال لموسى: "إني جعلتك إله هارون"^(١). ومعناه أنك تعلمه وتأمّره وتجب عليه طاعتك. ثم يقال لهم: بم تنكرون على من يقول: معنى قوله: "العذراء تحمل وتلد ابنا يدعى إلهًا"؛ أي تلد ابناً لها يشرك باسمه قوم ويدعون إلهاً مع الله؟ -سبحانه وتعالى- فيكون ذلك إخباراً عن شرككم وافترائكم عليه.

فصل: [٨]

فإن قالوا: إنما كان المسيح إلهًا؛ لأنه خلق من غير أب. لزم ذلك في آدم؛ لأنه خلق من غير أب ولا أم، بل يلزم ذلك في سائر الملائكة؛ لأنهم خلقوا من غير أب ولا أم، ثم تظهر على أيديهم من أفعال الله تعالى من العجائب مالا يُحصى^(٢)، فيلزم أن يكونوا آلهة -تعالى الله عن ذلك-. قال الله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٣) فإن قالوا أنه قال في الإنجيل: "أنا وأبي واحد ومن رأيي فقد رأى أبي"^(٤).

قلنا: مراده بأبي مالكي وربّي، فإنه قال: "إني ذاهب إلى أبي وأبيكم"^(٥). وقوله: "أنا وأبي واحد"^(٦). معناه: من أطاعني فقد أطاعه ومن عصاني فقد عصاه، وهذا شائع في المخاطبة، أن يقول الملك المطاع أن غلامي فلان قد أقمته مقامي فأنا وهو واحد، وجعلت طاعتي طاعته.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٧).

فهذا مما لا ينكره ذو تحصيل ولو كان على ظاهره، وإن المراد بالاتحاد^(٨) (لوجب)^(٩) أن يكون الولادة والحمل والصلب والقتل والأكل والشرب... وغير ذلك من عوارض البشر جاز على الأب، ويلزم منه وصف الإله بعوارض البشر وهذا محال واضح.

فصل: [٩]

اجتمعت النصارى على أن الاتحاد من الأفعال، صار به المتحد متحدًا والمسيح مسيحًا.

فيقال لهم: هذا الفعل، هل له فاعل أم لا؟

(١) لم أعثر على هذا النص ضمن النسخة التي اعتمدتها من الكتاب المقدس، وما عثرت عليه عبارة قريبة من النص الذي ساقه المؤلف: "انظروا! أنا جعلتكم إلهًا لغير عون. وهارون أخوك يكون نبيك" الخروج: ١٧/

(٢) في (ز) لا يحصر.

(٣) سورة النساء: الآية (١٧٢).

(٤) يوحنا: ٣٠/١٠ "أنا والآب واحد" وبعده يوحنا: ٩/١٤ "من رأيي فقد رأى أبي".

(٥) يوحنا: ١٧/٢٠. أصعد بدل ذاهب.

(٦) يوحنا: ٣٠/١٠. "أنا والآب واحد".

(٧) سورة النساء: الآية (٨٠).

(٨) هكذا في الأصل، لعل الصواب ((به الاتحاد)) والله أعلم.

(٩) ساقطة من (د) وقد أثبتتها من (ز).

فإن قالوا: لا فاعل له. كان محالاً؛ إذ لو جاز وقوع فعل من غير فاعل لجاز ذلك في جميع الأفعال، ويؤدي ذلك إلى نفي الصانع وهو محال.

وإن قالوا: هو^(١) فعل فاعل فعله وكان به متّحداً.

قلنا: هل الفاعل الجوهر أم الأَقْنُوم، (أم واحد منهما)^(٢)؟

فإن كان الفاعل هو الجوهر الجامع للأقانيم؛ لزم أن يكون المتّحد بالناسوت هو الجوهر، فإن أصلهم أن المتّحد هو الذي فعل الاتحاد فصار به متّحداً، ويجب أن يكون هو الإله دون غيره.

فإن كان من فعل الجوهر والأقانيم، فالإتحاد لا يختص بأقنوم من الأقانيم.

وإن قالوا أن الابن مختص بهذا الفعل الذي هو الاتحاد، فما المانع من أن يكون كل أقنوم مختصاً بأفعال ينفرد بها؟ وأي دليل يدل على اختصاص هذا الأقنوم بهذا الفعل؟ وكل ذلك بحكم^(٣) من غير دليل، وكل دعوى من غير برهان باطلة.

فصل: [١٠]

قولهم أن اللاهوت اتحد بالناسوت، لا يخلو من أربعة أوجه:

الأول: أنه امتزاج واختلاط كاختلاط اللبن بالماء، وهو مذهب الرُّوم الذين يسمون المَلَكِيَّة^(٤)، وهذا ظاهر البطلان؛ فإن الامتزاج إنما يكون من جسمين، فأما القديم فلا يجوز امتزاجه بغيره، فأما اللاهوت فقولهم أنه امتزج بالناسوت محال.

الوجه الثاني: أن يكون اتحاد اللاهوت بالناسوت إنما صار شيئاً واحداً كالحديدة إذا حميت بالنار وهذا محال، فإن الحرارة الداخلة على الحديدية عَرَضٌ زائد، ودخل عليها بواسطة مجاورتها النار والنار جسم، فالقول بمثل ذلك بين قديم وحادث محال.

(١) في (ز) هذا.

(٢) ساقطة من (ز).

(٣) في (ز) تحكم.

(٤) فرقة الروم أو الملكانية: أصحاب مِلْكَا الذي ظهر بالروم واستولى عليها.. يقولون أن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته، ويعنون بالكلمة أقنوم العلم ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة.. قال بعضهم إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر اللبن أو الماء اللبن.. وصرحت الملكانية بأن الجوهر غير الأقانيم وذلك كالموصوف والصفة، وعن هذا صرحوا بإثبات التثليث.. وأن المسيح ناسوت كلي لا جزئي وهو قديم أزلي من قديم أزلي. (الملل والنحل للشهرستاني: ٢٤٨-٢٤٩).

الوجه الثالث: أن معناه المجاورة كالثوب على اللابس^(١) والظل والشمس على الجدار، وهذا محال أيضاً، فإن ضوء الشمس أجزاء منتشرة منبسطة على ما وقعت عليه، والثوب والجسم يتجاوران، فأما القديم والحادث لا يتجاوران ولا يمتزجان^(٢).

الوجه الرابع: أن يكون الاتحاد بمعنى الاتّصاف، فيكون اللاهوت صار وصفاً للناسوت كالقدرة والإرادة وهذا محال من وجوه كثيرة:

أحدهما أن الصّفات لا تنتقل من موصوفٍ إلى موصوفٍ، ومنها أن الكلمة إن كانت قد انتقلت إلى الناسوت وخلا الجوهر منها، لزم خلوه عن العلم ونقصه.

فصل: [١١]

وفي الإنجيل أن المسيح كان يفر من اليهود من موضع إلى موضع^(٣).
وأين هذا الوصف من الرب القاهر؟، وإن كان اللاهوت قد صُلب فقد قُهر، (وإن لم يكن قد صُلب فقد قُهر)^(٤) محلّه وصاحبه وهو الناسوت، فكيف ترك اللاهوت ناسوته يُهان ويُصلب؟.

فإن قالوا: أراد بذلك تعليمهم، قلنا: قد حصل مقصودنا؛ فإنهم قد وقعوا بذلك في الضلال والاختلاف.
ويقال لهم: إن كان واحد من الأقانيم ينفرد بالفعل دون الجوهر، فأى مزية للجوهر عليه؟ وما المانع من كونه هو الأصل والجوهر أقنوم له؟.

ومن مناقضاتهم قولهم أن الابن اتحد بناسوت عيسى وكان به مُتَّحِداً وحده دون الأب وروح القدس، مع كون الابن غير مباينٍ (للجوهر وغير منفصلٍ عنه).

فكيف يكون منفرداً بالاتحاد مع كونه غير مباينٍ للجوهر^(٥)؟ وهذا تناقض لا يخفى على عاقل.

(١) في (ز) على الابن.

(٢) من ذهب إلى هذا القول من فرق المسيحية هم النساطرة، فظاهر قولهم أن الاتحاد على معنى المساكبة، وأن الكلمة جعلت الجسد محلاً وادركته ادراكاً، وذهب بعضهم إلى أن الاتحاد وقع به كما اتحد نقش الفص بالشمع، وصورة الوجه بالمرأة، من غير أن يكون قد انتقل النقش من الفص إلى الشمع أو الوجه إلى المرأة... وتنسب هذه الفقرة إلى نسطوريوس بطريرك أنطاكية، وهو مذهب يؤكد على التمايز والفصل بين الطبيعة الإلهية للمسيح والطبيعة البشرية، فهو ليس طبيعتين فحسب بل أقنومين، أي شخصين متميزين أيضاً، وهما شخصية عيسى الذي كان بشراً، وهذا البشر هو وحده الذي ولد من مريم العذراء، وبالتالي فمريم _باعتقادهم_ هي والدة يسوع وليست والدة الله. (الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام إلى اليوم، سعد رستم: ٢٧).

(٣) يشير المؤلف إلى يوحنا: ١٠/٣٩-٤٠. "فطلبوا أيضاً أن يمسكوه فخرج من أيديهم. ومضى أيضاً إلى عبر الأردن إلى المكان الذي كان يوحنا يعتمد فيه أولاً ومكث هناك".

(٤) ساقطة من (د) وقد أثبتتها من (ز).

(٥) هذه العبارة ساقطة من (ز).

ويقال للملكية: كيف ولدت مريم الابن دون الأب وروح القدس، وهو غير باينٍ عنهما ولا منفصل منهما؟! فيكون المتّحد بالجسم حملاً في بطن مريم وهما غير متباينين. فالجوهر والأقانيم لا ينفصل بعضها عن بعض.

كيف يكون منه غير مولود ومنه غير متّحد؟! لولا العجز والجهل.

ومما يقال للنصارى: قد زعمتم أن (الابن)^(١) اتحد بجسد عيسى (عليه السلام) ثم زعمتم أنه صُلب وقتل، فهل كان الاتحاد باقياً حال الصلب والقتل أم لا؟

فإن قالوا أن الاتحاد كان باقياً، قلنا فالذي مات مسيحٌ من صفتين لاهوتٌ وهو إله وناسوتٌ هو إنسان صاراً شيئاً واحداً عندكم!

فيجب أن يكون ابن الإله قد مات لما قُتل وصلب^(٢)، فإذا صار ميتاً، لم يكن في تلك الحال إلهاً؛ لأن الإله لا يكون ميتاً ولا ناقصاً، ولو جاز ذلك لجاز موت الأب وروح القدس.

وإن قالوا أن الاتحاد بطل عند القتل والصلب؛ لزم أن يكون المصلوب^(٣) المقتول إنما هو الإنسان الذي كان الابن متّحداً به، وقد زال الاتحاد فبطلت إلهية هذا المصلوب، وهذه مناقضات لا يخفى بطلانها على عاقل.

ومنها تسميتهم الرب ((جوهر))، وقولهم إنه يجمع الأقانيم الثلاثة، وقولهم إنها آلهة ثلاث، وقولهم أن الثلاثة إله واحد^(٤)، وقولهم أن المسيح إله، وقولهم هو لاهوتٌ قديم وجسد حادث اتحداً فصاروا واحداً، وقولهم أن المسيح إله مع علمهم أنه كان يأكل ويشرب وتطراً عليه عوارض البشرية من الصحة

(١) في (د) الأب، وما أثبتته من (ز) وهو الصواب.

(٢) في (ز) فيجب أن يكون ملك الابن الإله قد فات لما قتل.

(٣) في (ز) هذا الضارب.

(٤) الغريب في الأمر أن النصارى يعتبرون أنفسهم موحدين أو على الأقل يحاولون الجمع بين التوحيد والتثليث، ويبين الشيخ أبو زهرة سبب محاولة النصارى الانتساب إلى التوحيد فيقول: لعل الذي يدفعهم إلى ذلك هو اعتبارهم التوراة كتاباً مقدساً عندهم، وهي تصرح بالتوحيد وتدعو إليه وتحث عليه. فهم يجتهدون أولاً في أن يستنبطوا من نصوصها ما يحملونه على الإشارة إلى التثليث كعبارة كلمة الله أو عبارة روح القدس، وثانياً يحاولون أن يرجعوا التثليث إلى الوجدانية لتلقي التوراة مع الإنجيل فيقربوا التوراة إليهم بتحميل عباراتها مالا تحتمل ويقربوا عقائدهم من التوراة بتضمين ثلوثهم معنى التوحيد، وإن كان هو أيضاً لا يحتمل ذلك. (محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: ١٠٣-١٠٤).

والسَّقم واللذة والألم والموت والحياة^(١)، وقولهم أنه يتعبد ويجتهد في العبادات ويخضع لربه، وقولهم أنه صُلب وقُتل وكل ذلك مستحيل في العقل.

وما الفرق بين من يعبد المسيح وبين من يعبد غيره من بني آدم أو من الملائكة، بل يعبد جسمًا من الأجسام مطلقًا؟! فإن الأدلة العقلية قد شهدت بحدوث الأجسام ودلالاتها على صانع أوجدها ومدبّر دبرها، فمن اعتقد قَدَم الجسم واتخذها إلها فقد نقض الأصول وخالف المعقول. فنسأل الله العافية.

فصل: [١٢]

ومما يتعلقون به من كلمات ينقلونها ويزعمون أنها من الكتب المنزلة، قد ذكرنا بعضها^(٢) ولنا فيها طريقان:

الأولى: أن أهل الكتب بدلوا وغيروا ما أنزل الله تعالى، فلا تقوم الحجة بما ينقلونه من الكتب، إذ لم يثبت بالتواتر نقلًا ولم يظهر دلالاته عقلاً، ودعوى الخصم ما لم يتواتر به نقل ولم يشهد به دليل عقل ليس بحجة.

والطريق الثانية: أن نقول لهم: هذه الكتب التي ذكرتم لم تنزل باللغة العربية، وما (ذكرتموه أنتم من الألفاظ العربية)^(٣) إنما هو منكم على قدر ما تعتقدونه من التفسير، ونحن لا نقبل تفسيركم من وجهين: أحدهما أنكم عندي غير مصدّقين.

والثاني أنكم لستم من أهل العربية فلا يُقبل منكم ما ذكرتم بالعربية أنه تفسير لما أنزل^(٤)، فلا حجة لكم فيما تنقلون من ألفاظ العربية^(٥) أصلاً.

إرشاد
الحيارى في
الرد على
النصارى
للديريني
(٦٨٨هـ)

(١) قال الله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾. [سورة المائدة: الآية ٧٥].

(٢) في (ز) نقصها.

(٣) ساقطة من (د)، أثبتّها من (ز).

(٤) من أهم الألفاظ التي فسرّها النصارى على غير معناها الحقيقي، وأجروها على ظاهرها؛ لفظتي (الأب) و(الابن)؛ حيث حُمِلت على ظاهرهما فاعتُبرت العلاقة بين الإله والمسيح هي علاقة بنوّة حقيقية، والحقيقة أنها تعني أبوة النعمة والإحسان وبنوّة الخدمة، وقد جاء في الآية الكريمة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُمْ ﴿١٨﴾﴾ [سورة المائدة: الآية ١٨] أي: نحن منتسبون إلى أنبيائه وهم بنوه وله بهم عناية، وهو يحبنا... ومعلوم أنهم لم يدعوا لأنفسهم من البنوّة ما ادعوا في عيسى (ؑ)، وإنما أرادوا بذلك معزتهم لديه وخُطوتهم عنده، ولهذا قالوا نحن أبناء الله وأحبّوه.

(٥) في (ز) لما ينقلون بألفاظ عبرانية أصلاً.

وقد ورد في كتابنا الذي أنزل بالعربي وثبت بالتواتر - وهو القرآن العزيز - ألفاظ أشكّلت على بعض المسلمين وتعلق بها المبطلين، فمنها:

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَحَامِلُوا لِلَّهِ وَرُسُلَهُ ﴾^(١)

وهذا كتاب عربي لا يعرف معانيه غير العرب الفصحاء، والرسول عند العرب يسمونه كلمةً ولساناً، يُقال: هذا لسان فلان وكلمته أي المبلغ عنه، فسَمَّى الله تعالى عيسى (عليه السلام) كلمةً؛ لأنه رسول مبلغ عنه، وسماه روحاً؛ لأنه أحيأ به قلوب المؤمنين.

وقد سَمَّى الله تعالى الهداية للإيمان روحاً فقال تعالى: ﴿ أَوْفَيْتُكَ كِتَابَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾^(٢) يعني بالروح هنا التوفيق.

وقال تعالى: ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾^(٣) يعني بالروح هنا الوحي. وأنه سبحانه وتعالى ينزل الروح من أمره على من يشاء من رسله (يُنْزِلُ يَوْمَ النِّزَالِ)^(٤) وفي الآية وجه آخر، أن قوله: (وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ)^(٥) أي خلق في بطنها ولذا كونه بقوله: (كُنْ فَيَكُونُ)^(٦) فكأنما ألقى إليها قوله: (كُنْ)^(٧) وأرسل إليها الروح التي أعدها لجسد عيسى (عليه السلام).

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾^(٨) يعني الوحي وقيل الروح جبريل (عليه السلام).

ومنه قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴾^(٩) على قلبك يعني جبريل (عليه السلام).

(١) سورة النساء: الآية (١٧١).

(٢) سورة المجادلة: الآية (٢٢).

(٣) سورة غافر: الآية (١٥).

(٤) سورة غافر: الآية (١٥).

(٥) سورة النساء: الآية (١٧١).

(٦) سورة البقرة: الآية (١١٧). سورة آل عمران: الآية (٤٨).

(٧) يقول ابن تيمية: تسمية المسيح كلمة الله، فإن الله تعالى خلقه بكلمته أي بقوله كن فكان. لم يخلقه على الوجه الذي خلق عليه غيره من البشر حيث خلقه الله من ماء الأيوين وأقره في الرحم المدة المعلومه، فساير البشر خلقوا بالسنة: أي بعبادة الله في مخلوقاته، والمسيح خلق بخرق العادة، فكونه بكلمته فهذا سمي كلمة الله دون غيره من المخلوقات. (تحقيق القول في مسألة عيسى كلمة الله والقرآن كلام الله لابن تيمية: ٣٤).

(٨) سورة الشورى: الآية (٥٢).

(٩) سورة الشعراء: الآية (١٩٣)، (١٩٤).

وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ^(١) قيل يعني به جبريل (عليه السلام).
 وقوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ ^(٢) أي من جبريل، وقيل نفخنا فيها روحًا من الأرواح وهي التي أعدت لجسد عيسى (عليه السلام).

فصل: [١٥]

قد وردت آيات في الرد على النصارى ردًا صريحًا منها:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ ^(٣)

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ^(٤)

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ﴾ ^(٥) الآية.

وفي هذه الآيات ما يوضح صحة التأويل في الآيات المشكّلة ^(٦) المتقدمة، وذلك مما يزيد المؤمنين إيمانًا ويزيل عنهم وساوس الشيطان، ومع هذا فإن الإيمان العلمي ما عُرف بالدليل العقلي، ثم يزيد وضوحًا بملزمة ذكر الله وتلاوة كتابه وذكره ورؤية الصالحين وأعمال البر، فيصير الإيمان ضروريًا كأنه العيان.

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما سُئل عن الإحسان فقال: " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ^(٧).

فصل: [١٦]

قد ظهر لجماعة من النصارى فساد قولهم في التثليث وعبادة المسيح، فعلموا أن المسيح عبد من عباد الله وأنه رسول، فخرجوا عن الشرك بالله وبقي عليهم تصديق رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم)، فمن صار إلى هذه الحالة، لم يُبحث معه إلا في النبوات.

فنقول لمن أقر بالتوحيد وأنكر تصديق الرسول (عليه السلام): قد يثبت بالدليل العقلي أن المعجزات الخارقة للعادات إذا ظهرت على يد من يدّعي الرسالة دلت على صدقه، ومثال المعجزة مثال من قال بحضرة ملك من الملوك: أنا وزير هذا الملك وقد جعل طاعتي طاعته ومحالفتي مخالفته، والدليل على صدقي أنني أقول للملك حرك عمايتك فيحركها، فإذا فعل ذلك كان قائمًا مقام قوله: صدقت.

(١) سورة مريم: الآية (١٧).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٩١).

(٣) سورة التوبة: الآية (٣٠).

(٤) سورة المائدة: الآية (١٧).

(٥) سورة المائدة: الآية (٧٣).

(٦) في (ز) المسألة.

(٧) أخرجه البخاري في الإيمان (٣٧)، وكذلك أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ١/١.

وقد ظهرت خوارق العادات على يد موسى وعيسى ومحمد (صلى الله عليه وسلم)، فإن أنكر اليهودي رسالة عيسى ومحمد (صلى الله عليه وسلم) طوّل بالدليل على رسالة موسى، فإن استدّل عليها بالمعجزات لزم إثبات رسالة عيسى ومحمد (صلى الله عليه وسلم) .

وكذلك النصراني، إذا اعترف أن عيسى رسول الله وأنكر رسالة محمد سلكنّا معه هذا المسلك، فما يُثبِت به رسالة موسى ثبّت به رسالة عيسى ومحمد (صلى الله عليه وسلم).

فصل: [١٧]

ذهب قوم من النصارى إلى ما يقوله بعض اليهود، أن محمدًا (صلى الله عليه وسلم) إنما أُرسل للعرب خاصة^(١).

ومسلك البحث مع هؤلاء أن نقول: إذا اعترفتم أن محمدًا رسول الله لزمكم القول أنه معصوم، فإن الرسل معصومون عن الكذب بالدليل العقلي ومعصومون عن الكبائر بإجماع الأمة، وعن الصغائر عند كثير من العلماء، (وقد ثبت بالتواتر أنه (صلى الله عليه وسلم) دعا اليهود والنصارى وسائر الطوائف إلى اتباعه والعمل بشريعته، وأخبر فيما أنزل عليه من القرآن أنه أُرسل إلى كافة الناس^(٢))، وقاتل اليهود والنصارى^(٣)).

وقد ثبت بالدليل العقلي صدقه وعصمته وأقررتم برسالته ثم ادعيتم التخصيص، وهذا مما لا يرتاب فيه منصف.

وإذا تعلقوا بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾^(٤)

قلنا هذا مُسلّم، فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) أُرسل بلسان قومه وهم العرب إلا أن رسالته عامة.

قال الله تعالى: ﴿لَا نُنْذِرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾^(٥) فأنذر كل من بلغه القرآن من سائر الطوائف.

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ - يَعْنِي الْعَرَبَ - رَسُولًا مِنْهُمْ﴾^(٦)

(١) من يقول بذلك من اليهود هم فرقة العيسويّة، أصحاب أبي عيسى الأصفهاني، رجل من اليهود بأصفهان.. وهم يقرّون بنبوّة عيسى ابن مريم ومحمد (عليه السلام) ، ويقولون إن عيسى (عليه السلام) بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل على ما جاء في الإنجيل، وأنه أحد الأنبياء في بني إسرائيل، ويقولون إن محمدًا (عليه السلام) نبي أُرسله الله تعالى بشرائع القرآن إلى بني إسماعيل (عليه السلام) وإلى سائر العرب. (اليهودية لابن حزم الأندلسي: ٧٢-٧٣).

(٢) يشير المؤلف إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٨) [سورة سبأ: الآية ٢٨].

(٣) هذه العبارة ساقطة من (ز).

(٤) سورة إبراهيم: الآية (٤).

(٥) سورة الأنعام: الآية (١٩).

(٦) سورة الجمعة: الآية (٢).

ثم قال: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ﴾^(١) يعني العجم، وهو مُرسَلٌ إليهم وإن لم يبلغوا رتبة العرب في الفضيلة وفهم القرآن، إلا أن الله تعالى يسر القرآن على السنة سائر الطوائف وفهم محكماته، وإن تفاوت الناس في فهمه على مراتب، إلا أن الجميع قد اشتروا في فهم المقصود الأعظم منه، وهو توحيد الله تعالى وتصديق محمد وسائر الرسل (صلى الله عليه وسلم) والعمل بطاعة الله عز وجل.

فصل: [١٨]

ويزيد اليهود على غيرهم في الجحود بأنهم أنكروا نسخ الشرائع^(٢)، وقالوا شريعة موسى لم تُنسخ وهذا باطل.

فإنه لا يخفى على كل عاقل أن آدم ونوحاً ومن تقدم قبل موسى من الرسل (عليه السلام) كانت لهم شرائع نُسخت بشريعة موسى (عليه السلام) كنزويج آدم (عليه السلام) بنيه لبناته، وتزويج العمة والخالة وغير ذلك، وكذلك نُسخت شريعة موسى وسائر الشرائع بشريعة محمد (صلى الله عليه وسلم). فنسأل الله أن يشرح صدورنا بالإيمان، ويكفيها نزغات الشيطان، ويثبتنا على دين الإسلام؛ لأنه خير الأديان إنه الولي المنان^(٣). تمت هذه الرسالة المباركة بحمد الله وعونه وتوفيقه، تمت وكملت.

إرشاد
الحيارى في
الرد على
النصارى
للديريني
(٦٨٨هـ)

(١) سورة الجمعة: الآية (٣).

(٢) يتفق اليهود على شيء واحد: هو أن الشريعة الإسلامية لم تنسخ شريعتهم، ولكنهم يفترون فيما عدا هذه القضية إلى ثلاث فرق لكل منها موقفها الخاص من النسخ **الفرقة الأولى**: وتشتهر باسم الشمعونية؛ نسبة إلى شمعون ابن يعقوب، تقرر أن النسخ لا يجوز عقلاً ولم يقع سمعاً. **الفرقة الثانية**: وتشتهر باسم العنانية نسبة إلى عنان بن داود، ترى أن النسخ لا بأس به في حكم العقل، لكنه لم يقع. **الفرقة الثالثة**: وتُعرف باسم العيسوية نسبة إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني، تذهب إلى أن النسخ جائز في حكم العقل، وأنه وقع فعلاً. ولكنها تمنع أن تكون شريعة محمد ناسخة لشريعة موسى (عليه السلام)؛ لأن رسالة محمد خاصة بالعرب ولم تكن عامة لجميع الناس. (نظرية النسخ في الشرائع السماوية، شعبان محمد إسماعيل: ٢٧-٢٨).

(٣) في (ز) تزيد ب: وصلى الله على أشرف سيدنا ولد عدنان محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

* الكتاب المقدس، مطبعة الكتاب المقدس.

- ١- الأجوبة، ابن سيد الناس اليعمري (٧٣٤هـ)، تح محمد الراوندي، وزارة الأوقاف، المغرب، ١٩٩٠م.
- ٢- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون على أسامي الكتب والفنون، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، لبنان.
- ٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ)، تح عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
- ٤- التعريفات، علي الشريف الجرجاني (٧٤٠هـ)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٥- الجامع الصحيح، الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة الجعفي البخاري (٢٥٦هـ)، اعتنى به محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.
- ٦- جامع كرامات الأولياء، يوسف بن إسماعيل النبهاني (١٣٥٠هـ)، تح إبراهيم عطوة عوض، مركز أهل سنة بركات رضا، الهند، ط١، ٢٠٠١م.
- ٧- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقي الدين ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تح علي بن حسن بن ناصر وآخرون، دار العاصمة، السعودية، ط٢، ١٩٩٩م.
- ٨- الجواب الفسيح لما لفته عبد المسيح، نعمان بن محمد الألوسي، تح أحمد حجازي السقا، دار البيان العربي، مصر، ط١، ١٩٨٧م.
- ٩- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٦٧م.
- ١٠- الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، علي باشا مبارك، المطبعة الأميرية ببولاق مصر، ط١، ١٣٠٦هـ.
- ١١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، تح محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- ١٢- صحيح مسلم، الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- ١٣- طبقات الأولياء، عمر بن علي بن أحمد المصري، ابن الملقن (٨٠٤هـ)، تح نور الدين شريعة، مكتبة الخانجي، مصر، ط٢، ١٩٩٤م.

- ١٤- طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة (٨٥١هـ)، تح عبد الحليم خان، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط١، ١٩٧٩م.
- ١٥- طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي (٧٧١هـ)، تح عبد الفتاح محمد الخلو، محمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- ١٦- طبقات المفسرين، شمس الدين محمد بن علي الداودي (٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ١٧- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٦٦م.
- ١٨- المستطرف في كل فن مستطرف، محمد بن أحمد الأبشيهي (٨٥٠هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، ١٩٩٢.
- ١٩- المسيح إنسان أم إله، محمد مجدي مرجان، مكتبة النافذة، مصر، ط٢، ٢٠٠٤م.
- ٢٠- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر، بيروت، لبنان.
- ٢١- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
- ٢٢- معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف إيلان سركيس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.
- ٢٣- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، محمد الأمين الشنقيطي، اعتنى به أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السنة، الرياض، ١٩٩٥م.
- ٢٤- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (٥٤٨هـ)، تح أحمد فهمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م.
- ٢٥- الميزان، عبد الوهاب الشعراني، تح عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٩م.
- ٢٦- الله واحد أم ثالث، محمد مجدي مرجان، مكتبة النافذة، مصر، ط٢، ٢٠٠٤م.
- ٢٧- الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام إلى اليوم، سعد رستم، الأوائل للنشر، سوريا، ط٢، ٢٠٠٥م.
- ٢٨- تحقيق القول في مسألة عيسى كلمة الله والقرآن كلام الله، تقي الدين ابن تيمية (٧٢٨هـ)، دار الصحابة للتراث، ط١، ١٩٩٢م.
- ٢٩- الوافي بالوفيات، خليل بن أبيك الصفدي (٧٦٤هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠٠م.
- ٣٠- نظرية النسخ في الشرائع السماوية، شعبان محمد إسماعيل، دار السلام، ط١، ١٩٨٨م.
- ٣١- هدية العارفين، أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥١م.
- ٣٢- اليهودية، ابن حزم الأندلسي، تح محمود علي حمادة، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٩٨١م.

Manuscript heritage in the Saoura region of Algeria - Sidi Madani's treasure as a model

Dr. Rafiqah Tawmi

The region of Saoura was characterized by attracting the elite of scholars coming to it, and they were activating scientific sessions for students in the corners such as Sheikh Mohammed bin Abdullah Al-Tilmisani, And libraries of those places were enriched with manuscripts and rare works, among the treasures of the manuscripts of the region of Saoura is Qandusi Zayyani treasure, which had around 3000 manuscripts in 1950 AD, and a closet of Al-Watah, subject of the study. Unfortunately, the latter is one of the forgotten closets in the vast Algerian desert, although it maintains a number of manuscripts in various fields of science. Because of this importance of the Treasure, we will try to uncover the manuscripts that are stored inside it. This is our desire to contribute and add to the few researches that deal with the issues of manuscripts and their inventory in this region. In contrast to the Tawat area, which has received considerable attention among researchers specialized in the field of manuscripts.

‘Majāni al-thimār Min tahāni al-‘zār’ by. Al-Muradi

Edited and Studied by. Dr. Abdul Raziq Huwaizi

This study is based on two hypotheses:

The first asks about the nature of the relationship between the two things (the context - denotation). Is it a dialectical relationship determined by nature and deed and intention? If there is diversity in this relationship, what are the aspects and reasons of the diversity?

The second is related to the two things concerned with the theoretical thought of the language in the West. Is it considered purely Western, or does it have roots among scholars of Arab heritage?

‘Irshādul Ḥayārā firraddi ‘lā al-Naṣārā’ by. Derini

Studied and Edited by. Prof. Ḥamzah Al-Aayish

The companions of the Prophet (PBUH) and their followers followed the path of their prophet, and many great scholars took this path in response to the call and order of Almighty to argue those who go astray from his religion. They read the doctrines of the violators and classified good books in response to them. Abdul Aziz al-Derini, a Shafiee jurist was one of those famous scholars of the Ummah, who the issues of jurisprudence and its branches did not prevent from compiling a brief book in response to the Christians. He named it ‘*Irshādul Ḥayārā firraddi ‘lā al-Naṣārā*’, which is the subject of our study and editing.

Animal Welfare and Health Care A model of Arab contributions to the development of livestock in Morocco during the second and third centuries AH

Dr. Isam Mansoor Salih

This work tries to answer one of the questions that are still in mind, i.e. what is the extent of the cultural influences left by the Arabs in the history of the Maghreb specifically African? Being the first regions of Morocco, this witnessed early and clear stability of Arab, since the early days of the Islamic conquest. We will discuss the positive contribution of the Arabs in the economy of the Maghreb during the second and third centuries AH, represented in the development of animal wealth.

We see that it is no less important than any other contribution made by them, whether in the agricultural, industrial or commercial fields, which has gained the interest of many researchers interested in the study of Moroccan history, for the scientific material that is available in abundance, in Moroccan historical sources.

Semantic Generation of Root (ع ر ب) in Semitic Languages, a Comparative Study

Dr. Jalal Al-Hammadi

This research is an ambitious step towards the production of a comparative semantic dictionary of linguistic roots in Semitic languages... It is a comparative study of the semantics of the root (ع ر ب) as a verbal participant in the Semitic languages, field of study. The research revealed an amazing richness of this root with semantic indicative values that are rarely found in another linguistic root. Classical Arabic had the largest share of this semantic richness, followed by Syriac, southern Arabic, and Hebrew. This root - in some semantics - has a semantic correlation with the significance level also represented in nine semantics, while the other semantic has been distributed among Semitic languages, field of study, in the form of special symbols for each language separately. Classical Arabic topped the list of the languages of the field with the largest number of these special signs, followed by Syriac, Hebrew and the other languages as detailed in the research.

Poetry of Abu Shibl al-Barjumi (around 250 AH) collection and investigation

Ibrahim bin Saad Al-Haqeel

The poetry forums provide for scholars and critics in ancient Arabic literature a material that is familiar with their critical views and applied studies; therefore, these forums are partners in those critic works, as they were a source of the researcher. The Abbasid era is one of the most important periods of Arabic literature, as the movement of change was great in the paths of literature. Among the poets of that era is Abu Shibl al-Barjumi, who was at the center of the movement of change that occurred in the Abbasid poetry, through his methods of sarcastic lamentation, of which two poems and one piece remained for us, in which he lamented his neighbor, his broken lantern, and his stolen papers. One of the researchers took notice of this taking two of his poems as a model of sarcastic lamentation. What we got from his poetry in this way is to respond to the development that was brought in the poetry, opening new doors and innovative ways, and he was one of its pioneers.

Abstracts of Articles

The color metaphor in the Holy Quran and its rhetorical implications among interpreters

Dr. Faisal Abu Tufail

The metaphor – as an expression of expressive and descriptive energy - falls within the rhetorical phenomena employed by the Holy Qur'an as an effective means of conveying its purposes and objectives. The concept of the metaphor in the Holy Quran expands in its broad artistic and literary nature to include many types worthy of study and analysis, such as: psychological, cognitive, moral, periphrastic and colorist.

Fatwa and Judgment of the work done in the heritage of the Malikis in the Far Morocco

Dr. Tawfeeq Al-Badri

Each of the famous school of Islamic jurisprudence, has its unique characteristic which makes it different from other schools, which calls the people of a country to prefer and recline towards it, and the adoption of its origins and rules in the fatwa and the judiciary. In the Maliki School, we find a source of legislation which did not pull the attention of other Imams, and was not taken care by others as it is the case with Imam Malik (D 179 AH) and that is the work of the people of the city of Prophet (PBUH), which is the most distinguished characteristic of the Maliki School. It received great interest from the Malikis in both East and Morocco, and they fought for it and defended its authenticity. And the complexity of social life issues, and the emergence of new tendencies, expanded the mindset of the scholars of Morocco in particular, and built on it a legislative resource parted from it, called in their heritage, "the continuous works."

The idea of international inheritance among Ibn Nujaim Hanafi

Imad Abdul Salam Raoof

Ibn Nujaim, in the sources of fiqh al-Hanafi, took the opportunity to answer the question imposing itself firmly on his country as a result of Ottoman total control. He realized that he was facing a new reality. The Mamluk state that ruled Egypt and its dependencies fell completely and there was no hope of restoring it or even regaining some of its dependent territories. Hence, only the legal guidance of this new reality, and the answer to many issues arising from it, remains with regard to the rights of the State and the rights of its members. This was later known as the international theory of succession (or inheritance). He tried to prevent the new state from violating the rights of citizens of the previous state on the grounds that the right of the Ottoman Sultan to consider Egypt as an open territory in order to permit the application of the right of conquest, which resulted in acquisition of its human and natural resources, as happened in the territories opened by the Ottomans before.

INDEX

Editorial

Great works in compiling the biography of the Prophet

Editing Director 4

Researches Titles:

The color metaphor in the Holy Quran and its rhetorical implications among interpreters

Dr. Faisal Abu Tufail 6

Fatwa and Judgment of the work done in the heritage of the Malikis in the Far Morocco

Dr. Tawfeeq Al-Badri 22

The idea of international inheritance among Ibn Nujaim Hanafi

Imad Abdul Salam Raoof 51

Animal Welfare and Health Care A model of Arab contributions to the development of livestock in Morocco during the second and third centuries AH

Dr. Isam Mansoor Salih 61

Semantic Generation of Root (ع ر ب) in Semitic Languages, a Comparative Study

Dr. Jalal Al-Hammadi 74

Poetry of Abu Shibl al-Barjumi (around 250 AH) collection and investigation

Ibrahim bin Saad Al-Haqeel 116

Manuscript heritage in the Saoura region of Algeria - Sidi Madani's treasure as a model

Dr. Rafiqah Tawmi 113

Manuscripts' Verification:

'Majāni al-thimār Min tahāni al-'zār' by. Al-Muradi

Edited and Studied by.

Dr. Abdul Raziq Huwaizi 140

'*Irshādul Ḥayārā firraddi 'lā al-Naṣārā'* by. Derini

Studied and Edited by.

Prof. Ḥamzah Al-Aayish 175

Abstracts 202

'Āfāq Al-Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Quarterly Journal of Cultural Heritage



Published by:
The Department of Studies,
Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center
for Culture and Heritage
Dubai - P.O. Box: 55156
Tel.: (04) 2624999
Fax.: (04) 2696950
United Arab Emirates
Email: info@almajidcenter.org
Website: www.almajidcenter.org

Volume 26 : No. 101 - Jumada 2 - 1439 A.H. - March 2018

INTERNATIONAL RECORD NUMBER

ISSN 1607 - 2081

This Journal is listed in
the "Ulrich's International
Periodicals Directory" under
record No. 349378

EDITORIAL BOARD

EDITING DIRECTOR

Dr. Azzeddine Benzeghiba

EDITING SECRETARY

Muna Mugahed Al Matari

EDITORIAL BOARD

Prof. Fatima Al Sayegh

Prof. Hamza Abdulla Al Malibari

Prof. Salamah M. Al Harfi Al Bluwi

Dr. Muhammad Ahmad Al Qurashi

ANNUAL SUBSCRIP- TION RATE

	U.A.E.	Other Countries
Institutions	100 Dhs.	150 Dhs.
Individuals	70 Dhs.	100 Dhs.
Students	40 Dhs.	75 Dhs.

Articles in this magazine represent the views of
their authors and do not necessarily reflect
those of the center or the magazine,
or their officers.

الشروط الخاصة بنشر كتب محكمة ضمن سلسلة آفاق الثقافة والتراث

- ١ - أن يكون الموضوع المطروق متميزاً بالجدة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:
 - قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
 - قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.
- ٢ - ألا يكون الكتاب جزءاً من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدها الباحث، وألا يكون قد سبق نشره على أي نحو كان، ويشمل ذلك الكتب المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.
- ٣ - يجب أن يُراعى في الكتب المتضمنة لنصوص شرعية ضبطها بالشكل مع الدقة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.
- ٤ - يجب أن يكون الكتاب سليماً خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ٥ - يجب اتباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصلية، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كل صفحة وحواشيها أسفلها.
- ٦ - بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كل كتاب مرتبة ترتيباً هجائياً تبعاً للعنوان، مع بيان جهة النشر وتاريخه.
- ٧ - أن يكون الكتاب مجموعاً بالحاسوب، أو مرقوناً بالآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجه واحد من الورقة.
- ٨ - على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلمية، مبيناً اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافة إلى عنوانه، وصورة شخصية ملونة حديثة.
- ٩ - يمكن أن يكون الكتاب تحقيقاً لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالكتاب صور من نسخ المخطوط المحقق الخطي المعتمدة في التحقيق.
- ١٠ - أن لا يقل الكتاب عن مئة صفحة ولا يزيد عن مئتين.
- ١١ - تخضع الكتب المقدمة للتقويم والتحكيم حسب القواعد والضوابط التي يلتزم بها، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين، قصد الارتقاء بالبحث العلمي خدمة للأمة ورفعاً لشأنها، ومن تلك القواعد عدم معرفة المحكمين أسماء الباحثين، وعدم معرفة الباحثين أسماء المحكمين، سواء وافق المحكمون على نشر البحوث من غير تعديل أو أبدوا بعض الملاحظات عليها، أو رأوا عدم صلاحيتها للنشر.

ملاحظات

- ١ - ما ينشر في هذه السلسلة من آراء يعبر عن فكر أصحابها، ولا يمثل رأي الناشر أو اتجاهه.
- ٢ - لا تُردّ الكتب المرسلة إلى أصحابها، سواء نُشرت أو لم تنشر.
- ٣ - لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر كتابه بعد عرضه على التحكيم إلا لأسباب تقتنع بها اللجنة المشرفة على إصدار السلسلة، وذلك قبل إشعاره بقبول كتابه للنشر.
- ٤ - يُستبعد أي كتاب مخالف للشروط المذكورة.
- ٥ - يدفع المركز مكافآت مقابل الكتب المنشورة وثلاثين نسخة من الكتاب المطبوع.

'Āfāq Al-Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Quarterly Journal of Cultural Heritage



Juma Al Majid Center
for Culture and
Heritage - Dubai

Volume 26 : No. 101 - Jumada 2 - 1439 A.H. - March 2018



مرقاة الوصول إلى علم الأصول

المؤلف: ملا خسرو: محمد بن فرامرز بن علي الرومي الحنفي ٨٨٥ هـ، تاريخ النسخ: ١١٧٨ هـ

Mirqāṭul wuṣul 'ilā 'Imil uṣul

By: Mullah Khusru, Muḥammad bin Framarz bin Ali Al-Rumi Al-Ḥanafi (D 885 AH) Scribed in 1178 AH

Published by:

Department of Studies, Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage